بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

العتبة الحسينية المقدسة

العدد الثاني والأربعون

السنة الحادية عشرة (١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م)

رئيس التحرير

الدكتور حاتم كاطع موسى البخاتي

مدير التحرير

الدكتور عدنان جاسم كريم الطائي

هيئة التحرير

أ. د. عبد الجبار ناجي رحيم الياسري ..... جامعة بغداد/ العراق

أ. د. محمد جواد محمد سعيد عمران الطريحي ..... جامعة بغداد/ العراق

أ. د. حيدر محمد علي محمد جواد السهلاني ..... جامعة الكوفة/ العراق

أ. د. عادل نذير بيري عزيز الحسَاني ..... جامعة كربلاء/ العراق

أ. د. علي مجيد داود البديري ..... جامعة البصرة/ العراق

أ. د. هادي عبد النبي محمد التميمي ..... الجامعة الإسلامية/ العراق

أ. د. دلال عباس ..... الجامعة اللبنانيّة / لبنان

أ. د. نور الدين أبو لحية ..... جامعة باتنة/ الجزائر

أ. د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي ..... جامعة كربلاء/ العراق

أ. م. د. طلال فائق مجبل جار الله الكمالي ..... جامعة وارث الأنبياء/ العراق

أ. م. د. علي حسن اللواتي ..... جامعة صحار/ عُمان

أ. م. د. خولة بنور ..... المعهد العالي للعلوم الإنسانية/ تونس

أ. م. د. لطفي بن صالح البكوش ..... الجامعة الزيتونية/ تونس

م. د. أسعد علي أحمد السلمان ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ العراق

د. ميثم رحيم الربيعي ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ العراق

د. رغدان كركح المنصوري ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ العراق

د. حيدر خمّاس الساعدي ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ ألمانيا

التنسيق والعلاقات العامة

السيد صالح محمد حسن التكابني

السيد مالك عاشور نعمة البطاط

السيد حسن محمد رضا الحكيم

المراجعة والتدقيق اللغوي

عصام بدران العلي

معتمد الترجمة الإنجليزية

حيدر نجم البهادلي

الإخراج الفني

الشيخ حسين لفتة المالكي

السيد علي حسين الهاشمي

التصميم والجرافيك

عبد الزهرة فرحان الطائي

صادق مصطفى الحيدري

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

السياسة العامّة لمجلّة الإصلاح الحسيني

مجلّـة (الإصلاح الحسـيني) مجلّـة علمية تختـصّ بالنهضة الحسـينية، تصدر عن مؤسّسـة وارث الأنبيـاء للدراسـات التخصّصية في النهضة الحسـينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة.

تُعنى المجلّة بنشر كلّ ما يمتّ بصلة إلى النهضة الحسـينية، وآفاقها المتعدّدة، من خلال تسـليط الضوء على: تاريخها، وتراثها، وفلسـفتها، وإبراز جوانبها: الإنسانية، والاجتماعية، والفقهية، والأدبية، وغيرها من الحقول المعرفية.

تتطلّـع المجلّة لاسـتيعاب جميـع المجالات المهمّة والحسّاسـة في دراسـة النهضة الحسـينية، شريطة أن تكـون البحوث والدراسـات المقدّمة موافقـة لأُصول البحث العلمي، وأخلاقيات النشر المتّبعة في الأوساط العلمية والبحثية.

وعلى هذا الأسـاس؛ تسـتقبل المجلّة من الكتّاب والباحثين الكرام كلّ بحث له صلة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل أن تلاحظ سياسة المجلّة المدرجة ضمن النقاط الآتية:

١ . أن تكـون البحـوث منسـجمة مـع اختصـاص المجلّـة، وسياسـتها العامّـة، وضوابطها المعتمدة في النشر.

٢ . يخضـع البحـث المقدّم للنـشر لعمليـة تقييم علمي مـن قِبل لجنـة مختصّة من المحكّمين العلميّين.

٣ . بعـد عملية التقييم العلمـي، وتأييد صلاحية البحث للنـشر، يخضع البحث للتحرير من قِبل هيئة التحرير.

٤ . إطلاع الباحث على قبول نشر بحثه أو عدمه في مدّة أقصاها شهران من تاريخ استلام البحث.

٥ . بعـد الموافقة على نـشر البحث يُعتبر البحث ملكاً للمجلّـة، فلا يحقّ للباحث تقديمه للنشر، أو المشاركة به في أيّ نشاط علمي آخر.

٦ . لا يحقّ للباحث سـحب بحثه بعد تقييمه من قِبل المحكّمين العلميّين، وتأييد صلاحية نشره من قِبل رئاسة التحرير.

٧ . للمجلّة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب مستقلّ، أو ضمن كتاب، مع الحفاظ على نصّه الأصلي، وحقوق الكاتب المعنوية.

٨ . ليسـت المجلّة ملزمة ببيان أسباب الرفض فيما لو لم يحصل البحث على درجة القبول المطلوبة.

٩ . لا ترى المجلّة نفسـها ملزمة بإعادة البحث إلى الباحث، سواء نُشر في المجلّة، أم لم يُنشر.

١٠ . تسـتقبل المجلّة البحـوث المكتوبة باللغات الأُخرى غير العربية، وسـتعمل على نشرها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.

١١ . قد تعمد المجلّة إلى ترجمة البحوث المنشـورة بلغات أُخرى إلى اللغة العربية، ونشرها في المجلّة، بعد إعلام الباحث بذلك.

١٢ . تحتفـظ هيئـة التحرير بحـقّ تعديل أو حذف ما لا تراه منسـجماً مع سياسـة المجلّة، وأهدافها العامّة، وما يُخالف السلامة الفكرية، والثوابت الدينية.

١٣ . يخضـع ترتيـب البحوث المقدّمـة للنشر لاعتبـارات فنّية تقتـضي التقديم أو التأخير أحياناً.

١٤ . تُراعـى في أسـبقية النـشر الأبحاث المشـاركة في المؤتمـرات أو النـدوات أو الملتقيـات الفكريـة التـي تُقيمها مؤسّسـة وارث الأنبيـاء، وذلك بعـد تأييد صلاحيّتها للنشر من قِبل اللجنة المعنية بذلك.

١٥ . جميع الأفـكار والآراء المطروحة في المجلّة تعكس وجهة نظر أصحابها، ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.

ضوابط النشر في مجلّة الإصلاح الحسيني

١ . أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة، منسجماً مع أهدافها وسياساتها العامّة.

٢ . أن يكون البحث مبتكراً، أو يتضمّن نوعاً من التجديد والإبداع، وأن يحتوي على تطبيقات ونتائج ذات أهمّية على الصعيد العلمي.

٣ . ألّا يكون البحث منشوراً في مجلّة أُخرى، أو أيّ وسيلة من وسائل النشر المتنوّعة، أو مقدّماً للنشر فيها.

٤ . أن يراعي الباحث أُصول البحث العلمي وأخلاقياته، وأن يلتزم بمنهجياته وخطواته المتعارفة على المستوى العالمي.

٥ . أن يحتوي البحث على العناصر الأساسية الآتية: ملخّص، مع كلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدّمة، ومحتوى، وخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع.

٦ . ألّا يكون البحث المقدّم للنشر مستلاً من كتاب، أو رسالة، أو أُطروحة لغرض الترقية العلمية، وأن يوقّع الباحث تعهّداً خطّياً خاصّاً بذلك.

٧ . ألّا يكون موضوع البحث مستهلكاً من الناحية العلمية، أو تجميعياً إلى درجة يغيب فيها الحضور العلمي للباحث.

٨ . اعتماد اللغة العلمية الرصينة، والتحلّي بالموضوعية والدقّة المطلوبة في عرض المعلومات.

٩ . ألّا يقلّ عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة، ولا يزيد على (٣٠) صفحة، بمعدّل (٢٥٠) كلمة في الصفحة الواحدة.

دليل المؤلِّفين

تخضع عملية التأليف وكتابة البحوث للمعايير الأخلاقية للبحث والنشر العلمي (*COPE*)، من حيث الأُسلوب، والمنهجية، والمضمون، ولا ينبغي تجاوز هذه المعايير لأيّ سبب من الأسباب؛ فإنّ تجاوزها ينعكس سلباً على المستوى الفكري والمعرفي للبحث؛ الأمر الذي يُعرّض الباحث إلى المساءلة العلمية، والقانونية أيضاً.

ومن جملة هذه المعايير ما يأتي:

١ . على المؤلّف تقديم بحث أصيل ومبتكر قدر الإمكان مطابق لمواصفات البحوث المحكّمة.

٢ . بيان النتائج والمخرجات بشكل صحيح، وذلك عن طريق عرض المقدّمات بشكل منطقي متّسق.

٣ . تجنّب عرض المعلومات أو النصوص أو النظريات المقتبسة من مفكّرين آخرين، أو ترجمة أعمالهم بطريقة توحي إلى كونها من إبداعات الباحث وابتكاراته (السرقة الفكرية)، من دون إرجاع إلى مصادر تلك النصوص أو المعلومات المقتبسة.

٤ . تجنّب الخوض في مسائل بعيدة عن الخلق الرفيع، والذوق السليم، أو بيان معلومات مجانبة للحقيقة، وعدم استخدام أيّ تعبير يحمل بين طيّاته نزعة طائفية أو عرقية أو قومية.

٥ . لا ينبغي للمؤلّف تقديم البحث ذاته إلى أكثر من مجلّة أو فعّالية علمية مشابهة؛ إذ يُعدّ ذلك منافياً لأخلاقيات النشر العالمية، إلّا في حال إجراء تعديلات جوهرية على عنوانه ومضمونه.

٦ . ينبغي للباحث أن يلتزم بتضمين البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها، واعتمدها في البحث، مرتبة في نهاية البحث وفق الصيغة التالية: (عنوان المصدر أو المرجع، اسم المؤلّف، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، سنة الطبع)، على أن يكون ترتيب المصادر المثبّتة في هامش كلّ صفحة بالطريقة الآتية: (اللقب، الاسم، عنوان المصدر: الجزء، الصفحة).

٧ . الاعتماد على المصادر الأوّلية المعنية بموضوع البحث قدر الإمكان، دون الرجوع إلى المصادر الثانوية.

٨ . على المؤلّف إذا اكتشف وجود خطأ أساسي في بحثه، أن يُشعر إدارة المجلّة فوراً بذلك؛ كي تتّخذ الإدارة الإجراءات اللازمة بحذف الخطأ أو تصويبه.

٩ . عدم التعريض والإساءة إلى الأشخاص أو الباحثين، حتى لو كان ذلك في مقام الردّ على شبهاتهم أو إشكالاتهم العلمية.

١٠ . الالتزام بقواعد الاقتباس والتوثيق؛ فلا بدّ للباحث من الالتزام بوضع علامات الاقتباس المتعارفة لكلّ نصّ مقتبس من مصادر أُخرى، لكيلا يختلط بنصوص الباحث وأدبياته.

١١ . ينبغي للباحث إجراء تعديلات في بحثه وفقاً لمقترحات لجنة المحكّمين، وفي حال عدم الموافقة على التعديلات المقترحة، يجب عليه تقديم تبرير منطقي بأسباب الرفض، فإن لم يُقدّم الباحث أسباباً مقنعة تحتفظ المجلّة بحقّها في عدم الموافقة على نشر البحث.

١٢ . يُكتب عنوان البحث واسم الباحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتُثبّت جهات انتساب الباحث (القسم، الكلّية، الجامعة أو المؤسّسة العلمية والبحثية التي ينتمي إليها، المدينة، البلد).

١٣ . كتابة ملخّص البحث (*Abstract*) باللغتين العربية والإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية (*Keywords*)، وتتراوح كلمات الملخّص ما بين (١٥٠ـ٢٠٠) كلمة،

عـلى أن يضمّ الملخّص بيان موضوع البحـث، وأهدافه، والمنهج المعتمد، مع ذكـر أهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحث، ولا ينبغي الاستشـهاد بمصدر، أو بيان دليل أو شاهد.

١٤ . ينبغي تحديد مشـكلة البحث وأهمّيته وأهدافه وتحليل النتائج وتفسـيرها في ضوء المنهج العلمي المتّبع.

١٥ . إذا كان البحث مشتركاً بين مؤلّفَين أو أكثر، فلا بدّ من حصول مقدِّم البحث للنشر على موافقة جميع المؤلّفين المشاركين في إعداده وتأليفه قبل تقديمه؛ فإنّ ذلك يُعدّ جزءاً من حقوقهم.

١٦ . لو تبيّن بعد قبول البحث أنّه غير مسـتوفٍ لشروط النشر، فسـيُطلع الكاتب عـلى ذلـك، وإذا نُشر ثمّ ظهر بعد ذلك عدم اشـتمال البحـث على أخلاقيات البحث العلمي، يتحمّل الباحث كافّة التبعات القانونية.

١٧ . يُقدّم البحث مطبوعاً وخالياً من الأخطاء اللغوية والمطبعية قدر المستطاع.

١٨ . يُرسل البحث على قرص مدمج، أو على البريد الإلكتروني الخاصّ بالمجلّة، مرفقاً بالسيرة الذاتية للباحث، وبريده الإلكتروني.

١٩ . تُرفـع الملاحظـات التـي يبديهـا المحكّـم العلمـي إلى الباحث؛ بغيـة إجراء التعديلات التي تُقرّها لجنة التحكيم، على أن يُسـلّم الباحث نسخة معدّلة في مدّة لا تتجاوز أُسبوعاً واحداً من حين إبلاغه بذلك.

دليل المحكّمين العلميّين

المهمّة الأساسية للمحكِّم العلمي هي قراءة البحث الذي يقع ضمن تخصّصه العلمي بدقّة فائقة، والنظر في منهجيّته ومنطلقاته الفكرية والمعرفية، والنتائج المترتّبة على ذلك، وفق آليات محدّدة متعارف عليها في الوسط العلمي والبحثي؛ وعليه فإنّ المحكّم العلمي يساعد هيئة التحرير ورئيسها على اتّخاذ القرار المناسب بشأن البحث، كما يُسهم في مساعدة المؤلّف في تطوير بحثه وتحسينه.

بناء على ذلك؛ ينبغي أن يتمتّع المحكّم باستعداد كامل لتحمّل مسؤولية التحكيم من خلال توفّر مواصفات متعدّدة:

١ . التخصّص العلمي: لا بدّ من تناسب موضوع البحث المراد تحكيمه مع تخصّص المحكّم ومجال بحثه واهتمامه العلمي.

٢ . السرّية الكاملة: ينبغي للمحكّم الالتزام بمعايير السرّية المتعلّقة بعملية التحكيم، من خلال المحافظة على سرّية المعلومات الواردة في البحث، فلا يحقّ له الإفصاح عنها، أو مناقشتها مع أيّ طرف، باستثناء المرخّص لهم من قِبل رئيس التحرير، فيجب عليه معاملة الأبحاث التي تسلّمها للتحكيم بعد إخفاء اسم الباحث عنه كوثائق سرّية؛ وعليه لا بدّ من تسلّم ملاحظات المحكّم من قِبل مدير التحرير مكتوبة على استمارة خاصّة بالتحكيم.

٣ . الموضوعية: على المحكِّم تحرّي الموضوعية في الأحكام والنتائج الصادرة عن عملية التحكيم، والتجرّد من أيّ آراء سابقة، أو قناعات ذاتية، أو أذواق شخصية، من شأنها أن تُعكّر صفو العملية التحكيمية، ولا بدّ له من التعبير عن رأيه بنزاهة ووضوح، وتدعيم ذلك بالأدلّة المقنعة، وعدم التمييز بين المؤلّفين على أساس الجنس، أو الأُصول العرقية، أو الاعتقاد الديني، أو المواطنة، أو الانتماء السياسي.

٤ . الأمانـة: عـلى المحكِّم أن ينأى بنفسـه عن اسـتخدام المعلومـات التي حصل عليها من البحث الذي تمّ تحكيمه لمصلحته الشخصية.

٥ . الدقّة الكافية: على المحكّم أن يُجهد نفسه في التحرّي عن المعلومات المعروضة في البحـث، والتأكّـد من خلوّه من الانتحال والسرقـة الأدبية أو العلمية، كما يجب عليه أن يدوّن في استمارة التحكيم أيّ تشابه بين البحث الذي تمّ تحكيمه وأعمال أُخرى منشورة يعرفها، علماً بأنّ المجلّة تعتمد برامج فحص الاستلال العلمي؛ للتحقّق من أصالة البحث، وعدم نشره سابقاً.

٦ . الاسـتقرار النفـسي: لا بـدّ للمحكِّـم الاجتناب عـن التحكيـم في حال عدم شعوره بالراحة أو الاطمئنان النفسي؛ الأمر الذي يؤثّر سلباً في نتائج التحكيم ومخرجاته، وعليه إعلام مدير التحرير في حال عدم استعداده لتحكيم البحث المقدّم إليه لأيّ سبب من الأسباب.

٧ . التقيّد بالوقت المحدّد لعملية التحكيم.

وفي ضوء ما تقدّم؛ فإنّ نتائج التقييم العلمي والتوصيات المرفقة يتمّ اعتمادها بشكل أساسي في قرار قبول البحث للنشر في المجلّة أو عدمه.

معايير التحكيم

عادةً ما يتّبع المحكّمون العلميّون في تقييم البحوث والدراسات العلمية المقدّمة إلى (مجلّة الإصلاح الحسيني) مجموعة من الضوابط، من جملتها:

١ . تناسب العنوان مع المعنون.

٢ . اشـتمال البحث على منهجية عـرض مكتملة: (ملخّص، مع كلمات مفتاحية، مقدّمة، محتوى، خاتمة، قائمة بالمصادر والمراجع).

٣ . تناسب المقدّمة مع المحتوى.

٤ . ارتباط المكتوب بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

٥ . الترابط المنطقي بين العناوين.

٦ . المستوى اللغوي المطلوب في البحث، والتزام الباحث بقواعد النحو والإملاء.

٧ . مراعاة اللغة العصرية في عرض المعلومات.

٨ . الالتزام بأُصول البحث العلمي.

٩ . التجديد، والإبداع، والإثارة العلمية.

١٠ . تحديد قيمة المصادر المعتمد عليها.

١١ . تحديد نوع البحث بحسب محتواه، وتصنيفه إلى: علمي أصيل بامتياز، أو أصيل نوعاً ما، أو تلفيقي، أو تجميعي.

١٢ . تقييم النتائج التي توصّل إليها البحث، وبيان قيمتها ودقّتها.

١٣ . تشخيص ما إذا كان ملخّص البحث باللغة العربية والإنجليزية كاشفاً بشكل عامّ عن مضمون البحث ونتائجه.

١٤ . الكشف عن مستوى الاستلال العلمي في البحث، وتحديد نسبة الاقتباس.

١٥ . ملاحظة عدد صفحات البحث؛ للتأكد من كونها وفق الضوابط المعتمدة في المجلّة.

مراكز النشر

* العراق/ النجف الأشرف: شارع الرسولﷺ ـ المعرض الدائم للعتبة الحسينية المقدّسة.

* العراق/ كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.

* إيران/ قم المقدّسة: شارع معلّم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.

المحتويات

افتتاحية العدد

المجتمع العراقي البيئة الحاضنة للمسيرة الأربعينية

رئيس التحرير ١٧

ملف العدد
زيارة الأربعين.. أبعاد ودلالات (٢)

التربية العقائدية في ظلال زيارة الأربعين

د. الشيخ حيدر نور الدين ٢٩

زيارة الأربعين.. دورة تربوية تعبوية

الشيخ جميل الربيعي ٥٣

معادلة التأثير والتأثّر في مجتمع الزيارة الأربعينية ودورها في ترسيخ القيم الإسلامية وفق نظرية الاتّصال الشرطي

د. الشيخ محمّد الحلفي ٧٩

زيارة الأربعين.. دراسة في المشروعية والأبعاد الاجتماعية

سعيد مهرابي ١٠٩

زيارة الأربعين في بعدها الفقهي

الشيخ رضا عندليبي ١٣٣

الإطعام في زيارة الأربعين.. دراسة في ضوء النصوص الدينية

د. الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي ١٦٧

حوادث وأحداث تاريخية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.. العهدان الأُموي والعبّاسي أُنموذجاً

كاظم عبّاس مدلل ٢٠١

دراسات حسينية عامة

الإمام الحسين عليه السلام مصباح التكامل الروحي

الشيخ حسين أبو رويس البحراني ٢٧٧

مفهوم القبّة المستجاب تحتها الدعاء عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ عبّاس علي الصائغ البحراني ٢٥٥

قراءة في كتاب أنصار الحسين عليه السلام للشيخ محمّد مهدي شمس الدين

الشيخ جعفر السعدي ٢٨٥

افتتاحية العدد

المجتمع العراقي البيئة الحاضنة للمسيرة الأربعينية

المجتمع العراقي البيئة الحاضنة للمسيرة الأربعينية

رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

لا يمكن لأيّ منصف أن ينكر ما حفلت به الزيارة الأربعينية ومسيرتها المليونية في العقدين الأخيرين من إنجازات ونجاحات وتجلّيات لأرفع القيم الإنسانية، وأنبل المثل الإسلامية، التي ما كانت لتحصل ـ بعد توفيق الله سبحانه، ورعاية الإمام الحسين عليه السلام ـ لولا احتضان شيعة العراق لهذه الملايين الآتية من كلّ حدب وصوب، وبذل الغالي والنفيس لهم، والحرص على توفير احتياجاتهم المختلفة، بل صنعوا كلّ ما يخطر على بال وما لا يخطر على بال؛ كي تنعم هذه الحشود بالراحة والطمأنينة، فوفّروا بيئة خصبة وحاضنة صالحة تضمن نمو هذه الزيارة العظيمة واستمرارها، فالشعب العراقي هو البيئة الحاضنة لهذه الشعيرة المقدّسة.

أهمّية البيئة الحاضنة وضرورتها

تُعدّ البيئة الحاضنة ضرورة ملحّة لكلّ أمر يُراد له الانتشار وديمومة الفائدة وسعة التأثير، وهي مزيج من الظروف والعوامل والقناعات المجتمعة التي تتمركز فيها الفكرة أو الحركة وتتجذّر، ثمّ تنتشر وتتوسّع، ثمّ تعمّ فائدتها أو ضررها، وحتى النبتة العطرة لا يمكن الاستفادة منها إذا أُحيطت بمجموعة من الأشواك، بل لعلّها

تُهـدّد أصـل وجودها، فلا يمكن تصوّر النجاح والاستمرار لأيّ مشروع بدون بيئة مناسبة تتعامل معه وتحتضنه، وتؤثّر وتتأثّر به.

مقوّمات البيئة الحاضنة

يمكن ذكر مجموعة من الجوانب التي لا بدّ أن تتوفّر حتى تحصل بيئة حاضنة:

١ـ الجانب الفكري والعقدي

لا بـدّ أن تكـون هنـاك عقائد وأفكار مشـتركة بـين أفراد المجتمـع حتى تحصل الوحدة بينهم، وتشكّل بذلك مجتمعاً خصباً لظهور أفكار وقناعات وممارسات معيّنة.

٢ـ الجانب الثقافي

لا يمكـن أن تنتـشر ممارسـة معيّنـة على نطـاق واسـع إلّا إذا كانت هنـاك ثقافة عامّة تدعمها في أوسـاط ذلك المجتمع، ولا يكفي أصـل العقيدة، فكثير من العقائد المشتركة في أوساط مجتمعات معيّنة إلّا أنّها لا تُعتبر ظاهرة عامّة.

٣ـ الجانب السياسي

ممّـا لا شـكّ فيه أنّ السـلطة الحاكمة لهـا التأثير الكبير في انتشـار فكـرة معيّنة أو كبتها، فكلّما كان هناك انسـجام بين الفكرة والحركة مع هذا الجانب كلّما أثّر ذلك في انتشارها وازدهارها، أو لا أقلّ عدم وجود ممانعة عنها.

٤ـ الجانب الإعلامي

وهـو ما لا تخفى أهمّيته وضرورته في انتشـار الحقيقة أو تزييفها، وهو ما نعيشـه يوميـاً في وسـائل التواصـل الاجتماعي، وعـبر المحطّـات الفضائية ومنابـر الإعلام المختلفة.

٥ـ الجانب المالي

وهو أمر مهمّ في ديمومة كلّ فكرة أو عقيدة أو ممارسة وانتشارها، فهو لازم لا ينفك بحسب الطبيعة المادّية العنصرية للإنسان، فهو لا بدّ أن يأكل ويشرب وينام وما إلى ذلك، وهو يستدعي توفير احتياجاته خصوصاً الضرورية منها.

هذه الجوانب فيما لو توفّرت فإنّها كفيلة بصناعة مجتمع وبيئة حاضنة قويّة وثابتة، وتنعكس على تجذّر الفكرة والممارسة وسعة انتشارها وعمق تأثيرها.

البيئة الحاضنة للزيارة الأربعينية

إنّ الحديث عن البيئة الحاضنة للزيارة الأربعينية، تلك الشعيرة العظيمة التي يُشارك فيها ملايين الناس سنوياً من مختلف الدول واللغات والثقافات والاعتقادات والتوجّهات والانتماءات، هو حديث عن عدّة خصوصيّات وحالات يمكن أن نستنتجها لذلك المجتمع ـ البيئة الحاضنة ـ من الزيارة نفسها؛ بمضمونها، وفكرها، وعقيدتها، وتعاليمها، وبحجمها وثقلها، وسعتها، وعالميّتها؛ لأنّه لو لا التشابه بين البيئة الحاضنة والزيارة بكلّ خصوصيّاتها لما أمكن أن يتحقّق كلّ هذا النجاح الكبير، خصوصاً في السنوات الأخيرة، التي منها:

١ـ العقيدة الراسخة

إنّ نصوص هذه الزيارة عبارة عن تعاليم دينية عقدية قيمة، ترسم الأُفق الفكري للموحّدين والمسلمين والمؤمنين، فقد أشارت لأُمّهات العقائد الحقّة من التوحيد، والنبوّة، والإمامة، والمعاد، والعدل، التي مطلعها: «**السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله و نجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات، اللهمّ إنّي أشهد أنّه**

وليّـك وابن وليّك، وصفيّك وابن صفيّـك»[1]. كما ركّزت على بيان المظلومية وعمق المصيبة، وأشارت إلى مبدأي التولّي والتبرّي، فهي منظومة فكرية مختصرة.

وهذا يكشف عن أنّ المجتمع الحاضن لهذه الزيارة يتحلّى بهذه العقائد والأفكار والثقافة الدينية، وإلّا لما ازدهرت واتّسعت بهذا الشكل الكبير.

٢ـ الثقافة العامّة والانتشار الواسع

إنّ هذه الممارسة المليونية للزيارة الأربعينية تعكس وجود ثقافة عامّة لدى المجتمع الحاضن على جميع المستويات، سواء في المشي، أم الخدمة، أم الاستقبال، أم الإدارة الشعبية لهكذا حدث مليوني عالمي، فنجد مثل لفظ: (مشاي)، (خادم)، (زائر)، (سفرة أبي عبد الله)، (أهلاً وسهلاً بزوّار الحسين)، وما شاكلها، هي الألفاظ الأكثر تداولاً أيّام الزيارة؛ وهو ما يكشف عن الثقافة العامّة الموحّدة لدى ذلك المجتمع.

٣ـ الكرم والبذل

من الواضح أنّ هكذا حدث مليوني مجاني سواء على مستوى الأكل، أو المبيت، وحتى النقل في كثير من الأوقات، وسائر الخدمات الأُخرى، يحتاج إلى بذل الأموال الكثيرة، وبدون أيّ مقابل، وهو ما يعكس مقدار كرم تلك البيئة الحاضنة وبذلها في سبيل هذا الحدث العظيم.

٤ـ السماحة وحسن التعامل

إنّ كثرة الزائرين وتنوّعهم على جميع المستويات، سواء الثقافية منها، أم العمرية، أم الجنسية، أم العقدية، أم غيرها، والتعامل معهم بنحو يجلب رضاهم، يدلّ دلالة واضحة على حسن التعامل وسعة الصدر من قبل البيئة الحاضنة، ويعكس الأخلاق

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٨٨.

الفضيلـة التـي يتمتّع بها ذلـك المجتمع، وخصوصاً أنّ كلّ ما يفعلـه بدون مقابل إلّا رضا الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام.

٥ـ الصبر والتحمّل

لا شـك إنّ إدارة حدث عالمي مليوني بحجم الزيارة الأربعينية أمر ثقيل يتطلّب جهـداً كبيراً، وهو ما يعكس مقدار الصبر والتحمّل في أوسـاط البيئة الحاضنة، وهو أمر واضح.

٦ـ العالمية والخلود

تتطلّع المجتمعات المتحضّرة إلى نشر ثقافتها في أوساط مختلف المجتمعات، الأمر الـذي أدّى إلى تفاخـر الأُمم بأفكارها وعقائدها وسـائر ما يرتبط بثقافتها، فالسـعي للعالميـة والخـود يمكـن أن نعدّه من نـداءات الفطـرة البشرية، وهذا ما نتلمّسـه من البيئة الحاضنة للزيارة الأربعينية التي تعكس قيم ومبادئ النهضة الحسينية وأهدافها وتعاليمها، وهي قيم الإسـلام وتعاليمه الأصيلة الحقّة، فنجد هذا المجتمع الحاضن يتقبّل الآخر، ويتعامل معه، ويجذبه، ويتعرّف عليه ويعرّفه.

العقبات والمشاكل

إنّ حدثاً بحجم الزيارة الأربعينية وعالميّتها، وتأثيراتها الكبيرة على المجتمعات، ومستقبلها الزاهر، من الطبيعي أن تواجه نوعين من العقبات والمشاكل والصعوبات التي يراد بها ضرب البيئة الحاضنة؛ من أجل تحجيمها وتقليلها والقضاء عليها شـيئاً فشيئاً، ويتبع ذلك القضاء على هذا الحدث الكبير:

النوع الأوّل: العقبات المصطنعة بفعل الأعداء

ممّا لا شـك فيـه أنّ هذه الزيارة بهذا الكمّ والسـعة والتنـوّع والفاعلية والفعّالية

يثير حفيظة أعداء الدين، وأعداء الإسلام، وأعداء المؤمنين، وعلى رأسهم الشيطان الرجيم، وهذا ما يؤدّي إلى تصدّيهم لهذه الشعيرة وتشويهها والتقليل من قيمتها؛ لذلك نجد العديد من الشبهات والإشكالات التي تظهر في كلِّ سنة، وتُكرّر بعناوين وألفاظ جديدة لا أكثر، فتارة يُشكّك في السند أو الاعتبار أو عدم الجدوى، وأُخرى يتمّ التركيز على بعض المشاكل اليسيرة كسدّ الطرقات، وتعطيل المرافق العامّة، وهدر الوقت، هذا بالإضافة إلى التعتيم الإعلامي الذي تنتهجه وسائل الإعلام العالمية لإخفاء حقيقة هذه الزيارة وقيمها ومبادئها وواقعها المشرق.

وهنا لا بدّ على أصحاب الأفكار النيّرة والأقلام الطيّبة أن يتصدّون لكلّ تلك العقبات وبشتّى الوسائل؛ لإظهار الحقّ، وبيان الصدق، ونشر الواقع، ومخاطبة المجتمع بموضوعية، فالحقيقة لا تحتاج أكثر من بيان صادق، وقلم واعٍ، وعين باصرة. وهذا وإن كان قد تحقّق فيما سبق، وقد تمّ دفع تلك الإشكالات والشبهات، إلّا أنّه لا بدّ من تجديد الثوب والصياغة والأُسلوب كما تتجدّد الإشكالات كذلك.

كما لا بدّ من النفوذ إلى وسائل الإعلام والتعرّف على لغتها وخصوصيّات نشرها، خصوصاً وسائل التواصل الاجتماعي، وصياغة تلك المعلومات على طبق شروطها وقوانينها الفنّية.

النوع الثاني: العقبات الطبيعية

وهي مجموعة من العقبات التي تواجه كلّ عمل يراد له الاستمرار والانتشار، خصوصاً فيما يرتبط بالبيئة الحاضنة، فلا بدّ من الحفاظ على الجوانب المتقدّمة التي تصنع البيئة الحاضنة من العقيدة الراسخة، والثقافة العامّة، والجنبة السياسية، والوضع المالي، والتنظيم العامّ، وهذا يعني أنّ على الجميع المشاركة في هذا الحدث العالمي والدفاع عنه، من علماء، وفضلاء، وأساتذة، وحوزات، وجامعات، ومؤسّسات علمية، ومراكز بحثية، ومؤسّسات الدولة، و...ما إلى ذلك.

ومن هنا؛ أتخطّر أنّني كنت في إحدى الدول المجاورة، وأثناء جلسة علمية رسمية لمناقشة بعض الأعمال الثقافية أيّام الزيارة الأربعينية، لفت انتباهي كلام لأحد الحضور، وهو شخصية علمية أكاديمية، حيث قال: بعد أن رأيت ما يفعله الشعب العراقي للزائرين من حفاوة الاستقبال، وكرم الضيافة، وحسن التعامل مع هذا الكمّ الكبير من الزائرين، عرفت السبب الذي من أجله صار قبر الإمام الحسين عليه السلام في العراق.

وبذلك فكلّ المؤشّرات والشواهد التاريخية وصولاً إلى زماننا الحاضر ـ ورغم كلّ التحديات ـ تؤكّد أنّ العراق هو البيئة الحاضنة لزيارة الأربعين والمسيرات المليونية، حيث المسؤولية الكبيرة التي يقوم بها الشعب العراقي من أتباع أهل البيت عليهم السلام، باستقبال الزائرين، وتهيئة الأجواء العبادية لأداء مناسك الزيارة، فضلاً عن تهيئة أماكن الإيواء، ومواكب الخدمة التي تقدِّم الأكل والشراب وكلّ وسائل الراحة للزائرين، متقرّبين بذلك إلى الله تعالى، ومحبّة وطاعة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ملفُ العدد

زيارة الأربعين .. أبعاد ودلالات (٢)

- التربية العقائدية في ظلال زيارة الأربعين
- زيارة الأربعين.. دورة تربوية تعبوية
- معادلة التأثير والتأثّر في مجتمع الزيارة الأربعينية ودورها في ترسيخ القيم الإسلامية وفق نظرية الاتّصال الشرطي
- زيارة الأربعين.. دراسة في المشروعية والأبعاد الاجتماعية
- زيارة الأربعين في بُعدها الفقهي
- الإطعام في زيارة الأربعين.. دراسة في ضوء النصوص الدينية
- حوادث وأحداث تاريخية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.. العهدان الأُموي والعبّاسي أُنموذجاً

التربية العقائدية في ظلال زيارة الأربعين

د. الشيخ حيدر نور الدين

دكتوراه في علوم القرآن والحديث، باحث إسلامي من سورية

Doctrinal Education Through the Ziyara of Arbaeen

Dr. Shaykh Haidar Noor al-Deen

Doctor's degree in Quranic Sciences

and Hadith, Islamic researcher from Syria

ملخّص البحث

إنّ الهجمة العقائدية على مجتمعاتنا الإسلامية، وعلى جيل الشباب بالذات، توجب على ذوي المعرفة والاختصاص تحصين المجتمع معرفياً، وتسليحه عقائدياً، ولا شكّ أنّ القرآن الكريم والمأثور من سُنّة المعصومين عليهم السلام هما المصدر الأوّل والثاني للتزوّد المعرفي والمنهجي.

وهذه المعرفة والمنهجية تحتاج إلى اكتشاف، وتعريف، وبيان، وتوصيف، حتى توظّف في الغرض المنشود، وزيارة الأربعين هي من الزيارات المأثورة عن المعصوم عليه السلام، وقد تضمّنت معارف عقدية ومنهجية في التربية والتنشئة على هذه المعتقدات.

وقد حاول الباحث أن يكتنه بعض الأساليب التربوية العقائدية في هذه الزيارة، فجاب فقرات زيارة الأربعين وجُمَلِها، ومن خلال تسليط الضوء على المعتقدات المستخلصة من زيارة الأربعين عرض فلسفة جديدة للزيارة بالنصّ المأثور عن المعصوم عليه السلام، وعرض ما يسّر الله له من الأساليب التربوية العقائدية المستوحاة من زيارة الأربعين.

الكلمات المفتاحية: التربية العقائدية، زيارة الأربعين، مقامات المعصوم، الإمام الحسين عليه السلام، فلسفة الزيارة، التولّي والتبرّي.

Abstract

The doctrinal assault on our Islamic societies, particularly on the young generation, makes it obligatory for people of knowledge and expertise to fortify society intellectually and arm it doctrinally. Moreover, the Holy Quran and what has been narrated from the Sunna of the Infallibles (PBUT) are undoubtedly the first and second sources for acquiring knowledge and methodology.

These two need to be discovered, defined, explained, and described in order to be employed for the intended purpose. The Ziyara of Arbaeen is one of the Ziyaras transmitted from the Infallible (PBUH). It includes doctrinal knowledge and a methodology for educating and upbringing a person with these beliefs.

The researcher attempts to explore some educational-doctrinal methods in this Ziyara. Therefore, he goes through the sections and sentences of the Ziyara of Arbaeen. By shedding light on the beliefs derived from it, he presents a new philosophy for the Ziyara with the narrated text from the Infallible (PBUH). With Allah's facilitation, he presents some educational-doctrinal methods inspired by the Ziyara of Arbaeen.

Keywords: doctrinal education, Ziyara of Arbaeen, statuses of the Infallible, Imam al-Husayn (PBUH), philosophy of the Ziyara, loyalty and disavowal.

تمهيد

لا يسع المؤمن المعتقد عقيدةً حقّة الاكتفاء بالتمسّك بالقرآن؛ فإنّ التمسّك بالقرآن وحده خطيئة جرّت مصائب وويلات على المسلمين، كما حدّثنا التاريخ عمّا جرى لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى احتجّ عليهم بقوله عليه السلام: «**وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين، لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرجال**»(١).

إنّ التمسّك بالرجال الذين كلّفهم الله تعالى بتفسير القرآن وبيان الدين من الضروريات التي أرشد إليها القرآن الكريم نفسه بقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٢)، فالآية الشريفة كما تُرشد إلى المبيّن للذكر ومفسِّره ـ وهو النبي صلى الله عليه وآله، ومَن عرّفه كترجمان ومفسّر للقرآن من بعده ـ تدلّ بالبداهة على وجوب رجوع الناس إلى المبيّن للقرآن؛ فإنّه لا معنى لأن يعرّف الله سبحانه شخصاً لتبيين القرآن الكريم ثمّ يرخّص لهم في تركه.

وكذا لا معنى لأن يأمر سبحانه الناس بالرجوع إلى المفسّر الحقيقي والعالم بتفسير القرآن بتمامه، تأويله، وظاهره وباطنه، ومحكمه ومتشابهه، ومكّيه ومدنيّه، و... ثمّ يجعل لغيره مرجعية مستقلّة عنه في فهم القرآن وتفسيره؛ ولذلك نهى الإمام الباقر عليه السلام عن تفسير القرآن من أيّ أحد، فقال مخاطباً قتادة الذي كان يفسّر القرآن: «**ويحك يا قتادة، إنّما يعرف القرآن مَن خوطب به**»(٣).

ولا يخفى عليك أنّ هذا لا يؤدّي إلى سدّ باب تفسير القرآن على العلماء؛ فإنّ المقصود من الخبر أنّ الذي يعرف القرآن معرفة تطابق الواقع، وتتعلّق بجميع

(١) نهج البلاغة: ص١٨٢، من كلام له عليه السلام في التحكيم.
(٢) النحل: الآية ٤٤.
(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٣١٢.

ظواهره وبواطنه وأغواره وأسراره وغيوبه... ليس إلّا مَن خوطب به، ولذا لا يطلق (التفسير) على ما خالف تفسيرهم عليهم السلام.

وقد يصير التمسّك بالكتاب السماوي وحده سبباً في زيادة ضلال الظالمين، وممّا يدلّ على ذلك ما جاء في الخبر الصحيح: أنّ عصمة الأُمّة من الضلال والزلل لا تكون إلّا بالاعتصام بالكتاب وأهل البيت عليهم السلام معاً: «**ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ولن تزلّوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي**»[1]، فوسيلة العصمة وسبيلها مركّب من جزأين متلازمين، وحسبك دليلاً على هذه المعية ضلال المحتجّين على الإمام علي عليه السلام، وكذا مَن رفع شعار: (حسبنا كتاب الله) في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وبناءً على ما تقدّم وجب التمسّك بالقرآن والعارفين به معاً.

الزيارة والعقيدة

سنتناول فيما يلي طبيعة العلاقة والتأثير المتبادل بين الزيارة والعقيدة، وذلك ضمن النقاط الآتية:

أوّلاً: العقيدة وتوقير النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام

بعد الاعتقاد بوجوب التمسّك بالعترة الطاهرة، فإنّ تعظيمهم وتوقيرهم ممّا يقتضيه الإيمان والاعتقاد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾[2]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾[3]، والتعزير هو: النصرة مع التعظيم، حسب تصريح بعض المفسّرين[4].

(١) القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج٢، ص٤٤٧.
(٢) الفتح: الآيتان ٨ ـ ٩.
(٣) المائدة: الآية ١٢.
(٤) راجع على سبيل المثال: السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن: ج١١، ص٦٨. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٥، ص٢٤٠.

ومـن أنواع التعظيم الإلهي لنبيّه صلى الله عليه وآله أن قال في كتابه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1]، يقول العلّامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «**رفع الذكر: إعلاؤه عن مستوى ذكر غيره من الناس، وقد فعل سبحانه به ذلك، ومِن رفع ذكره أن قرن الله اسمه صلى الله عليه وآله باسمه؛ فاسمه قرين اسم ربّه في الشهادتين اللتين هما أساس دين الله، وعلى كلّ مسلم أن يذكره مع ربّه كلّ يوم في الصلوات الخمس المفروضة**»[2].

ولا ينفع تعظيم النبي صلى الله عليه وآله إن لم نعظّم مَن أمر النبي صلى الله عليه وآله بتعظيمهم، وكذا لا ينفع تعظيم الكتاب إن خلا من تعظيم عدله وترجمانه.

ثانياً: الزيارة والتعظيم الواجب

إنّ أهمّيـة زيـارة الإمام الحسـين عليه السلام وفضلها، وكيفيّتهـا، وآدابهـا، وبركاتها، ممّا تعرّضـت له المئات من روايات أهـل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وكذا ورد الثواب على الزيارة في العشرات من الروايات إن لم تتجاوز المئة، ولذا لا طريق إلى التشكيك في كونها من العقيدة الإسلامية، وممّا ندبت إليه الشريعة.

وممّا يؤيّد تعظيم الدين لشخص الإمام الحسين عليه السلام ما ورد في بعض الروايات في شأن الزائر والمزور؛ إذ جاء في الحديث: «**عن زيد الشحّام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمَن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمَن زار الله في عرشه. قال: قلت: ما لمَن زار أحداً منكم؟ قال: كمَن زار رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3]، وهكذا ورد في زيارة الإمام غريب خراسان علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وفي بعـض الروايات مـا يؤكّد أنّ الزيارة هي باب من أبـواب التوقير والتعظيم

(١) الشرح: الآية ٤.

(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٣١٥. ويعلّق العلّامة بقوله: «ومن اللطف وقوع الرفع بعد الوضع في الآيتين»، ومراده بالآيتين: (ووضعنا) و(الذي أنقض)، وفي هذا تأكيد على أنّ الاصطفاء هو الاستخلاص من كلّ شائبة وكدورة.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ١٤٧.

للمعصومين عليهم السلام؛ إذ ورد: «**عن يونس بن أبي وهب القصري، قال: دخلت المدينة، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جُعلت فداك، أتيتك ولم أزر أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: بئسما صنعت، لولا أنّك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور مَن يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء، ويزوره المؤمنون؟**»[1]. ولا أبلَغَ من هذه الرواية دلالة على أنّ عظمة المزور استدعت زيارته، وأنّ تارك الزيارة بعيد عن أنظار المعصومين عليهم السلام وألطافهم.

ومن التعظيم أيضاً أنّه لا تُجدي الطاعات ولا تُقبل العبادات إلّا بعد الرجوع إليهم عليهم السلام؛ إذ فرض سبحانه على عباده التواصل معهم فرضاً لا يُعذر معه على الترك أبداً.

ولو تأمّلت أوّلاً في حقيقة العبادة، وأنّها الطريق الحتمي عقلاً وشرعاً للوصول إلى مرتبة العبودية ـ وهي الكمال الأعلى والغاية المثلى التي من أجلها خُلق الإنسان، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] ـ وتنبّهت ثانياً إلى دقّة الحدّ الفاصل بين التوحيد والشرك، وأنّ الإنسان بحاجة إلى الارتباط بالوجود المطلق، وخطورة تحويل النسبي إلى مطلق[3]، ثمّ لاحظت ثالثاً أنّه مع الخطورة المشار إليها قد قَرَن الله سبحانه ولايتهم عليهم السلام بالعبادات، إلى حدّ أنّه لم يقبل عبادة من دونها، لو تأمّلت كلّ ذلك أدركت عِظَم شأنهم عليهم السلام؛ وقد جاء في الحديث:

«**وبعد تركهم الإمام الذي نصّبه نبيّهم صلى الله عليه وآله لهم، فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة، حتّى يأتوا الله عزّ وجلّ من حيث أمرهم، ويتولّوا الإمام الذي أُمروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله عزّ وجلّ ورسوله لهم. يا أبا محمّد، إنّ الله افترض على أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله خمس فرائض: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، وولايتنا. فرخّص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخّص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة**»[4].

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٠.

(٢) الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) أُنظر: الصدر، محمّد باقر، نظرة عامّة في العبادات.

(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٧١.

ثالثاً: الزيارة قضية عقدية

هناك روايات متعدّدة واردة عن المعصومين عليهم السلام تأمر المؤمنين بزيارة الحسين عليه السلام، وتصرّح بوجوبها على المعتقدين بإمامته رجالاً ونساءً، كما جاء «**عن أبي جعفر عليه السلام، قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين؛ فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»(١).

وفي رواية أُخرى عن الصادق عليه السلام: «**يا أُمّ سعيد، تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم. فقال لي: زوريه؛ فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء**»(٢).

وهناك رواية ثالثة تحتّم على الزائر المعتقد أن يزور الحسين عليه السلام على الدوام، فقد سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام: «**وفي كم يسع الناس تركه؟ قال: أمّا القريب، فلا أقلّ من شهر، وأمّا بعيد الدار، ففي كلّ ثلاث سنين، فما جاز الثلاث سنين فقد عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقطع رحمه، إلّا من علّة**»(٣).

وممّا يستوحى من هذه النصوص الشريفة ـ وبخاصّة الرواية الأُولى ـ أنّ الزيارة ليست مجرّد مراسم، أو عمل عبادي، بل تمثّل علاقة وثيقة بالاعتقاد بإمامة الحسين عليه السلام؛ ولذا قد يقال: بناءً على الروايات المذكورة، فإنّ قول الإمام عليه السلام بوجوب الزيارة واستمرارها إنّما هو لأجل أنّ الزيارة تتفرّع من العقيدة الراسخة والمهيمنة على البدن والإحساس.

فالمؤمن يندفع بدافع من العقيدة والشوق إلى زيارة مَن يعتقد بإمامته، وأنّ ضعف الدافع النفسي والقلبي يدلّ على ضعف العقيدة والمحبّة القلبية؛ فإنّ عقيدة الشخص مجرّد أفكار ذهنية ثابتة بالدليل العقلي أو النقلي، وربّما لا تُترجم إلى عمل

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٣٦.
(٢) المصدر السابق: ص١٢١.
(٣) المصدر السابق: ص٢٩٧.

والتـزام، ككثير من أفعالنا المخالفة لما نعتقد، بل قد نخالف ما هو ضروري وبديهي، كالخـوف مـن الميّـت من أرحامنـا أو غيرهم، مع أنّـه لا يؤذينا، فالوجـوب هنا ليس بمعناه الفقهي، بل بمعنى أنّ رسوخ العقيدة يتمخّض عنه الشوق والاندفاع للزيارة، أي: إنّ عقيدة الشخص توجب ذلك.

رابعاً: فلسفة الزيارة بالنصّ المأثور من منظار آخر

إنّنا نرى أنّ للزيارة فلسفة أُخرى غير تعظيم الدين ومُشيّديه، وهي تعميق المعرفة والاعتقاد بالولي، ولذا أكّدت الروايات أنّ الثواب العظيم لا يتحقق لكلّ زائر، ولا يترتّب على كلّ زيارة، بل يترتّب على الزيارة المتقوّمة بالمعرفة، وقد ورد ذلك في حقّ أكثر من معصوم، كأمير المؤمنين والحسين والرضا وفاطمة المعصومة عليهم السلام، فقد جاء في الخبر: «**مَن زاره عارفاً بحقّه كتب الله له ثواب ألف حجّة، وألف عمرة، ألا ومَن زاره فقد زارني، ومَن زارني فكأنّما زار الله، وحقّ على الله ألّا يعذّبه بالنار**»[1].

فالزيارة المأثورة ـ كما أسلفنا ـ تعرّف الزائر بلسان أولياء الله بالمقامات الربّانية للمزور، ولعلّ المراد من (الحقّ) الوارد في النصّ (عارفاً بحقّه) هو هذا الاصطفاء الإلهي، وارتباطه الخاصّ بالله، ووجوب اتّخاذه قدوة وطريقاً إلى الله، وهذا ما ورد في الحديث من تفسير للمعرفة المطلوبة في الزيارة؛ إذ قال الراوي سائلاً الباقر عليه السلام: «**أتاك عارفاً بحقّك، يعلم أنّك حجّة الله على خلقه، وبابه الذي يؤتى منه**»[2]، فمعرفة حالات المزور ومقاماته تُعمّق الولاء والاعتقاد، وبها يتحقّق الغرض من الزيارة.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى إذا حصلت المعرفة المنشودة تفجّرت المشاعر عن آخرها؛ فقد جاء في الحديث المرتبط بثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً،**

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٥٢.
(٢) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٥٤٥.

وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات»[1]، وهذا شبيه بما عبّر به القرآن الكريم عندما وصف العلماء بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[2]. فالمعرفة والعلم يورثان أثراً بيّناً يعجز عنه البيان، وهذا من التفاعلات التي تزخر بها الزيارة المأثورة.

وقد حدّثنا التأريخ عن أثر بلاغة البيان وتأثير الكلام في إثارة المشاعر القائمة على المعرفة؛ فقد نُقل أنّ (ذعلب) الذي كان معروفاً ببلاغة خطابه، وشجاعة قلبه، سأل أمير المؤمنين عليه السلام أن يصف له ربّه، فذكر له أمير المؤمنين عليه السلام وصفاً بليغاً، «**فخرّ ذعلب مغشياً عليه، ثمّ قال: تالله، ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله، لا عدت إلى مثلها**»[3].

وقصّة همّام المعروفة حين طلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يصف له المتّقين، وكذا تعليق أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بقوله: «**أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها**»[4]. كلّ ذلك يفيدنا أنّ للعلم والبيان صناعة وتأثيراً كبيراً، فلاحظ إلى أيّ درجة بلغ أثر الكلام والعلم في الشعور والوجدان.

خامساً: الزيارة الحضورية وانتقال آثارها العقائدية من الفكر والقلب إلى الجسم

للعقيدة والمفاهيم انعكاسات وجريان في البدن، دلّ على ذلك القرآن الكريم، وروايات المعصومين عليهم السلام؛ إذ يقول عزّ وجلّ عن أثر القرآن الكريم في أبدان أهل الخوف والخشية: ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ﴾[5]. ويكفينا من كلمات المعصومين عليهم السلام كلام الإمام الحسين عليه السلام في وصف تأثير

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٥٣.
(٢) المائدة: الآية ٨٣.
(٣) الصدوق، محمّد بن علي، التوحيد: ص٣٠٦.
(٤) نهج البلاغة: ص٣٠٦.
(٥) الزمر: الآية ٢٣.

الإيمان والتوحيد في ذرّات جسده الشريف: «**وأنا أُشهدك يا إلهي بحقيقة إيماني، وعقد عزمات يقيني، وخالص صريح توحيدي، وباطن مكنون ضميري، وعلائق مجاري نور بصري، وأسارير صفحة جبيني... ومسارب صماخ سمعي، وما ضمّت وأطبقت عليه شفتاي، وحركات لفظ لساني، ومغرز حنك فمي وفكّي، ومنابت أضراسي... وما حوته شراسيف أضلاعي، وحقاق مفاصلي، وأطراف أناملي، وقبض عواملي، ودمي وشعري، وبشري وعصبي، وقصبي وعظامي، ومخّي وعروقي، وجميع جوارحي... أن لو حاولت واجتهدت مدى الأعصار والأحقاب ـ لو عمّرتها ـ أن أُؤدّي شكر واحدة من أنعمك، ما استطعت ذلك**»[1].

فهذا التوصيف الدقيق لسريان التوحيد في جسمه الشريف يثبت ـ بلا مرية ـ حقيقة تأثّر البدن بالاعتقاد، وانعكاس الاعتقادات الفكرية في القلب، وفي أدقّ تفاصيل البدن، بل إنّ البدن يتأثّر بفيضان الشعور حتى يغلب عليه، كما دلّ الحديث الشريف: «**لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**»[2].

إنّ الشخوص من الأوطان ـ نائية كانت أم دانية ـ لزيارة مشهد الإمام الحسين عليه السلام يجعل الجسد يشارك العقل والوجدان، فصعوبات السفر معروفة وملموسة، لكنّ الاعتقاد بمضامين النصوص المأثورة في الزيارة الحضورية يجعل الجسد يتقبّل العناء، ويتجاوز كلّ عقبة كأداء للحديث القائل: «**ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النيّة**»[3]. من هنا؛ نُدرك فارق الزيارة عند المشهد الحسيني، والزيارة عن بُعد؛ فإنّ حضور جسد الزائر يُعين على الارتباط بالمزور أكثر.

هذا؛ وإن قالوا: إنّ ارتباط الأرواح هو الأقوى والأشدّ أثراً؛ فإنّ الوصال

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة: ج٢، ص ٧٧. ومن هنا يزداد المعتقِد شنآناً على قاتل الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه قتل التوحيد عندما قتل أُمثولته.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٣١٨.

(٣) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٤٠٠.

الروحي يتطلّب قطع أشواط ومراحل، ولذلك قالوا: إنّ الذكر اللساني من مراحل الذكر القلبي، وكذا حضور الجسد؛ فإنّه أدعى إلى وصال الأرواح، ولهذا تشتاق الأرواح إلى زيارته عن قرب، وتهوى قلوب الواهين مجاورته، ومهما زارته القلوب عن بُعد يبقى أُوار شوق اللقاء متأجّجاً، فإذا شهد الجسد المشهد تعلّقت الروح به، وعزّ عليها الفراق.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أنّ الزيارة بالحضور في مشاهد الأولياء وإعمارها هو إعلاء للدين، وتقوية للمعتقدات، ولذلك حرص أعداء الدين على محو آثارهم ما استطاعوا، كما قالت السيّدة زينب عليها السلام لابن أخيها علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وهي تتحدّث له عمّا أُثِر عن أُمّ أيمن، عن فاطمة عليها السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيمَن يدفن شهداء كربلاء، في حديث مطوّل: «**وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه... وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا علوّاً**»[1].

وفيما يلي نستعرض أهم الأساليب التربوية العقائدية:

الأُسلوب الأوّل: تنوّع الخطاب بين العقلي والوجداني

إنّ التأمّل العابر في سيرورة موضوعات نصّ زيارة الأربعين يجعل القارئ يلمح بوضوح تنقّل النصّ المأثور بين أنواع من الموضوعات، ممّا يوحي إلى أنّ لهذا التنوّع والتنقّل مقصداً جوهرياً لا بُدّ أن يعيه الزائر، فالنصّ المأثور يبدأ من حيث بدأت العناية الإلهية بالمزور، من قصّة الاصطفاء إلى مرتبة ولي الله، وحبيبه، وخليله، ونجيبه، وسليل أصفيائه.

ليست هذه مجرّد أوصاف، أو فضائل، أو محاسن، وليست تفنّناً صرفاً في البيان والتعبير، بل هي جمل ترتقي باعتقادات الزائر إلى أن تقف به عند قطعية الجعل

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢٨، ص٥٧.

الربّاني، والمشيئة الإلهية في اختيار الإمام الحسين عليه السلام واصطفائه، وهي مشيئة ممتدّة من الأزل؛ إذ طالبت زيارة الأربعين الزائر بالإقرار العقائدي بالقول مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام: «**أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة**»[1].

ولا شكّ أنّ هذه العناية مستندة إلى الحكمة والمصلحة، وما يلزم ذلك من التسليم والتعبّد؛ فـ(الجعل) الذي صرّحت به الزيارة بعين اللفظ مرّات، وعبّرت عنه بتعابير جلية مرّات أُخرى، لا يُتنزّل فيه إلى مرتبة التشاور والخيرة، وهذا الجعل لم يختصّ بما ذكرناه من الاصطفاء، بل امتدّ ليتضمّن سيادة الخلق وقيادتهم، والحجّة الإلهية عليهم، وحماية الدين وأتباعه، ووراثته عليهم السلام لمهمّة الأنبياء ومسيرتهم، «**وجعلته سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجّة على خلقك من الأوصياء**»[2]، علماً بأنّ التصريح بقطعية الجعل الربّاني من الأساليب العميقة التي تعين على ترسيخ الجانب العقدي.

ويجدر التنويه هنا إلى أنّ زيارة الأربعين، وغيرها من الزيارات، تؤكّد على الاصطفاء، إلّا أنّ هذا الاصطفاء لم يتعلّق بفرد وشخصية واحدة، بل إنّ المشيئة الإلهية تعلّقت باصطفاء الجماعة على ما صرّحت به الآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3]، وقد نصّت عليه زيارة الأربعين: «**أشهد أنّك أمين الله، وابن أمينه**»[4].

ومقتضى الاصطفاء هو تفاوت العباد في خلوصهم وصفائهم، ووقوع الاختيار الإلهي (الاصطفاء) على الخالي من العيوب والشوائب منهم، فكلّ مَن لم يقع عليه الاصطفاء الإلهي لا يساوي (الآل) و(الحسين عليه السلام) في الخلوص والنقاء، سواء قلنا:

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١١٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) آل عمران: الآية ٣٣.
(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١١٣.

إنّ الاصطفاء هو بإيجاد الشخص خالياً من العيوب والشوائب، أو باختيار الخالص من العيوب من بين الكلّ، كما قال الراغب الإصفهاني في (مفرداته)[1]؛ فإنّ المعنى الثاني يرجع إلى الأوّل البتة.

وإذا عُدّي كلّ من (الاصطفاء) و(الاختيار) بـ(على) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] ـ فذلك ببركة بلاغة التضمين؛ إذ يُضمّن كلّ منهما معنى إضافياً عقائدياً، وهو تفضيلهم وتقديمهم على غيرهم مهما بلغ شأناً؛ فإنّ غيرهم لا يرقى إليهم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير**»[3].

وبعد تأكيد النصّ ربّانية الشخصية الحسينية، انتقل إلى التصريح بالظلم الذي جرى على مَن اختارته المشيئة الإلهية، ومَن وهبته مقامات القرب، «**حتى سفك في طاعتك دمه، واستبيح حريمه**»[4]، وبذلك يثير النصّ في وجدان المتلقّي بُعداً عظيماً للجناية.

فلربّما نجد شبيهاً للمذبحة التي جرت على الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه من بعض الجهات في بعض الأزمان، إلّا أنّ النصّ يجعل ذهن المتلقّي ووجدانه ـ قارئاً كان أو مستمعاً ـ بمنأى عن فكرة المقاربة بين قتل الحسين عليه السلام وقتل غيره؛ لما تذكره هذه الزيارة ـ وغيرها من زيارات الإمام الحسين عليه السلام ـ من المقامات، كارتباطه عليه السلام بالسماء، ومراتبه الرفيعة، من ولي الله إلى حبيبه، ومن خليل الله إلى نجيبه، ومن اصطفائه من المصطفين إلى التأكيد على فوزه بالحبوة الإلهية... بل تجعل القارئ يستغرق في مداليل هذه المقامات، والخصائص الإلهية التي خصّه الله بها دون غيره، والظلم الذي جرى عليه.

(١) أُنظر: الراغب الإصفهاني، حسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن: ص٤٨٨.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٩، ص ١١٦.
(٣) نهج البلاغة: ص٤٨.
(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١١٣.

ومن استحكام البناء المعرفي والعقائدي، وتوجّه الشعور والوجدان نحو القدوة الحقيقية، يتحقّق التوازن في شخصية المؤمن، ونضمن استقامته، وسلامة سلوكه؛ لأنّ كلّاً من الاستقامة والثبات وعدم التذبذب في الشخصية يرتكز على البنية المعرفية، أي: معرفة الولاية والولاة، كما في الخبر: «**إذا عرفت الحقّ، فاعمل ما شئت من خير يقبل منك**»[1]، فتأمّل تدرك ابتناء العمل المقبول على العقيدة الحقّة والمعرفة السليمة.

الأُسلوب الثاني: التعمّق في نصّ الزيارة المأثور لتعميق التولّي والتبرّي

إنّ التولّي والتبرّي مقولة تتماهى فيها المفاهيم والأحاسيس، والالتزام العملي الذي قد يتفاوت في شدّته تبعاً لوضوح المفاهيم وسلطان الشعور، ممّا يدلّ على أُسلوب تربوي عقائدي، وهو أنّ الذي يديم الزيارة قراءةً، وبطريق أولى حضوراً عند مشهد الولي، و«**قليل يدوم خير من كثير ينقطع**»[2]، يفيض تولّياً وتبرّياً، كما نصّت الزيارة: «... **وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتّى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوّكم**»[3].

والسرّ في ذلك أنّ المداومة على الزيارة تُفضي إلى استحكام مفاهيم النصّ في الإدراك، مشفوعاً باستفاضة الشعور في الوجدان، فيتلاحم الفكر والشعور، فيدرآن عن اللبّ والقلب كلّ ما يغاير ذلك من صنوف الصوارف، وأنواع الشواغل.

ولمزيد من التوضيح نقول: إنّ القلب إذا انشغل بشيء امتنع عن أن يشتغل بشيء آخر، فإنّه ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[4]، فكثرة اشتغال العقل والقلب

(١) الصدوق، محمّد بن علي، معاني الأخبار: ص١٨٢.
(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمّد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٨١.
(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٤.
(٤) الأحزاب: الآية ٤.

بشيء تمنع كلّ ما يغاير ذلك الشيء من الاستحواذ على القلب، أو التسرّب إليه، ويُعين ذلك على اشتعال الوجدان، وتقوّي الجنان، فإذا أعمل الزائر فكره، ووجّه إلى ما بين سطور الزيارة عقله، تأصّل في عقله وقلبه الولاء للأولياء، واشتدّ فيهما التبرّي من الأعداء.

وهذا لا يختصّ بالزيارات، بل يجري في كلّ العبادات التي يتأكّد فيها التكرار، كتلاوة القرآن، وقراءة الأذكار العامّة والخاصّة، والأدعية، بل الصلوات اليومية، وغير ذلك؛ ومن هنا ندرك سرّاً من أسرار الحثّ على تكرارها من جهة، وكيفية أدائها بالتدبّر والتفكّر من جهة أُخرى، فتكرار العبادة مع تقليب الفكر والتدبّر فيها ينقل الإيمان من الاستيداع إلى الاستقرار ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[1].

الأُسلوب الثالث: التحذير من تضييع الاعتقاد بالوقوع في مصيدة الهوى

لا شكّ أنّ الهبات الإلهية تستدعي تكليفاً وحركة وجهداً، وبذلاً من الموهوب له، فبعد كلّ هذه العنايات الربّانية ـ «**صفيّك وابن صفيّك، الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة، وحبوته بالسعادة**»[2] ـ تقف زيارة الأربعين لتوضّح الأداء الحسيني للتكليف إثر هذا الاصطفاء الذي تبعه التزام؛ فالحسين عليه السلام دعا الأُمّة بما لا يدع لها مجالاً للاعتذار، وبالغ في النصيحة، إلى أن قدّم لله عزّ وجلّ الدماء، وسيقت حرمه كالإماء، «**حتّى سفك في طاعتك دمه، واستبيح حريمه**»[3].

ولا شكّ أنّ هذا النوع من البيان يهيّئ في فكر التالي للزيارة ووعيه وروحه أنّ أداء التكليف والمهمّة يتطلّب تضحية، وأنّ للتضحية في التكليف مديات متفاوتة،

(١) الأنعام: الآية ٩٨. جاء في تفسير علي بن إبراهيم القمّي: ج١، ص٢١٢: «المستقرّ: الإيمان الذي يثبت في قلب الرجل إلى أن يموت. والمستودع: هو المسلوب منه الإيمان».
(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١١٣.
(٣) المصدر السابق.

وهذا التوصيف لأداء التكليف يشير إلى هذا التوازي: لكلّ تشريف تكليف يناسبه، ولكلّ عطاء إلهي عزيمة وإرادة خاصّة، ووعي بدرجته.

ومن هنا؛ يفهم الزائر بهذا النصّ أنّ عظم المسؤولية التي أُنيطت بالحسين عليه السلام ـ وهي محاربة الجهل، واستنقاذ العباد منه، وإرشادهم إلى خطّ الهداية، وإبعادهم عن الحيرة والتيه ـ تتناسب مع هذه العطاءات الإلهية.

والقارئ للزيارة يقف متأمّلاً في مهمّة الإصلاح التي ينوء بثقلها ذوو الخبرة والاختصاص، والتي ورثها الحسين عليه السلام من الأنبياء، وحمل مشعل مسيرتها في نهضته، فليست هذه المهمّة هي تحرير أرض، أو استعادة مال، أو ... بل إصلاح النفوس، وتحرير العقول، وهذا ما سعى النصّ لتقريره عندما قال: «**ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة**»[1].

وهنا لا بدّ من التنويه إلى مسألة جوهرية في الهدف من نهضة الحسين عليه السلام، وهي أنّ الحسين عليه السلام وإن قال مقولته المشهورة التي تدلّ على عدم رضاه عليه السلام عن الحاكم وحكومته: «**يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله...**»[2]، إلاّ أنّ الحكم هو سيلة، وليس هدفاً، تماماً كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حواره مع ابن عبّاس:

«**...فأتيته، فوجدته يخصف نعلاً، فقلت له: نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منّا إلى ما تصنع، فلم يكلّمني حتّى فرغ من نعله، ثمّ ضمّها إلى صاحبتها، ثمّ قال لي: قوّمها. فقلت: ليس لها قيمة. قال: على ذاك. قلت: كسر درهم. قال: والله، لهما أحبّ إليّ من أمركم هذا، إلّا أن أُقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً**»[3].

فالهدف هو إقامة الدين، وهداية الناس، وبسط القسط، وليس الحكومة على الناس؛ فلا يصحّ الخلط بين الوسيلة والهدف.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٥ .

(٣) المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج١، ص٢٤٧.

ثمّ انتقل نصّ الزيارة من أداء الحسين عليه السلام لتكليفه إلى بيان سوء مصير الأعداء؛ إذ أكّد على أنّ الموازين العقلية انقلبت لدى القوم، وباءت تجارتهم بالفشل، فباعوا الثمين بالأخس، والعالي بالأدنى، فالغرور قهر التدبّر، والهوى صرع التفكّر، والتبعية لأهل التلوّن في المواقف والمنافقين ومروّجي الشقاق والنزاع شدّ نزعتهم إلى المعاداة: «... **وقد توازر عليه من غرّته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدنى، وشرى آخرته بالثمن الأوكس، وتغطرس وتردّى في هواه، وأسخط نبيّك، وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المستوجبين النار...**»[1].

ومن هذا الانتقال للنصّ ندرك أنّ وجوب العمل بالتكليف، والتحذير من انقلاب الموازين، واتّباع الهوى، توجيه عقدي يُحذّر الزائر من التردّي فيه.

الأُسلوب الرابع: التربية العقائدية بالتلقين والتثبيت إلى التسليم

بعد هذه الصحوة العقدية، واليقظة الوجدانية في طيّات عبارات هذه الزيارة، يُطلب من الزائر الإقرار بالسيرة الحميدة المرضية من الله للإمام الحسين عليه السلام، والإقرار بالتزامه بما أمره الله به؛ ليكون هذا الإقرار والشهادة تثبيتاً لمبدأ الاقتداء: «**عشت سعيداً، ومضيت حميداً، ومتّ فقيداً مظلوماً شهيداً**»[2]، وهذا هو أُسلوب القرآن، ودأبه في تحكيم المعتقد، فبعد أن قصّ على نبيّه أنباء ما قد سبق، أمره بالاقتداء: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3].

ويرشدنا النصّ كذلك إلى مبدأ مهمّ في التنشئة العقائدية، وهو أنّ انعقاد القلب على عقيدة ما يحتاج إلى تجذير واستكمال عن طريق الإقرار والشهادة، وأنّ الإيمان والعقيدة لا يكفي فيهما الاعتقاد القلبي، بل هو جزء من المعتقد، وهذا ما جاء في

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١١٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الأنعام: الآية ٩٠.

الحديث: «**عن عبد الرحيم القصير، قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أساله عن الإيمان ما هو؟ فكتب إليّ مع عبد الملك بن أعين: سألت ـ رحمك الله ـ عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان، وعقد في القلب، وعمل بالأركان**»[1]. فالإيمان مركّب من أجزاء، يؤثّر بعضها في بعض، كما في الخبر: «**إنّ الإيمان عشر درجات**»[2]، فالإقرار بالعقائد سبب لتثبيت العقائد القلبية، والعقائد سبب للأعمال البدنية.

وإن رجعنا إلى متعلّقات الإقرار الواردة في زيارة الأربعين، وجدنا فيها عوداً على بدء النصّ الذي أكّد ربّانية الشخصية الحسينية، والعناية الإلهية بها: «**أشهد أنّك كنت نوراً... وأنّك من دعائم الدين... وأنّك الإمام البرّ التقي...**»، كلّ ذلك تثبيت للمعتقدات، إلى أن يختتم بالموقف الحاسم، وهو التسليم بالقول: «... **وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتّى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوّكم**»[3].

هكذا بلسان التأكيد، وحال القاطعية، يخاطب نصّ الزيارة عقل المخاطب وفكره، ليرسو بهما عند الائتمار، والانقياد، والتسليم، والاستعداد، ثمّ ينتقل مجدّداً إلى مخاطبة الوجدان، ليقرّر في الختام أنّ القدوة التي تمّ اجتباؤها هي خيرة الله على كلّ المستويات، في الروح والجسم، والغيب والشهادة، فيصل التسليم بالتعظيم إلى أبلغ درجاته، فيقول: «**صلوات الله عليكم، وعلى أرواحكم وأجسادكم، وشاهدكم وغائبكم، وظاهركم وباطنكم**»[4].

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٧.
(٢) المصدر السابق: ج٣، ص١١٥.
(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٤.
(٤) المصدر السابق.

الأُسلوب الخامس: نزاهة المزور عقائدياً توجب الاقتداء به

وتؤكّد الزيارة أنّ الإمام الحسين عليه السلام في حصن عقائدي حصين، لا يتأثّر بأيّ لون من ألوان الانحراف: «**لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك المدلهمّات**[1] **من ثيابها**»[2]، ممّا يدفع إلى الاقتداء به؛ لأنّ المنزّه من الجهل والخبائث هو الأجدر بالاتّباع، والأحقّ بالإمامة الإلهية؛ فإنّه ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3].

فقد بدأ النصّ في هذا الموضع بالشهادة على أنّ الوجود الحسيني هو وجود نوراني في منبته (كنت نوراً)[4]، ثمّ بقي مصوناً في تدرّجه بين الأصلاب والأرحام (لم تنجسك... لم تلبسك)، إلى أن غدا أُمثولة وقدوة (من دعائم الدين، وأركان المسلمين)[5]. فتأمّل كيف تنقّل النصّ في توصيف طهارة أصل الإمام الحسين عليه السلام، واستقامة سلوكه، وهذا ما يستدعي توجّه العقل والوجدان إليه، واقتفاء آثاره، والاقتداء بمسيرته.

الخاتمة

إنّ التسليم بأنّ العترة الطاهرة عليهم السلام هم عدل القرآن، والمفسّر والترجمان الأصيل له، وأنّه لا يمكن أن نحصل على مقاصد القرآن الكريم التامّة الكاملة إلّا بوسيلتهم، يجعلهم في مقام تتوجّه إليه الأُمّة فكراً والتزاماً وتوقيراً واحتراماً. وبجملة واحدة: يجعل لهم المرجعية العلمية والعملية والمعنوية، ولمّا وجب تعظيمهم وجب توجيه القلوب والعقول والشعور إليهم، وذلك عن طريق زيارتهم.

---

(١) المُدْلَهِم: الأسود المظلم.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١١٤.

(٣) البقرة: الآية ١٢٤.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١١٤.

(٥) المصدر السابق.

إنّ تواتر مضامين هذه الزيارة، وتنوّع محطّاتها التوجيهية للعقل، والمثيرة للوجدان، يؤكّد انضواء منهجية تربوية فيها، فمع التأمّل في نصّ الزيارة تلمّسنا هذه المنهجية الخاصّة في تنمية العقيدة؛ إذ بدأت بالتعريف بمقامات الأولياء ـ وفي مقدّمتها اصطفاؤهم منذ الأزل ـ ثمّ مرّت بتصوير مأساة الحسين عليه السلام التي تنفذ في وجدان الزائر، وتزداد نفوذاً عند ملاحظة أنّه خيرة الله، فلا يدانيه مخلوق في الفضل، وبذلك تتمّ الاستعانة بإثارة الوجدان لتثبيت العقيدة. وتشير الزيارة إلى أنّ التحصين العقائدي من المزايا الضرورية للقدوة، وممّا يشدّ إلى الاقتداء بها.

ويُفهم من الزيارة ضرورة تغيير الأُسلوب التربوي في العقيدة من التلقين إلى التثبيت، ثمّ التسليم؛ ففي العقيدة يجتمع عمل القلب واللسان والأركان، ويُفهم كذلك أنّ الزيارة الحضورية لها امتيازها وأثرها الكبير في الجسد الذي يتبادل التأثير مع الروح، وأنّ العقيدة إن ترسّخت واشتدّت أوجبت الزيارة على الزائر، لتتمثّل في سلوك مستقيم لا اعوجاج فيه.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمّد بن محمّد بن النعمان الشيخ المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.

٢ . بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣ . تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمّد الآمدي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ.

٤ . تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، دار الكتاب، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٥ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.
٦ . التوحيد، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، جماعة المدّرسين، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٣٩٨هـ.
٧ . الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧هـ.
٨ . كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي، دار المرتضوية، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٤٣٧هـ.
٩ . المزار الكبير، محمّد بن جعفر المشهدي، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٩ هـ.
١٠ . معاني الأخبار، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣هـ.
١١ . مفردات ألفاظ القرآن، حسين بن محمّد الراغب الإصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.
١٢ . مَن لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
١٣ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
١٤ . نهج البلاغة، محمّد بن الحسين الشريف الرضي، الهجرة، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

زيارة الأربعين

دورة تربوية تعبوية

الشيخ جميل الربيعي

باحث إسلامي وأُستاذ في الحوزة العلمية ـ النجف الأشرف

The Ziyara of Arbaeen

– An Educational and Mobilizational Course

Shaykh Jamil al-Rubayie

Islamic researcher and lecturer

at the Islamic Seminary – Holy Najaf

ملخّص البحث

تنـاول البحث زيارة الأربعين بوصفهـا دورة تربوية وتعبوية؛ لبيان مجموعة من الأبعاد الإيمانية والفكرية المستوحاة من نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام، ممّا له دور أساسي في بناء شخصية الإنسان، وتربيته على أُسس دينية، ومبانٍ فكرية سليمة.

ومـن خلال التأمّل في نصـوص زيارات الإمام الحسـين عليه السلام، وتحليل مضامينها الشريفـة، تنـاول البحـث مجموعة مـن الأبعـاد الفكريـة، والروحيـة، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسـية، التي تُستفاد من تلك النصوص القويمة، والتي تدلّ على أنّ زيـارة الأربعين هي عملية إعداد تربوي وتعبوي للإنسـان المؤمن عموماً، ولزائر سـيّد الشهداء عليه السلام خصوصاً؛ من أجل المسير في طريق ذات الشوكة، وإعداده إعداداً رسالياً؛ لمواصلة الكدح إلى الله تعالى؛ وليكون صالحاً ومصلحاً ومغيّراً للواقع الفاسد السقيم إلى واقع صالح سليم.

الكلـمات المفتاحيـة: نصـوص الزيارات، زيـارة الأربعـين، دورة تربوية، دورة تعبوية، أبعاد الزيارة.

Abstract

The article studies the Ziyara of Arbaeen as an educational and mobilization course, in order to clarify a set of faith-based dimensions inspired by the texts of the Ziyaras of Imam al-Husayn (PBUH). These texts are essential in building personality and education on religious foundations and sane intellectual principles.

From this point, and by contemplating the texts of the Ziyaras of Imam al-Husayn (PBUH) and analyzing their noble content, the article dealt with a series of intellectual, spiritual, ethical, social, and political dimensions derived from those noble texts and indicative that the Ziyara of Arbaeen is a process of educational and mobilizational preparation. A preparation of the believers in general, and the visitors of the Master of Martyrs (PBUH), in particular. This preparation of the visitors aims to support them in continuing the path of hardship and be equipped with propagative preparedness to keep striving towards Allah Almighty. It also seeks to make the visitors righteous, reformative, and agents who change the corrupt and diseased reality to a healthy and better one.

Keywords: Ziyara-texts, Ziyara of Arbaeen, educational course, mobilizational course, dimensions of the Ziyara.

مقدّمة

من الحقائق التي يجب أن نعيها جيّداً أنّ كلّ عقائد الإسلام، وشرائعه، وأحكامه، وشعائره، ونظمه، وآدابه ـ سواء كانت واجبة، أم مستحبّة، أم محرّمة، أم مكروهة، أم مباحة ـ لها دور فعّال في بناء شخصية المؤمن، وتوجيه مسيرته إلى ما فيه صلاحه، وحمايته من الوقوع في مفارقات سلوكية أو فكرية أو أخلاقية، ممّا يؤدّي إلى ضرره وتعبه وشقائه.

فكلّ المنظومة الفكرية والتشريعية في الإسلام تهدف إلى وضع الإنسان على جادّة الصواب؛ ليكون متوازناً في سلوكه، سواءٌ مع ربّه، أو مع نفسه، أو مع مجتمعه، أو مع الطبيعة، بل مع الكون أجمع، فما خلق الله شيئاً وسخّره للإنسان إلّا لسعادته في الدنيا والآخرة؛ ليضعه على مدرجة الكمال، وليرتقي به في كلّ عمل يؤدّيه لله مرتبةً من مراتب الكمال التي وضعها الله للإنسان، وليكتمل في كدحه إلى الله، ويكون مؤهّلاً للخلود في دار رحمة الله.

ولعلّ هذا مصداق ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم؛ لأنّه لا تضرّه معصية مَن عصاه، ولا تنفعه طاعة مَن أطاعه، فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم**»[1].

فلكلّ مفردة من مفردات التشريع الإسلامي في الأحكام الخمسة دور في توجيه حركة الإنسان إلى الله تعالى.

ولربّما يكون مفهوم السير في النور الإلهي مشيراً إلى هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا

(١) نهج البلاغة: ص٣٠٣، الخطبة ١٩٣.

﴿تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، أي: هداية يهتدون بها؛ فقد قيل: «**النور القرآن، وفيه الأدلّة على كلّ حقّ، والبيان لكلّ خير، وبه يستحقّ الضياء الذي يمشي به يوم القيامة**»[2].

والحقّ «**أنّ للاية مفهوماً مطلقاً واسعاً حسب الظاهر، لا يختصّ بالدنيا فقط، ولا بالآخرة فحسب. وبتعبير آخر: فإنّ الإيمان والتقوى هي التي تسبّب زوال الحجب عن قلوب المؤمنين؛ حيث يتبيّن لهم وجه الحقيقة واضحاً... وفي ظلّ الإيمان والتقوى هذين سيكون للإنسان وعي وبصيرة**»[3].

ومن هذه الأنوار أنوارُ الأئمّة المعصومين عليهم السلام، الذين هم عدل القرآن الكريم؛ لقول الرسول صلى الله عليه وآله المتّفق عليه: «**خلّفت فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا**»[4]. كما جاء في بعض الروايات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾: «**مَن تمسّك بولاية علي، فله نور**»[5]، وفي نصّ آخر عن جابر الجعفي، قال «**سألت أبا جعفر** عليه السلام **عن قول الله** عزّ وجلّ: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾؟ **قال: يجعل لكم إماماً تأتمّون به**»[6].

والتعبير عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام بالنور فيه إشارة صريحة إلى ما يحملونه من

---

(١) الحديد: الآية٢٨.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٩، ص٤٠٥.

(٣) مكارم الشيرازي، ناصر، التفسير الأمثل: ج ١٨، ص٩٥.

(٤) حديث مشهور متواتر رواه مسلم في الصحيح، والترمذي في جامعه، والدارمي في سننه، وأحمد في مسنده ومناقبه، والطبراني في معاجمه، والبيهقي في سننه وفي الاعتقاد، وابن سعد في طبقاته، والحاكم في مستدركه، وابن المغازلي في مناقبه، والفسوي في المعرفة والتاريخ، والهيثمي في مجمع الزوائد، وأبو يعلى في مسنده، والسيوطي في خصائصه، وابن حجر في صواعقه، وغيرهم. وحسبك قول ابن حجر: «ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً، لا حاجة لنا إلى بسطها». الهيتمي، أحمد بن حجر، الصواعق المحرقة: ص٢٢٨.

(٥) الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد، شواهد التنزيل: ج٢، ص ٣٠٩.

(٦) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢٣، ص٣١٩.

معرفة بالله ورسوله، وما يتحمّلونه من مسؤولية نشر هذا النور لهداية الخلق إلى الله تعالى، فالنور الذي يمشي به الإنسان إلى الله يتمثّل في الوعي الإيماني في طريق الهدى الذي يضيء للناس طريقهم، فلا تشتبه عليهم المواقف، ولا تنحرف بهم المواقع، كما يضيء لهم آفاق الفكر فيما يواجهونه من شبهات وإشكالات في الآخرة[1]، «**وقيل: تمشون به في الناس: تدعونهم إلى الإسلام**»[2].

وتقييدُ هذا النور بالنور الذي يمشي المؤمنون به في الآخرة، والذي أُشير إليه بقوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[3] «**تقييدٌ من غير دليل، بل لهم نورهم في الدنيا، وهو المدلول عليه بقوله تعالى:** ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[4]، **ونورهم في الآخرة، وهو المدلول عليه بقوله:** ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾[5]»[6].

وتأسيساً على ذلك يحتاج الائتمام بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام إلى تواصل عملي، ومن جملة وسائل التواصل زيارة قبورهم ومشاهدهم الشريفة، ويمثّل هذا الأمر جزءاً من الوفاء لبعض حقوقهم، ولعلّ هذا ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ لكلّ إمام عهداً في أعناق شيعته وأوليائه، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمَن زارهم رغبةً في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كانوا شفعاءه يوم القيامة**»[7].

---

(١) أُنظر: فضل الله، محمّد حسين، من وحي القرآن: ج٢٢، ص٥٢.
(٢) القرطبي، محمّد بن أحمد، تفسير القرطبي: ج١٧، ص٢٦٧.
(٣) التحريم: الآية٨.
(٤) الأنعام: الآية١٢٢.
(٥) الحديد: الآية١٢.
(٦) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص١٧٤.
(٧) المفيد، محمّد بن محمّد، المقنعة: ص٤٧٤.

والعهد هنا «**بمعنى: اليمين، والأمان، والذمّة، والحفاظ، ورعاية الحرمة، والوصية**»[1]، فالزيارة التي تؤدّى عن معرفة ووعي واعتقاد سليم بإمامتهم عليهم السلام، ورغبة في الالتزام بهداهم، وتصديق وامتثال لما أمروا به، هي تعهّد، والتزام، وتسليم لأمر الله تعالى؛ ولذلك نجد التأكيد المتواصل بروايات متواترة لأداء الشعائر؛ لما لها من أثر بالغ في تربية الإنسان، وإعداده لتحمّل مسؤوليّته الشرعية، شريطة أن يعي أبعادها الإيمانية والفكرية والروحية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية؛ لتكون الزيارة عملية للبناء الروحي والفكري، والتربية الإسلامية التي تضع الإنسان على الصراط المستقيم.

أبعاد زيارة الأربعين

ممّا لا شكّ فيه أنّ أفضل ما يوضّح أبعاد الزيارة وفلسفتها هو النصوص الواردة عنهم عليهم السلام في كيفية زيارتهم من حيث آدابها وأُصولها وألفاظها من بداية الشروع فيها؛ ولهذا يمكن أن نستوحي أبعاد زيارة الأربعين من النصوص الشرعية الواردة في مختلف الزيارات، فلها أبعاد: فكرية، وروحية، وأخلاقية، واجتماعية، وسياسية... ومن هذه الأبعاد:

البعد الأوّل: البعد الفكري التوحيدي

حين نتأمّل في بعض آداب الزيارة نجد أنّ كلّ خطوة يخطوها الزائر تحمل بعداً توجيهياً يقرّبه إلى الله تعالى، ومثال ذلك أنّه ممّا يستحبّ للزائر أن يُكثر من التكبير والتهليل، والثناء على الله عزّ وجلّ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، قائلاً: «**الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ**»[2].

(١) أُنظر: المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين: ج٥، ص٣٦٠.
(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١٩.

فهذه الأذكار إنّما يستحبّ قولها لتركيز دعائم التوحيد في النفس، ولا يُكتفى بذلك، بل كلّما تقدّم الزائر خطوة نحو الضريح المقدّس ازداد تضرّعاً وتوجّهاً إلى الله، مستسلماً إليه، خاشعاً له، وطالباً منه الرحمة والمغفرة، حيث يقول: «**اللهمّ، إنّي إليك وجّهت وجهي، وإليك فوّضت أمري، وإليك أسلمت نفسي، وإليك ألجأت ظهري، وعليك توكّلت، لا ملجأ ولا منجى إلّا إليك، تباركت وتعاليت، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك**»، ثمّ يقول: «**بسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، على الله توكّلت، وإليه أنبت، فاطر السماوات السبع، والأرضين السبع، وربّ العرش العظيم**»[1].

كلّ هذه الأذكار تُرسّخ منهج التوحيد الخالص في النفس، وتزكّيها، وتطوّعها لله تعالى؛ حتّى يُصبح الزائر مستسلماً لله، مفوّضاً أمره إليه، متوكّلاً عليه، ومع كلّ خطوة يزداد حياءً من الله تعالى، وخشية منه؛ ولهذا تجده يقول: «**بسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، وخير الأسماء كلّها لله، توكّلت على الله، لا حول ولا قوة إلّا بالله، اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وافتح لي أبواب رحمتك**»[2].

تلك هي حالة التجرّد الكامل، والاستسلام التامّ لله (جلّ جلاله)، وما أروعها من كلمات تحيي القلوب، وتوقظ الضمائر، وتزكّي النفوس، وتنفض غبار الغفلة والنسيان! بشرط أن تقال بفهم ووعي وصدق وإخلاص، وإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله واليوم الآخر: «**بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله...**»[3]، فهنا يتجرّد الإنسان من نوازعه الذاتية، فلا يتّكئ على حوله وقوّته، بل يستسلم استسلاماً كاملاً لله، فلا يملك لنفسه نفعاً، ولا ضرّاً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، ويكون

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٤.
(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٣٢.
(٣) المصدر السابق: ص٢٠.

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]، وبهذا المنهج الدقيق تترسّخ روح التوحيد لله تعالى.

إذاً؛ زيارة المطهّرين من آل محمّدﷺ هي ـ في حقيقتها ـ رحلة تربوية تعبوية؛ لتعميق الإيمان بالله، والخشية له، والخوف منه، والحبّ له، وإذا أراد الزائر أن يتقدّم أكثر حين يستقبل المرقد الشريف، تراه يقول: الله أكبر ثلاثين مرّة، ويردّد من أعماق قلبه: «**لا إله إلّا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلّا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلّا الله مع علمه منتهى علمه، والحمد لله في علمه منتهى علمه**»[2].

فالزيارة ـ في واقعها ـ خطوة في الكدح إلى الله، والتجرّد له في كلّ جوانب الحياة، وهي تطهّر النفس من دنس حبّ الدنيا. وبتعبير آخر: هي استمداد الإيمان بتوحيد الله من خلال التمحّض في الله، والتوجّه إليه، والإخلاص في الدعاء، وبذلك يكون الزائر مصداقاً حقيقياً للموحّد في كلّ قول وفعل، بل في كلّ نَفَسٍ وخَطرة قلب.

وبهذا تكون الزيارة حركة نحو التكامل، بالسعي إلى الكامل المطلق جلّت عظمته، وبالسير في سكينة ووقار وخشوع، مكبّراً، مهلّلاً، حامداً لله، ممجّداً له، حيث يقول: «**الحمد لله الواحد المتوحّد بالأُمور كلّها، خالق الخلق، ولم يعزب عنه شيء من أُمورهم، وعَلِمَ كلّ شيء بغير تعليم، صلوات الله وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه ورسله أجمعين، على محمّد وأهل بيته الأوصياء، الحمد لله الذي أنعم عليّ، وعرّفني فضل محمّد وأهل بيتهﷺ**»[3].

وممّا لا شكّ فيه أنّ ذلك ممّا يرسّخ روح التوحيد وجوهره في روح الزائر وقلبه وضميره، وهو يقف بخشوع وخضوع على باب وليّ الله تعالى، موحّداً لله، مناجياً له: «**أشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله، وأمين الله على خلقه، وأنّه سيّد الأوّلين والآخرين، وأنّه سيّد الأنبياء والمرسلين. سلام**

(١) الأعراف: الآية١٨٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٩.

(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٧٦.

على رسول الله. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ»[1].

وبهذه الأذكار يتدرّج في سيره التكاملي؛ ليرتقي إلى معرفة الله وتوحيده في كلّ خطوة وقول وفعل وحركة ونَفَسٍ يقصد به وجه الله تعالى.

البعد الثاني: الاتّصال بمسيرة الأنبياء والمرسلين

لا بدّ من الاتّصال بمسيرة الأنبياء والمرسلين على طول حركتهم عليهم السلام، وهذا البعد يتفرّع من الأصل الأوّل، وهو البعد التوحيدي، ولتأصيل هذا البعد وترسيخه في النفوس جاءت الزيارة المعروفة بزيارة وارث؛ لتربط الزائر بحركة الأنبياء عليهم السلام منذ بداية حركة النبي الأوّل آدم عليه السلام إلى خاتم الرسل صلى الله عليه وآله، وليكون حلقة مرتبطة بمسيرة الأنبياء المتّصلة، والمتواصلة، والمترابطة، فلا فرق بين أحد من الأنبياء والمرسلين، إلّا ما تقتضيه ظروف الزمان؛ وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2].

ولهذا جاء نصّ الزيارة صريحاً واضحاً جلياً؛ لربط الزائر بهذه الحركة المباركة، كما روى المفضّل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمّد حبيب الله، السلام عليك يا وارث علي وصي رسول الله، السلام عليك يا وارث الحسن الرضي، السلام عليك يا وارث فاطمة بنت رسول الله...**»[3].

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٤٠٠.

(٢) البقرة: الآية١٣٦.

(٣) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٢، ص٤٩١.

يقول سيّد قطب في هذا الصدد؛ لتأكيد هذه الحقيقة: «**وبذلك يقرّر الحقيقة... حقيقة الأصل الواحد، والنشأة الضاربة في أُصول الزمان، ويضيف إليها لمحةً لطيفةَ الوقع في حسّ المؤمن، وهو ينظر إلى سلفه في الطريق الممتدّة من بعيد، فإذا هم على التتابع، هؤلاء الكرام: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمّد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويستشعر أنّه امتداد لهؤلاء الكرام، وأنّه على دربهم يسير.**

إنّه سيستروح السير في الطريق، مهما يجد فيه من شوك ونصب، وحرمان من أعراض كثيرة، وهو برفقة هذا الموكب الكريم على الله، الكريم على الكون كلّه منذ فجر التاريخ، ثمّ إنّه السلام العميق بين المؤمنين بدين الله الواحد، السائرين على شرعه الثابت، وانتفاء الخلاف والشقاق، والشعور بالقربى الوثيقة التي تدعو إلى التعاون والتفاهم، ووصل الحاضر بالماضي، والماضي بالحاضر، والسير جملة في الطريق»[1].

فهكذا تكون الزيارة ـ إذاً ـ عملية تواصل شعوري ووجداني وإيماني برسل الله وأوصيائهم عليهم السلام على طول التاريخ ما امتدّت الدنيا، ونصبهم شعورياً رموزاً ونماذج للاقتداء والاحتذاء والتأسّي في المجالات كافّة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[2].

وبوعي هذا البعد الرسالي يصبح التواصل والارتباط بحركة الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم الطاهرين عليهم السلام منهجاً فكرياً وروحياً عظيماً يسري في أعماق قلب الزائر، ويملأ جوانحه، ويستولي على ضميره، فلا يستوحش في مواجهة العقبات الكؤود التي تقف في طريق ذات الشوكة، بل يتجاوزها بتأسّيه واقتدائه بالمطهّرين من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين، فإذا بالزيارة تتحوّل في نفس الزائر إلى عملية تعامل فكري وروحي وأخلاقي؛ ليكون الإنسان الذي أراده الله تعالى، عارفاً،

(١) سيّد قطب، في ظلال القرآن: ج٥، ص٣١٤٧.
(٢) الأنعام: الآية ٩٠.

عابداً، متحرّراً من قيود الشهوات الذاتية، والضغوط الخارجية، مستحضراً ما نادى به الحسين عليه السلام بقوله: «**إنّ الله عزّ وجلّ ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة مَن سواه**»(١).

وهذا ما كان الأئمّة الطاهرون عليهم السلام يحاولون أن يركزّوه في الضمائر البشرية الحيّة؛ ليوقظوها من غفلتها وسباتها، ويبعثوا فيها الهمم العالية، والعزائم الماضية، ويرسّخوا فيها روح العزّة والكرامة؛ لتغيّر الواقع الفاسد إلى واقع صالح، يقول الإمام علي عليه السلام: «**ألا حرٌّ يدع هذه اللُّماظة(٢) لأهلها؟! إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة، فلا تبيعوها إلّا بها**»(٣).

وعليه؛ يمكن القول: إنّ زيارة الحسين عليه السلام تبعث في النفس روح التحرّر، والانطلاق إلى عوالم القرب الإلهي، فهي تُحرّر الإنسان من عبودية الأهواء والشهوات، وتبعث فيه روح الرفض لكلّ أشكال الانحراف والكفر والنفاق.

ومن هنا؛ رأينا أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يحاول أن يبعث بهذه الحالة في النفوس الخانعة؛ ليخرجها من مستنقع الذلّ والعبودية إلى فضاءات التحرّر الإنساني، فكان عليه السلام ـ وهو في أشدّ الحالات مرارة وحرجاً ـ ينادي بأعلى صوته: «**يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً**»(٤).

البعد الثالث: البعد الاجتماعي

كلّ مَن يراقب مسيرة زياره الأربعين الحسينية، يرى أنّ هناك تطوّراً في الحضور،

(١) الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع: ج١، ص٩.
(٢) اللُّماظة: بقيّة الطعام في الفم. والمراد بها هنا: الدنيا.
(٣) نهج البلاغة: ص٥٥٦، الكلمات القصار.
(٤) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين): ص٢٩٣.

فقد تحوّلت هذه الزيارة إلى مجتمع عالمي من جميع البلدان والقوميّات والمذاهب، ولا شكّ أنّ من ثمرات هذا التجمّع هو التعارف بين أبناء الشعوب والقوميّات على اختلاف أوطانهم بواسطة اللقاءات المباشرة، والاجتماعات المتواصلة، وهذا ما نلمسه الآن من خلال مواصلة التعارف والتواصل حتى بعد انتهاء موسم الزيارة، فكلّ منهم يحاول أن يتعرّف إلى الآخر؛ ليفهمه، ويتواصل معه، وهذا أمر عظيم، ومنجز له أهمّية ونتائج كبرى، كنشر عقائد الإسلام وأحكامه وأخلاقه عملياً، ففي مثل هذا الأمر تبذل الجهات السياسية والدول أموالاً طائلة؛ سعياً لتحقيقه من أجل مصالحها وأهدافها ونشر ثقافاتها.

وقد جاء هذا الأمر صريحاً في كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[1]، فالآية الكريمة تؤكّد لبني آدم: «**أنّا خلقناكم من أب وأُمّ تشتركون جميعاً فيهما من غير فرق بين الأبيض والأسود والعربي والعجمي، وجعلناكم شعوباً وقبائل مختلفة لا لكرامة لبعضكم على بعض، بل لأن تتعارفوا، فيعرف بعضكم بعضاً، ويتمّ بذلك أمر اجتماعكم، فيستقيم مواصلاتكم ومعاملاتكم، فلو فُرض ارتفاع المعرفة من بين أفراد المجتمع، انفصم عقد الاجتماع، وبادت الإنسانية، فهذا هو الغرض من جعل الشعوب والقبائل**»[2].

ولا يمكننا أن نحيط بالأبعاد الاجتماعية للزيارات المليونية، ولا سيّما زيارة الأربعين؛ فإنّها أصبحت ظاهرة جماهيرية عظيمة، تركّز الولاء لأهل البيت عليهم السلام في النفوس، وتجمع القلوب على حبّهم، وبمرور الأيّام تحوّلت إلى ظاهرة عالمية تستقطب المشاعر والأحاسيس، وتجمع القلوب على الولاء لله تعالى، ولرسله وأوصيائهم، بل توقظ الضمائر، وتحفّز العقول، وتساعد على جمع كلمة الموالين من مختلف الأعراق

(١) الحجرات: الآية١٣.

(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٨، ص٣٢٦.

والأوطان؛ لتحوّلهم إلى كتلة بشرية مترابطة ومتواصلة ومتعاونة ومتآلفة على حبّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ونتيجة هذا التعارف بين الشعوب والقوميّات تؤصّل وتركّز روح التضحية والإيثار عملياً في نفوس الموالين، لتصبح بإذن الله مثالاً يُحتذى به من قبل الشعوب الأُخرى، فتمدّ جسور الولاء بين الأُمم والشعوب، بل ستكون هذه الزيارة ـ بإذن الله تعالى، وبجهود الموالين الواعين المخلصين ـ ملتقىً للتلاقح الفكري، والتفاعل الحضاري، فينصهر ذلك كلّه في بوتقة الولاء لله، ولرسوله، وأهل بيته الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد بان أثر هذه الزيارة من خلال امتداد جسور الولاء لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام إلى مختلف بقاع الأرض، ومختلف الشعوب والقوميّات، بعد أن عاشوا الأجواء الرحمانية في مسيرة الأربعين، وتلمّسوا السموّ الخلقي عند خدمة المواكب الحسينية التي أشعرتهم بتجرّد هؤلاء في عملهم لله، مخلصين في زيارتهم، صادقين في قولهم:

«اللهمّ، إنّي أُشهدك أنّي وليّ لمَن والاه، وعدوّ لمَن عاداه، بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله، أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام الطاهرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تُلبسك المدلهمّات من ثيابها، وأشهد أنّك من دعائم الدين، وأركان المسلمين، ومعقل المؤمنين، وأشهد أنّك الإمام البرّ التقي، الرضي الزكي، الهادي المهدي، وأشهد أنّ الأئمّة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على أهل الدنيا، وأشهد أنّي بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، بشرايع ديني، وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتّى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوّكم، صلوات الله عليكم، وعلى أرواحكم وأجسامكم، وشاهدكم وغائبكم، وظاهركم وباطنكم. آمين ربّ العالمين»[1].

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٨٩.

البعد الرابع: البعد السياسي

مثّلت زيارات النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام عموماً، وزيارات الإمام الحسين عليه السلام خصوصاً ـ ولا سيّما زيارة الأربعين ـ رفضاً مطلقاً لكلّ أنواع الظلم، فهي صرخة بوجوه الظالمين جمعياً، تعلو من ملايين البشر، يجمعهم هدف الانتماء إلى الإمام الحسين عليه السلام، والانجذاب إلى منهجه القويم الذي تجسّد في نهضته الإصلاحية، تلك النهضة التي أصبحت أعظم شعلة في ضمير الإنسانية على طول التاريخ، ترعب الطغاة والمفسدين في كلّ زمان ومكان، حتّى عادت مثالاً يحتذي به الثوّار من المسلمين وغيرهم، ويتأسّى به المظلومون من كلّ أجناس البشر، إلّا مَن أصمّ الله سمعه، وأعمى بصيرته.

وإذا تأمّلنا في ألفاظ الزيارات التي يتلوها ملايين الزائرين عند ضريحه عليه السلام، تعرف أنّ هذا المعنى متجسّد بشكل جلي واضح، وكأنّه تعليم وتربية واستنهاض للبشرية من أجل الثورة على الظالمين، وإيقاظ لضمائر الغافلين، فترى هذه الحشود المليونية ـ على طول المسيرة الممتدّة مئات الفراسخ، والمحتشدة عند ضريحه عليه السلام ـ متعهّدة بالتزام منهجه الثائر، صارخة: «**إنّي سلم لمَن سالمكم، وحرب لمَن حاربكم، ووليّ لمَن والاكم، وعدوّ لمَن عاداكم...**»[1]. وفي نصّ آخر: «**لعن الله أُمّة قتلتكم، وأُمّة خالفتك، وأُمّة جحدت ولايتكم، وأُمّة ظاهرت عليكم، وأُمّة شهدت ولم تستشهد**»[2].

ثمّ إنّ هذه الزيارة تُسلّط الأضواء على الجهود الجبّارة التي بذلها الإمام الحسين عليه السلام، بما تشتمل عليه من تحدٍّ وتضحية، ومفاهيم وقيم، في مختلف الصعد الفكرية والروحية والأخلاقية والسياسية، وكلُّ ذلك بيان لعظمة الرسالة التي ضحّى من أجلها، بل دعوة صريحة إلى الالتزام بما التزم به عليه السلام، وما دعا إليه، سواءٌ

(١) المصدر السابق: ص٧٧٥.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٥.

في العبـادات، أم المعامـلات، أم السـلوك والأخلاق؛ ولهذا نجد تكـرار هذا المقطع: «**أشـهد أنّك قـد أقمت الصلاة، وآتيت الـزكاة، وأمرت بالمعـروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حقّ جهاده**»[1].

وفي الكثـير مـن النصـوص تُسـلّط الأضـواء عـلى الجهـود التـي بذلهـا الأئمّـة الأطهار عليهم السلام لتبليغ أحكام الله، وحفظ رسالته تعالى، من خلال تأكيد عقائد الإسلام وأحكامه وأخلاقه في مواقف تنتاب الإنسان فيها الرقّة والخشوع والضراعة والتوسّل إلى الله، كلّ ذلك لا بُدّ أن يرسّـخ تلك المفاهيم في النفوس، ويحوّلها إلى قوّة تحدٍّ ثائرة بوجـوه أعـداء الله، بل هذا كلّه عملية تلقـينٍ ثوري، نابع من أرواح قدسـية تريد أن تؤصّله في نفوس الموالين على طول الزمن.

وهذا أشدُّ ما يرعب الحكّام الظالمين؛ ولذا رأينا الأساليب التي اتّبعها الطغاة منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى اليوم، قد تنوّعت بين هدم الضرائح المشرّفة، وفرض الغرامـات على الزائرين، ورميهم في السـجن، وتعذيبهم، بل قطع الأيدي، وضرب الأعناق، كما حاولوا تشويه الشعائر، لتشويه حقيقتها، وحرفها عن مسارها الإسلامي الأصيل، إلّا أنّه بلطف من الله، ورعاية صاحب الأمر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبجهود الواعين مـن العلـماء العاملين، قـد باءت تلك الأسـاليب بالإخفاق والخسران، على رغم ما بذلـوه مـن جهود على مسـتوى الإعلام الـدولي، كلّفتهـم الملايين من الـدولارات، فقـد بقـي الحسـين عليه السلام مالـكاً للقلـوب والضمائر، ومـن يملـك القلـوب والضمائر يملـك العقـول والنفـوس إلى الأبد، ولم يتحقّـق مثل ذلك لغير الإمام الحسـين عليه السلام.

وإذا تأمّلنا جيّداً في كثير من نصوص الزيارات، نجد أنّها لم تسـلّط الأضواء على شخص الإمام عليه السلام وذاته الشخصية، وإنّما سلّطتها على شخصيّته الرسالية، من خلال بيـان جهـوده في تبليغ رسـالة الله، والاهتـمام بأصالتها الإلهيـة، وحفظها من تحريف

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٩٨، وص٣٧١، وص٣٧٨، وص٣٧٩، وص٣٨٠، وص٤٠٢، وص٥١٨، وص٥٢٥.

الظالمين، والدعـوة إلى تحكيم شرائع الله، وإقامة أحكامه، وتلاوة كتابه، والصبر على الأذى في سـبيله، والجهـاد في الله حقّ جهاده، ومواصلة السـير على نهج الهدى الذي سـلكه آباؤه الطاهـرون، والتضحية في سـبيل الله، وأداء الأمانـة، واجتناب الخيانة، وإقامة الصلاة، وإيتـاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإخلاص في عبادة الله. هكذا هي الزيارات، إبراز وإظهار لما دعا إليه الإسـلام من الحقّ والعدل؛ لإقامة المجتمع الصالح.

ومن الأبعاد السياسية للزيارات ـ ولا سيّما زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وبالأخصّ زيارة الأربعين ـ أنّها تمثّل إدانةً للطغاة والمنحرفين عن المنهج الإسـلامي في كلّ زمان ومـكان، وهـذا واضح جليّ في زيارة الأربعين الواردة عـن الإمام الصادق عليه السلام، فعن صفوان بن مهران، قال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين:

«تزور عند ارتفاع النهار، فتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السـلام على صفيّ الله وابن صفيه، السـلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسـير الكربات، وقتيل العبرات. اللهمّ، إنّي أشـهد أنّه وليّك وابن وليّك، وصفيّك وابـن صفيّك، الفائـز بكرامتك، أكرمته بالشـهادة، وحبوته بالسـعادة، واجتبيته بطيب الولادة، وجعلته سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجّة على خلقك من الأوصياء، فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجتـه فيك؛ ليسـتنقذ عبادك مـن الجهالة، وحـيرة الضلالة، وقد توازر عليـه مَن غرّته الدنيـا، وباع حظّه بالأرذل الأدنى، وشرى آخرته بالثمـن الأوكس، وتغطرس، وتردّى في هواه، وأسـخطك وأسـخط نبيّـك، وأطاع من عبـادك أهل الشـقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المسـتوجبين النار، فجاهدهم فيك صابراً محتسـباً، حتّى سُفك في طاعتك دمه، واستبيح حريمه. اللهمّ فالعنهم لعناً وبيلاً، وعذّبهم عذاباً أليماً... اللهمّ، إنّي أُشهدك أنّي وليّ لمَن والاه، وعدوّ لمَن عاداه»[1].

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص١٠٢ـ١٠٣.

فقد سلّط الإمام عليه السلام في هذا النصّ الشريف الأضواء على جهود الإمام الحسين عليه السلام، في الوقت الذي سلّط الأضواء على القوى المعاكسة لمنهج الإسلام؛ فقد أدان الطغاة على طول الزمن، ومنهجُ الإدانة الصريحة لقوى الطاغوت قد ورد في معظم زيارات الأئمّة عليهم السلام، وبمختلف الأساليب، فلنقتطف منها بعض العبارات تجنّباً للإطالة:

منها: زيارة الزهراء، حيث يقرأ الزائر: «**السلام عليكِ يا بنت نبي الله... أُشهد الله ورسله وملائكته أنّي راضٍ عمّن رضيتِ عنه، ساخط على مَن سخطتِ عليه، متبرّئ ممّن تبرّأتِ منه، موالٍ لمَن واليتِ، معادٍ لمَن عاديتِ**»[1].

ومنها: زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا عبدك يا مولاي، وابن عبدك، أتيتك زائراً معترفاً بحقّك، وليّاً لمَن واليت، عدوّاً لمَن عاديت، سلماً لمَن سالمت، حرباً لمَن حاربت...**»[2].

ومنها: زيارة الحسين عليه السلام في ليلة القدر: «**وأشهد أنّ الذين خالفوك وحاربوك، وأنّ الذين خذلوك، والذين قتلوك، ملعونون على لسان النبي الأُمّي، وقد خاب مَن افترى. لعن الله الظالمين لكم من الأوّلين والآخرين، وضاعف عليهم العذاب الأليم. أتيتك يا مولاي يابن رسول الله زائراً، عارفاً بحقّك، موالياً لأوليائك، معادياً لأعدائك**»[3].

والأكثر صراحة ووضوحاً في إدانة المخالفين لآل محمّد عليهم السلام، ما ورد في زيارة عاشوراء من إدانة لكلّ قوى الطاغوت على طول التاريخ إلى يوم القيامة، نذكر منها على سبيل المثال: «**يا سيّدي يا أبا عبد الله، إنّي أتقرّب إلى الله... والبراءة من أعدائك، وممّن قاتلك، ونصب لك الحرب، ومن جميع أعدائكم، وبالبراءة ممّن أسّس الجور، وبنى عليه بنيانه، وأجرى ظلمه وجوره عليكم، وعلى أشياعكم. برئت إلى الله وإليكم منهم، وأتقرّب إلى الله ثمّ إليكم بموالاتكم، وموالاة وليّكم، والبراءة من أعدائكم، ومن**

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١١ـ٧١٢.
(٢) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار: ص٢٥٥.
(٣) الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّي، المزار: ص١٦٨.

الناصبين لكم الحرب، والبراءة من أشياعهم وأتباعهم. إنّي سلم لمَن سالمكم، وحرب لمَن حاربكم، وليّ لمَن والاكم، وعدوّ لمَن عاداكم...»[1].

ومن خلال هذه النصوص الصريحة والقاطعة يتّضح لنا في البعد السياسي أنّ الزيارة ـ ولا سيّما زيارة الأربعين ـ تحريك ثوري ضدّ قوى الطاغوت، وتحشيد لكلّ قوى الإيمان والإسلام؛ لتقف سدّاً منيعاً في وجه امتداد قوى الكفر والشرك والنفاق؛ فقد «**كانت الزيارات يوماً في عهد الأئمّة عليهم السلام مواصلةً للثورة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، أو القضية التي حملها أبناؤه وآباؤه الطاهرون عليهم السلام، وإصراراً على الاستمرار على النهج، وعلى الولاء للحقّ، كانت الزيارات بيعاً وشراءً للأنفس والأموال في سبيل الله تعالى، وكانت تظاهرة وتعظيماً لشعائر الله في الأرض، واستهداءً بمصابيح الهدى الزاهرة في ليل الانحراف الداجي، والأيّام الصعبة السوداء، فليس على هذا من عجب إن رأينا زيارة سيّد الشهداء عليه السلام تفضّل في النصوص على الكثير من الأعمال والمستحبّات الخطيرة**»[2].

وتأسيساً على هذا الفهم لزيارات أهل البيت عليهم السلام؛ تكون الزيارة عملية إعداد تربويّ روحيّ، وتأصيلاً عقائدياً، وبناءً أخلاقياً، وتغييراً اجتماعياً، وتصعيداً ثورياً؛ لتحدّي قوى الطغيان والجهل والانحراف والنفاق، بل اتّصال بالمطهّرين عليهم السلام على طول تاريخ الأنبياء والمرسلين، والشهداء والصالحين.

وبهذا يتّضح لنا أيضاً أنّ الزيارة لمراقد الأطهار من آل محمّد صلى الله عليه وآله هي تجديد اتّصال بهم من خلال الإقرار بعهودٍ يُلزم الزائر نفسه بها إزاء ضريح المزور الذي يعتقد بقدسيّته، وأنّه يسمع كلامه، ويردّ سلامه، ويشهد مقامه، كما ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «**أشهد يا موالي أنّكم تسمعون كلامي، وترون مقامي، وتعرفون مكاني،**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٢٩ـ٣٣٠.
(٢) اُنظر: حسين معن، نظرات في الإعداد الروحي: ص٢٣٢.

وتردّون سلامي»[1]، ومع هذا يؤمن أنّ هذا الاتّصال عبادة خالصة لله تعالى، وسير على سنّة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

جاء في أحد نصوص الزيارة: «**فأُشهد الله وأُشهدكم أنّي بكم مؤمن... ولكم تابع، في ذات نفسي، وشرائع ديني، وخاتمة عملي، ومنقلبي ومثواي**»[2]، ففي هذا النصّ تعهّدٌ بالالتزام بدين الله، وإيمانٌ واتّباع وسير على نهج المطهّرين، فالزيارة إذاً إلزام الزائر لنفسه وباختياره بأُمور يختارها لنفسه بأوامر الله، والانتهاء عن نواهيه.

ثمّ إنّ الزيارة تأكيدٌ للميثاق الإلهي، وتعهّد للتمسّك بدينه، والحفاظ على مبادئه، وسير على نهجه، فقد ورد في مقطع من إحدى الزيارات: «**اللهمّ، إنّي أُشهدك بالولاية لمَن واليتَ ووالتْ رسلك وأنبياؤك وملائكتك، وأُشهدك بالبراءة ممّن برئت أنت منه، وبرئت منه رسلُك وأنبياؤك، وملائكتك المقرّبون، والسَّفَرةُ الأبرار**»[3].

ففي هذا النصّ دلالة أُخرى على أنّ الزيارة عقد وميثاق مع الله تعالى بالولاية لأوليائه، والبراءة من أعدائه، كما تقدّم في حديث الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه...** »، ولا شكّ أنّ الولاية لأولياء الله والبراءة من أعداء الله عصب الحياة، وقطب رحى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[4].

وهكذا تكون الزيارة عن معرفة وإيمان ووعي اتّصالاً شعورياً ووجدانياً برسالة الله على طول مسار رسل الله وأوليائه؛ فهم نماذج للاقتداء والتأسّي في المجالات كافّة، وقد أكّد القرآن الكريم هذا المعنى في خطابه للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ ليتّضح للأُمّة أنّ السير في طريق ذات الشوكة لا يستغني عن الاتّصال بالأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين للتأسّي بهم، وأخذ الدروس والعبر من مواقفهم ومواعظهم.

(١) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار: ص٢٥١.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٧٠.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص١٣٦.
(٤) التوبة: الآية٧١.

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وفي قوله تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2] أمرٌ بتذكّرهم، وتمثّلهم الذهني؛ من أجل الاقتداء بهم عملياً، وكذلك قوله عز وجل: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3]. وهكذا في سائر الآيات، قال (جلّ جلاله): ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[4]، وقوله (عزّ من قائل): ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[5].

البعد الخامس: البعد الإنساني

لو فتّشنا جميع التجمّعات البشرية على طول التأريخ، لما وجدنا لهذه المسيرة مثيلاً من حيث التواصل، والتحابب، والتخادم، والتعاطف الإنساني، والتآخي بين مختلف طبقات المجتمع البشري، وقوميّاته، وأوطانه، فإذا كان (أفلاطون) قد وضع لجمهوريّته المثالية منهجاً مثالياً، فإنّنا نجد أنّ جمهور المسلمين السائرين في خدمة بعضهم بعضاً، وتعاونهم، وتآخيهم، ولطفهم، قد جسّدوا أروع صورة للأُخوّة الإيمانية، فعن رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»[6]، كما جسّدوا المجتمع المثالي الذي يرسم صورة الإسلام الحقيقي.

أكتفي بهذه الأبعاد الخمسة مع أنّني أعتقد أنّ هذه المسيرة المباركة تشمل جميع

(١) هود: الآية ١٢٠.
(٢) الأحقاف: الآية ٣٥.
(٣) سورة ص: الآية ١٧.
(٤) سوره ص: الآية ٤١.
(٥) سورة ص: الآيتان ٤٥ـ٤٦.
(٦) أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٧٠.

الأبعاد الإلهية الإنسانية، بما تحمله من صور رائعة تعكس الولاء الحقيقي لله ورسله وأوليائه، والبراءة من أعدائه.

الخاتمة

جميع ما تقدّم يؤكّد لنا أنّ الزيارة عملية إعداد تربوي وفكري لمواصلة السير في طريق ذات الشوكة، ومختصر القول: أنّ الزيارة دورة تربوية تعبوية لتربية الإنسان وإعداده إعداداً رسالياً؛ لمواصلة الكدح إلى الله؛ وليكون صالحاً ومصلحاً، ومغيّراً للواقع الفاسد إلى واقع صالح.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* نهج البلاغة.
١ . إقبال الأعمال، علي بن موسى المعروف بابن طاووس، تحقيق: جواد القيّومي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.
٢ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
٣ . بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، الناشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٤ . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤ش.
٥ . جامع أحاديث الشيعة، السيّد حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم المقدّسة ـ إيران، ١٣٩٩هـ.

٦ . الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمّد بن أحمد، المعروف بالقرطبي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ.
٧ . روضة المتّقين في شرح مَن لا يحضره الفقيه، محمّد تقي المجلسي، الناشر: مؤسّسة الثقافة الإسلامية.
٨ . شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، الناشر: مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
٩ . الصواعق المحرقة ، أحمد بن حجر الهيتمي، الناشر: مكتبة القاهرة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
١٠ . علل الشرائع، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق، الناشر: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق.
١١ . عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الشيخ عبد الله البحراني، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ.
١٢ . في ظلال القرآن، سيّد قطب، الناشر: دار الشروق، القاهرة ـ مصر، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٤٢٥هـ.
١٣ . كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه، تحقيق: جواد القيومي، تحقيق: نشر الفقاهة، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٤ . كتاب المزار، محمّد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأوّل، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ.
١٥ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقّقين، الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.

١٦ . المزار الكبير، محمّد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيّومي، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.
١٧ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، الناشر: دار صادر، بيروت ـ لبنان.
١٨ . مصباح المتهجّد، محمّد بن الحسن المعروف الشيخ الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٩ . المقنعة، محمّد بن محمّد بن النعمان بالشيخ المفيد، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
٢٠ . من وحي القرآن، محمّد حسين فضل الله، الناشر: دار الملاك.
٢١ . الميزان في تفسير القران، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران.
٢٢ . نظرات في الإعداد الروحي، حسين معن، الناشر: دار الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

معادلة التأثير والتأثّر في مجتمع زيارة الأربعين
ودورها في ترسيخ القيم الإسلامية على وفق نظرية الاتّصال الشَّرْطي

د. الشيخ محمّد صالح الحلفي

أُستاذ في جامعة المصطفى العالمية، ومدير مركز الهدف للدراسات، من العراق

The Equation of Influencing and Being Influenced in the Community of the Ziyara of Arbaeen and its Role in Consolidating Islamic Values According to the Conditional Communication Theory

Dr. Shaykh Muhammad Saleh al-Hilfi

Lecturer at al-Mustafa International University

and Director of al-Hadaf Center for Studies, from Iraq

ملخّص البحث

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على مجتمع زيارة الأربعين؛ لاكتشاف حالة التأثير والتأثّر المتبادلة بين المشاركين في الزيارة بلحاظ الحيثية الفردية والحيثية الاجتماعية، ودراسة ذلك طبقاً لنظرية الاتّصال الشرطي، والتعرّف من خلالها على المثيرات الدلالية والسلوكية في مجتمع الأربعين، وكيفية توظيفها في ترسيخ القيم الإسلامية وتعزيزها، ومعالجة ذلك وصفاً وتحليلاً.

وقد خرجت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج والمعطيات، من قبيل: أنّ زيارة الأربعين تمثّل مجتمعاً له ميزاته وخصوصيّاته، ومن أبرزها الروح المعنوية الإلهية الحاكمة على جميع أفراده، والمتّسمة بمجموعة من القيم الإنسانية والإسلامية النابعة من المثيرات الدلالية والمثيرات السلوكية الكثيرة جدّاً.

علماً بأنّ كلّ مَن يدخل في هذا المجتمع يتأثّر به على حسب الأيّام والساعات التي يعيشها فيه، مع إدراج معيار قابلية الفرد واستعداده للتأثّر في ضمن معادلة التأثير والتأثّر المجتمعي، مع إمكان ترسيخ تلك القيم وتعزيزها ـ بل تعميمها ـ في نفس مجتمع زيارة الأربعين، وفي نفوس أفراده، حتّى في غير موسم زيارة الأربعين؛ وذلك بواسطة قانون الاستثارة لبافلوف، والقوانين المتفرّعة عليه.

وفي النهاية ذكرت مجموعة من المقترحات والتوصيات على أساس النتائج المتحصّلة من هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: نظرية الاتّصال الشّرْطي، مجتمع زيارة الأربعين، معادلة التأثير والتأثّر، القيم الإسلامية.

Abstract

This study attempts to shed light on the community of the Ziyara of Arbaeen in order to explore the state of mutual influence and counter-influence between the participants in the Ziyara, taking into account the individual and social aspects. It also works on studying the state based on the theory of conditional communication. The study uses the theory to understand the semantic and behavioral stimuli within the community of Arbaeen and how these can establish, reinforce, and consolidate Islamic values, based on a descriptive-analytical approach.

Consequently, this study has produced several results and data, such as, that the march or Ziyara of Arbaeen represents a community with its own characteristics and particularities, the most prominent of which is the divine moral spirit that rules over all its members. The community is characterized by a set of high human and Islamic values, sprung from the considerably numerous semantic and behavioral stimuli.

It has been noted, that anyone who enters this community will be affected proportionally to the time he spends within it, noting inclusion as a criterion for the individual's ability and readiness to be influenced with respect to the equation of social influence and counter-influence. These learned values enjoy the possibility of consolidation, enhancement, and distribution, within the same Arbaeen community, its members, and their selves, and even outside of the season of Arbaeen by applying Pavlov's Law and other laws derived from it.

المقدّمة

عمدنا في هذه المقالة إلى دراسة معالم التأثير والتأثّر في زيارة الأربعين؛ وذلك باعتبار أنّها تمثّل مجتمعاً متكاملاً، ثمّ تسليط الضوء على القيم والثمرات والنتائج المتحصّلة من هذه الزيارة العظمى، حتّى يتّضح للمعنيّين بالشأن التربوي والإرشادي ما ينبغي لهم فعله على المستوى الاجتماعي والديني، وتصبح الخطط والبرامج المعدّة من قبلهم ومن قبل غيرهم أكثرَ نجاعةً وتأثيراً في ترسيخ المبادئ الإيجابية وتعميمها، وذلك بالاستفادة من نظرية الاتّصال الشرطي في علم النفس التربوي.

وقبل كلّ شيء لا بدّ من الإشارة إلى المجتمع وعلاقته بالفرد؛ لنتعرّف الأصيل منهما، ونعني بالفرد في المقام: الزائر أو الخادم الحسيني، وبالمجتمع: تلك البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الشخص، والتي تكون حدودها المكانية عبارة عن المنطقة الجغرافية الممتدّة على طول الطرق المؤدّية إلى كربلاء، وتكون حدودها الزمانية ما يقارب الشهر. وأمّا الأصيل، فنعني به: ما تعود إليه الآثار الظاهرة، بصفته منشأً بالنسبة إليها، وما ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار فيما لو أُريد إيجاد أيّ تحوّل أو تغيير إيجابي، أو الحيلولة دون أيّ تحوّل أو تغيير سلبي.

هدف البحث

يهدف البحث إلى الإجابة عن السؤال التالي: كيف يتمّ ترسيخ القيم الإسلامية وتعزيزها انطلاقاً من مجتمع زيارة الأربعين، وفقاً لنظرية الاتّصال الشرطي؟

أهمّية البحث

تكمن أهمّية البحث في أنّه لم يتمّ التطرّق إلى تحليل عملية التأثير المتبادل بين الأفراد المشاركين في زيارة الأربعين على اختلاف مستوياتهم الفكرية والاجتماعية، سواءٌ أُنيطت بهم مهامّ خاصّة أم لا، هذا من جهة، وكذا تحليل عملية التأثير في المجتمع

كافّة من جهة أُخرى، فضلاً عن دراستها على أساس نظرية الاتّصال الشرطي للعالم (بافلوف) الذي وضع قوانين لعملية التأثير والاستثارة.

فرضية البحث

ثمّة قيم إنسانية وإسلامية سامية تبرز في زيارة الأربعين كظواهر اجتماعية وحالات فردية استثنائية، لها أسبابها وعللها التي تحتاج إلى استكشاف، كما أنّ انتقالها وتعزيزها، بل تأسيسها، له قواعد وقوانين محدّدة، منها قانون الاستثارة لبافلوف.

المنهجية

سنعتمد في دراستنا لمعالم التأثير والتأثّر في مجتمع زيارة الأربعين على المنهج الوصفي التحليلي، ومحاولة تعرّف الأثر التربوي، وآليّة انتقاله من الفرد إلى المجتمع، وبالعكس، وكيفية ترسيخ القيم بحسب قانون (بافلوف)، أو ما يسمّى بنظرية الاتّصال الشرطي، ومن خلال تعرّف تطبيقاتها في مجالي التأثير والتأثّر، والتعليم والتعلّم، وصولاً إلى ملاحظة ما تشتمل عليه زيارة الأربعين من ثمرات في هذا المجال، ممّا قد يفتح لنا نوافذ جديدة أو طرقاً مختصرة في مجال العمل الإرشادي والتوجيهي في أثناء هذه الزيارة، وفي كيفية تعزيز القيم والمبادئ الإنسانية والاجتماعية والدينية، أو التأسيس لها في النفوس.

قمنا في هذه الدراسة بتقسيم البحث إلى مقدّمة وستّة محاور بحثية، مع بيان للمعطيات والنتائج، ثمّ انتهينا إلى ذكر مجموعة من المقترحات.

المحور الأوّل: العلاقة بين المجتمع والفرد

لم يقع خلاف بين باحثي علم الاجتماع ومفكّريه في تعريفهم للمجتمع: بأنّه مجموعة من الناس تربطهم أنظمة وتقاليد وعادات خاصّة، ويعيشون فيما بينهم حياة اجتماعية، ويتواجدون في منطقة واحدة جنباً إلى جنب[1].

(١) أُنظر: رشوان، حسين أحمد، المجتمع.. دراسة في علم الاجتماع: ص١١ـ١١٢. زهير بن جنّات،

وبعبارة أُخرى: المجتمع هو تلك الهيئة الإنسانية المكوّنة من أفراد تربطهم روابط عقدية، ومصالح حيوية محدّدة؛ لذا قام الإنسان بتأسيس أنماط جديدة من المجتمعات، كالمجتمع الطبيعي، والمجتمع السياسي، والمجتمع المدني، والمجتمع العالمي، وغيرها، وذلك بعدما ظهرت حاجات إنسانية لم يتمكّن من إشباعها؛ نتيجة الحركة التاريخية التي يسير فيها، واستناداً إلى خاصّيتي الخبرة باحتياجات السياق الاجتماعي، وتراكم التجربة من خلال معايشته لتأسيس التجمّعات والتنظيمات، ومتابعة تطوّرها، والانتقال بها من التجمّعات والتنظيمات الصغيرة إلى الكبيرة الشاملة.

ومن هنا؛ برزت تسميات متعدّدة للمجتمعات والتكتّلات البشرية، وذلك على أساس حيثيّات وأوصاف خاصّة، منها مجتمع المعرفة، ويُقصد به:

«**المجتمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي**»[1]، ومجتمع الدراسة، ويعنون به: العيّنة الخاصّة التي تؤخذ من المجتمع الأصل؛ حتّى تتمّ دراستها، ومن خلالها تتمّ تسرية الحكم إلى المجتمع الذي تنتمي إليه تلك العيّنة[2].

ومن التسميات الأُخرى التي تُطلق على المجتمع على أساس بعض الحيثيات: المجتمع المحلّي، والمجتمع الريفي، والمجتمع الدولي، ومجتمع الإعلام والاتّصالات، والمجتمع الأدبي والشعري، وغيرها من التسميات والعناوين الحاكية عن لحاظ التسمية الذي طبقاً له يتمّ التمييز بينها، فتُخصّصها وتميّزها من غيرها.

استراتيجيات الفاعل التنموي بين متطلّبات المحلّي وإكراهات المعولم، مجلّة إنسانيات، المجلّة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية: ص٢٧.

(١) هشام موحي، اليوتوبيا في العالم الحديث ومجتمع المعرفة: مجلّة كلّية الآداب، جامعة المنوفية شبين الكوم مصر، ٢٠٢١م.

(٢) أُنظر: كميل إدوارد متواضع، أثر اختلاف المتغيّرات الديموغرافية على مجتمع الدراسة: مجلّة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلّد السادس، العدد السابع والعشرون، مايو ٢٠٢١م، ص٣١١ـ٣٣١.

ولو تأمّلنا في بعض التسميات نجدها تنشأ من صفة عامّة تجمع غالبية الأفراد، كالسكن في مكان مشترك، فيعبّر مثلاً بالمجتمع المصري، أو اللبناني، أو العراقي، وهكذا. أو الفكر والعقيدة التي يحملها الأفراد، فيقال: المجتمع الشيعي، أو السنّي، أو الإسلامي، أو المسيحي، أو اليهودي.

ويفهم من ذلك أنّ صدق التعريف لا يكمن في سعة التجمّعات وصغرها، وكثرة أفرادها وقلّتها، فكما يطلق المجتمع القروي على الذين يعيشون في قرية نائية عن التحضّر والمدنية مهما قلّ عدد أفرادها، كذلك يطلق على الجماعة التي توفّرت فيها جميع مقوّمات المدنية.

وعلى هذا؛ يصبح من السهل جدّاً تطبيق هذا التعريف على المسلمين الذين يحضرون للحجّ أو للزيارة، ولا سيّما زيارة الأربعين، وذلك باعتبار توفّر مقوّمات المجتمع بتفاصيلها فيهم: من بيئة محدّدة، ووظائف معيّنة، ناهيك عن وحدة الأفكار والعقائد والأخلاق المهيمنة عليهم بشكل غالب؛ ولذا سنعبّر عنهم بـ(مجتمع زيارة الأربعين) الذي تتّسع دائرته لتشمل كلّ مَن تواجد خلال تلك المدّة الزمنية المعيّنة في المناطق المحيطة والطرق المؤدّية إلى الضريح المقدّس؛ حتّى يتسنّى لنا دراسة معادلة التأثير والتأثّر فيه.

أصالة الفرد أم أصالة المجتمع؟

لمن الأصالة للفرد، أو للمجتمع؟ حتّى يتّضح الأمر جليّاً يُفترض أن نذكر النظريّات المعروضة في حقيقة المجتمع وما يتألّف منه بصورة مختصرة قدر المستطاع، وقد عُرضت في هذا الصدد أربع نظريّات، وهي:

أ) إنّ تركيب المجتمع هو تركيب اعتباري لا واقعي؛ وذلك لأنّ التركيب الحقيقي يستلزم فقدان الأجزاء التي يتشكّل منها لخصائصها وآثارها، وتنحل في الوجود؛ وعليه فالمجتمع ليس له وجود أصيل عيني حقيقي، بل وجوده اعتباري انتزاعي، فالأصيل هو الفرد لا المجتمع.

ب) إنّ المجتمع هو مركّب صناعي، والمركب الصناعي كالمركّبات الحقيقية، فالأجزاء فيه لا تفقد هويّتها، ولكنّها لا تستقلّ في التأثير أيضاً؛ وذلك لترابطها وترابط آثارها بوجه خاصّ، فالمجتمع مركّب من مجاميع ومؤسّسات وأصناف، فيها الأصلية وفيها الفرعية، بعضها مرتبط ببعض كجهاز مترابط الأجزاء؛ وعليه فالحياة الاجتماعية هي عبارة عن ظاهرة قائمة بالمجتمع بما هو كلّ، من دون أن يفقد الأفراد هويّتهم الشخصية.

ج) إنّ تركيب المجتمع هو حقيقي من نوع المركّبات الطبيعية، بحيث يتركّب من الأفكار والعواطف والميول والإرادات، فأفراد الإنسان يدخلون في نطاق المجتمع، وكلّ واحد منهم يحمل مواهبه الفطرية، وثروته المكتسبة من الطبيعة، فتندمج نفوسهم بما تمتلك من قابليّات، وتتحقّق نفس جديدة، يُعبّر عنها بالروح الجماعية، وتركيب المجتمع هذا من الأفراد هو تركيب حقيقي؛ نظراً إلى تحقّق التفاعل الواقعي بين الأفراد الذين يمثّلون أجزاءه؛ إذ تتبدّل الصورة الفردية إلى صورة جماعية، إلّا أنّ كثرة الأفراد هذه لا تتبدّل إلى وحدة حقيقية، فما لدينا ليس واحداً قد انحلّت فيه الكثرة، وإنّما هو موجود انتزاعي يمثّله مجموع الأفراد.

د) إنّ تركيب المجتمع هو تركيب حقيقي فوق المركّبات الطبيعية؛ وعليه لا يكون للإنسان قبل الاندراج في سلك المجتمع هوية إنسانية، بل هو استعداد محض، لديه قابلية التلبّس بالروح الجماعية، فهو إنسان بالقوّة لا بالفعل، وتبرز إنسانيّته، وشعوره النفسي، وفعليّة فكره الإنساني، وعواطفه البشرية، وجميع خصوصيّاته من أحاسيس وميول وأفكار وعقائد وعواطف، يبرز كلّ ذلك في ظلّ تلك الروح الجماعية التي تلازمه، ولا تفارقه أبداً.

ومن هنا يتحصّل: أنّ النظرية الأُولى تذهب إلى أصالة الفرد؛ إذ بناءً عليها ليس للمجتمع وجود حقيقي، بل الوجود الحقيقي للفرد، فهو موضوع الدراسة، ومصيره مستقلّ عن مصير الآخرين.

والنظريـة الثانيـة هي الأُخـرى ترى أنّ الأصالـة للفرد؛ لأنّهـا لا تُذعن بوجود حقيقـي للمجتمع ككلّ، ولا تؤمـن بتركيب واقعي بين الأفـراد كمجتمع، وتكتفي بوجود نوع ارتباط بين الأفراد يضاهي الارتباط الفيزيائي بين أجزاء السيارة.

والنظريـة الثالثة تلتزم بأصالة الفرد والمجتمـع معاً؛ حيث تؤمن بوجود تركيب مـن قبيـل التركيب الكيـماوي بين الشـؤون الروحيـة والفكرية والعاطفيـة للأفراد، وعندها يكتسـب الفـرد ماهية جديدة من خلال الامتـزاج بالمجتمع، على الرغم من عـدم وجود ماهية مسـتقلّة للمجتمع نفسـه؛ وبذلك هي تؤمـن بأصالة المجتمع من جهة، وبأصالة الفرد من جهة أُخرى؛ وذلك لأنّها ترفض انحلال الأفراد في المجتمع ككلّ، وتؤمن بأن يكون للمجتمع وجود مستقلّ على غرار المركّبات الكيماوية.

أمّـا النظرية الرابعة، فقد تمحّضـت في الذهاب إلى أصالة المجتمع؛ لأنّها ترى أنّ الموجود في الخارج ليس إلّا الروح الاجتماعية، وأمّا الوجدان والشـعور الفردي، فلا يعدو أن يكون مظهراً من مظاهر الشعور والوجدان الاجتماعي لا غير[1].

والمختـار هـو النظريـة الثالثة؛ وذلـك لأنّه يمكننـا ملاحظة المسـألة من الجانب الشرعي، حيث نجد أنّ الأحكام الشرعية موجّهة إلى الفرد، مُحدِّدة وظائفه الشخصية عـلى اختـلاف ميادينهـا ومجالاتها، فليس هنـاك تكليف للمجتمع بما هـو مجتمع، بل للمجتمـع بما هـو مكوّن من أفـراد يمثّل كلّ واحـد منهم لبنة من لبناتـه، فالتكليف يتوجّه إلى الفرد بما هو جزء من المجتمع، لا بما هو فرد، وعلى هذا فللفرد حيثيتان:

الأُولى: بما هو شخص تجب عليه الصلاة والصوم والحجّ، وغيرها من العبادات والأحـكام، وينبغـي أن يمتثلهـا، ولو عاش وحـده في صحراء، أو في سـجن، أو في غابة، أو في جزيرة وسط المحيط.

(١) أُنظر: مطهّري، مرتضى، المجتمع والتاريخ: ص٢٠ـ٢٤. ومن أراد الاستزادة فليراجع: الصدر، محمّد باقر، السنن التاريخية. والحكيم، محمّد باقر، المجتمع الإنساني.

والثانية: بما هو إنسان يعيش في وسط المجتمع، صغيراً كان هذا المجتمع أم كبيراً، مثل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، ونحو ذلك.

وهذا ما يؤيّده القرآن الكريم في الكثير من الآيات؛ حيث يرى للأُمم (المجتمعات) مصيراً مشتركاً، وصحيفة أعمال مشتركة، ويرى للأُمّة إدراكاً وشعوراً وعملاً وإطاعةً وعصياناً[1]؛ وعليه فالحياة الاجتماعية ليست مجرّد تمثيل واستعارة، بل هي حقيقة واقعية، كما أنّ الموت الاجتماعي بدوره حقيقة أيضاً؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[3]. ثمّ إنّ القرآن الكريم أحياناً ينسب العمل الصادر عن الفرد إلى مجتمعه، والعمل الصادر عن جيل إلى الأجيال المتأخّرة، ومن أمثلة ذلك قصّة قوم ثمود، فمع أنّ أحدهم عمد إلى عقر ناقة صالح، نسب القرآن ذلك إلى القوم بأجمعهم، قال سبحانه: (فعقروها)، فعدّهم جميعاً مجرمين، كذلك عدّهم جميعاً مستحقّين للعقاب، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾[4].

مجتمع زيارة الأربعين

بعد هذا البيان والتوضيح يحقّ لنا أن نصف الحضور في زيارة الأربعين بأنّهم يمثّلون مجتمعاً؛ لأنّهم يحملون روحاً اجتماعية واحدة، نتجت من التركيب والمزج الحاصل بين المعتقدات والأفكار والنفسيّات والرؤى التي يحملها المشاركون فيها، سواءٌ كانوا زائرين أم خادمين، على اختلاف الدواعي والأسباب التي جمعتهم في ضمن هذا المجتمع الذي يفوق عدده التعداد السكّاني لدول مجتمعة بحسب بعض

(١) أُنظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٤، ص١٠٢.
(٢) الأعراف: الآية ٣٤.
(٣) الأنعام: الآية ١٠٨.
(٤) الشمس: الآية ١٤.

الإحصاءات، فقد شكّلوا ظاهرة اجتماعية دينية فريدة من نوعها لم يشهد التاريخ مثلها يوماً ما.

وفي هذا المجتمع تظهر شخصية الأفراد كمؤثّرين فيه ومتأثّرين به، وهذا ما سيكون له أثر كبير في توجيه البوصلة، وتحديد معالم الرؤية الإرشادية والتوجيهية في مثل هذه المناسبة العظمى، وممّا سيفرض أُسلوباً خاصّاً ونمطاً محدّداً ـ على وفق كيفية التخطيط والبرمجة ـ في اختيار طبيعة الثقافة التي ينبغي اعتمادها في مثل هذا المجتمع الذي يزخر بالجواهر والدرر التي ينبغي العمل على استخراجها من أصدافها، وتوظيفها في مجال الدعوة إلى الدين الإلهي، والإسلام الواقعي المتمثّل في التشيّع.

المحور الثاني: تبادل التأثير والتأثّر

ما نلاحظه من أُمور تظهر عادة في البيئات والأوساط المجتمعية التي يتواجد الفرد فيها طوعاً أو كرهاً، تلقي بظلالها عليه، فتترك فيه أثرها البالغ، ويعُدّ هذا الأمر من الواضحات في حياتنا المعاصرة، بل في تاريخ البشرية؛ ولذا يوضع المجتمع والأُسرة في عداد العوامل المؤثّرة في التربية الإنسانية.

ولكن ما قد يُغفل عنه هو تأثير الأفراد في المجتمع، ويتّضح الأمر جليّاً فيما لو كان الفرد من أصحاب الهمم العالية، والإرادات الصلبة، علماً بأنّ القاعدة التجريبية المدعومة قرآنياً[1] تقول: كلّما زاد عدد الأفراد المتّصفين بعلوّ الهمّة وصلابة الإرادة، اشتدّ تأثيرهم في المجتمع الذي ينتمون إليه، ويبدأ تأثيرهم يأخذ حيّزاً أكبر في نفوس ذلك المجتمع وأخلاقه وطباعه وعاداته.

(١) أُنظر في المقام: ما ذكره العلّامة الطباطبائي في موضوع (الاجتماع والمجتمع واهتمام الإسلام به) تفسيراً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، آل عمران: الآية٢٠٠. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٤، ص٩٣ـ١٠٦.

فلو افترضنا أنّ مجتمعاً ما كان يعيش حالة من الجهل المطبق، غير أنّ بعض أفراده أدركوا لسببٍ قباحة الجهل، وأهمّية العلم ومكانته، ورسخت في نفوسهم قيمته، وتبعاً لهذا الإيمان والاعتقاد تفجّرت إرادتهم نحو توعية الآخرين، وتوجيه أنظارهم إلى قيمة العلم والتعلّم ومكانته، فإنّ غيرهم ـ ممّن لم يمتلكوا عقيدة راسخة تجاه العلم، ولا داعياً أو حافزاً نحوه، مع عدم تحجّرهم ـ سيتحوّلون بمرور الأيّام إلى متأثّرين ومستقبلين لهذه الأفكار، وتبدأ الاستجابة تدريجياً، ومع ازدياد وعي الأفراد، وتكاثر أعدادهم، سيتمكّن العلم والوعي في ذلك المجتمع، ويطرد الجهل الذي كان يعشعش في عقله، ويرفع ضعف الهمّة الذي يخلده إلى الأرض، ليغدو بعد حين مجتمعاً متحضّراً واعياً قوي الإرادة.

ما ذكرته في الواقع يمثّل صورة نمطية توضّح جانباً من كيفية تأثير المصلحين في أُممهم التي حوّلوها فيما بعد إلى أُمم راقية تقود الأُمم الأُخرى، وهذا ما حصل مع نبيّ الإسلام محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله، حيث تمكّن أنّ يحوّل المجتمع الجاهلي بعد سنوات إلى أسمى مجتمع يعيش على سطح الكرة الأرضية آنذاك. وقد نعثر على نقيض هذه الصورة في تاريخ الأُمم، ومنه تاريخ الأُمّة الإسلامية، فبعدما أصابها الوهن، والانحراف عن جادّة الصواب، قبلت بمثل معاوية وابنه يزيد حاكماً ووالياً عليها، وخليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله، بدلاً من وصيّه بالحقّ أمير المؤمنين عليه السلام، وابنيه سيّدي شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهما السلام.

ما نروم خوض غماره بعد هذا التوضيح هو موضوع التأثير والتأثّر الذي يعيشه الإنسان في محيطه ومجتمعه، وكيفية حصول هذه العملية المتبادلة على وفق أُصول التربية وقواعدها التي توصّل إليها بعض العلماء المختصّين عبر تجاربهم ودراساتهم المتعدّدة والمختلفة، وسنختار منها قانون الاستثارة لـ(بافلوف)، والقوانين المتفرّعة عليه.

المحور الثالث: قانون الاستثارة عند بافلوف[1]

يتضمّن هذا القانون التعبير عن حدوث الاشتراط فيما لو تمّ اقتران المثير الشرطي بغير الشرطي، ممّا يؤدّي إلى أن يكتسب المثير الشرطي خواصّ المثير غير الشرطي ويقوم مقامه. والمثير غير الشرطي: هو المثير الطبيعي الذي يمتلك القدرة على توليد استجابة بشكل آلي وطبيعي، مثال ذلك: عندما تشمّ رائحة طعام مفضّل لديك أو تشاهده تشعر بالرغبة في تناوله، في هذه الحالة تُعدّ رائحةُ الطعام أو منظره مثيراً غير شرطي، أي: مثيراً طبيعياً. والاستجابة غير الشرطية: هي استجابة غير مُتعلَّمة لمثير غير شرطي، ففي مثالنا السابق يُعدّ الإحساس بالجوع استجابة غير شرطية.

وأمّا المثير الشرطي: فهو المثير المحايد الذي ليست له علاقة بالأشياء الطبيعية إلّا بعد الاقتران بالمثير الطبيعي، وله القدرة على توليد الاستجابة بعد الاقتران، وتسمّى: الاستجابة الشرطية، وهي استجابة متعلّمة، وفي قبالها استجابة غير شرطية، أي: غير متعلّمة.

وقبل أن نبيّن (الاستجابة غير المتعلّمة) ينبغي لنا أن نبيّن (الاستجابة المتعلّمة) في هذا القانون، وبيان ذلك: أنّ الجائع إذا سمع دقّ الجرس لا تتولّد لديه رغبة في الطعام، أي: ليست له استجابة، في حين لو قُرن دقّ الجرس بمجيء الطعام، وعلم

(١) إيفان بتروفتش بافلوف *Ivan Petrovith Pavlov* عالم فيزيولوجي، ولد في ريازان *Riazan*، وانتسب إلى جامعة سان بطرسبورغ *Saint-Petersbourg*، وحصل عام (١٨٨٤م) على الدكتوراه في مجال فيزيولوجية الأعصاب، شغل بعدها كرسي الأُستاذية ورئاسة مخبر الفيزيولوجية في المعهد العالي الطبّي في الجامعة نفسها، وحاز على جائزة نوبل عام (١٩٠٤م)، وذلك اعترافاً بإنجازاته العلمية في ميدان علم وظائف الأعضاء ووظائفها (الفيزيولوجية) في مجال الغدد الهضمية والدورة الدموية خاصّة، ويأخذ بافلوف مكانة الأب الحقيقي لعلم الأعضاء وعلم النفس الحديث. أُنظر: علي وطفة، الموسوعة العربية: ج٤، ص٦٢١.

الجائع بهذا الاقتران، لرغب في الطعام، وتسمّى هذه الرغبة المتولّدة بسبب ذلك المثير الشرطي الذي هو اقتران الجرس بالطعام، بالاستجابة الشرطية المتعلّمة؛ لأنّها مشروطة بحصول العلم باقتران شيء بشيء.

وأمّا الاستجابة التي هي غير شرطية وغير متعلّمة، فهي التي يحدثها مثير غير شرطي، فالجائع بمجرّد أن يشمّ رائحة الطعام يرغب فيه، من دون أن يقترن الطعام بالجرس، وقد سُمّيت غير شرطية وغير مُتعلّمة؛ لأنّها لم تتولّد من العلم بالمثير الشرطي.

وهذا القانون مستلّ من نظرية الارتباط الشرطي، ومؤدّاها أنّ أيّ مثير بيئي محايد يمكنه أن يكتسب القدرة على التأثير في وظائف الجسم الطبيعية والنفسية، إذا ما اقترن بمثير آخر من شأنه أن يولّد استجابة منعكسة طبيعية، أي: استجابة غير شرطية.

وبتعبير آخر: أي مثير بيئي محايد يمكن أن يحدث تأثيراً قويّاً في كلّ من وظائف الجسم ـ سواءٌ كانت فسيولوجية، أم سيكولوجية ـ إذا تزامن اقترانه بمثير آخر قادر على خلق إثارة واستجابة عضوية أو نفسية، سواءٌ حدث هذا الاقتران بصورة متعمّدة أو حدث مصادفة.

فتقوم هذه النظرية بتفسير ردود الأفعال السلوكية والنفسية، وتأكيد مفهوم الارتباط الشرطي بين المثيرات الخارجية، والاستجابات الشرطية اللاإرادية. وينظر (بافلوف) إلى الظاهرة النفسية وما يترتّب عليها من أنماط سلوكية على أنّها أفعال منعكسة غير شرطية، وأفعال منعكسة شرطية محدّدة بزمان ومكان معيّنين[1].

ويرى (بافلوف) «**أنّ الإنسان ينطلق في عملية تكيّفه وفق منظومة دلالية من الرموز والمثيرات اللغوية التي تجعله في حركة استجابات شرطية تتّصف بالاستمرار**

(١) أُنظر: علي وطفة، الموسوعة العربية (بافلوف، إيفان بتروفيتش): ج٤، ص٦٢١.

والديمومة، فالكلام يشكّل للإنسان نظاماً ثانياً من الدلالات التي يتمايز بها الإنسان من الحيوان؛ إذ إنّ الكلام هو ـ بالتأكيد ـ الاختراع الذي جعل منّا بشراً متفاهمين، فالمثيرات الأُولى هي المثيرات الصادرة عن العالم الخارجي، مثل الأصوات والروائح، ومثيرات اللمس والضوء، والأحداث الخارجية هي مثيرات مشتركة بين الإنسان والحيوان، ولكنّ الإنسان يتفرّد فيما يطلق عليه (بافلوف) المثيرات الدلالية من المستوى الثاني التي تتعلّق بالرموز واللغة والكلمات والمعاني»[1].

ويرد على (بافلوف) أنّه لم يدرج الأفعال والتصرّفات وطرق التعامل في ضمن المثيرات الشرطية، رغم أنّها لا تقلّ في تأثيرها عن المثيرات الدلالية، إن لم نقل بأنّها تمتلك تأثيراً أشدّ منها، ولربّما أغفل (بافلوف) ذلك؛ لأنّه كان يصبو من عرض نظريّته في الارتباط الشرطي إلى إثبات أنّ «**السلوك الإنساني عبارة عن صناعة تتمّ وفقاً لمبدأ الاستجابات الشرطية، وهي صناعة ممكنة، أي: إنّه يمكن التحكّم في سلوك الإنسان وإشراطه وتصنيعه مخبريّاً أو اجتماعياً حين يتمّ التحكّم في شروط الحياة الاجتماعية**»[2].

وهذا الكلام وإن كان يتعارض بعمومه مع الفكر الإلهي والإسلامي؛ حيث خلق الله سبحانه الإنسان على الفطرة الإلهية كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿... فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، فإنّه من الممكن قبول رأي (بافلوف) على نحو الموجبة الجزئية، ويعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**كلّ مولود يولد على الفطرة، حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»[4]؛ وعليه يبقى موضع المثير الفعلي أو السلوكي ـ على حدّ تعبيرنا ـ فارغاً في نظرية (بافلوف)، فلم تتمّ الإشارة إليه.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الروم: الآية ٣٠.

(٤) القاضي المغربي، النعمان بن محمّد، شرح الأخبار: ج١، ص١٩٠.

المحور الرابع: المثيرات الشرطية في زيارة الأربعين

إنّ زيارة الأربعين ومسيرتها زاخرة بالمثيرات الشرطية تأسيساً على ما تقدّم، وما يهمّنا هنا من قانون (بافلوف) هو المستوى الثانوي من المثيرات، وهي المثيرات الدلالية التي تتعلّق بالدلالات الرمزية واللغة والمعاني، وسنضيف إليها المثيرات السلوكية من عندنا؛ نظراً إلى دخولها في البحث، وإن لم يشر إليها (بافلوف).

أوّلاً: المثيرات الدلالية

من المثيرات الدلالية الإيحائية في الأربعين:

١. الصور الحاكية عن جوانب من واقعة كربلاء، وصور الشهداء التي تملأ الطرق المؤدّية إلى المدينة المقدّسة؛ حيث تعبّر عن دوام تلك الواقعة، واستمرار حركة الاستشهاد التي أطلقها أبو الأحرار ضدّ الظلمة والطغاة والفاسدين، فمن صور شهداء الإعدامات البعثية إلى صور شهداء الجهاد الكفائي ضدّ حركات التكفير الصهيونية.

٢. اللافتات التي كُتبت عليها عبارات وجمل ذات دلالات عقائدية، مثل: «**على خطاك نمضي في السلم والحرب، وفي أربعينك نجدّد الحزن، فلا يخفت لنا صوت**»، أو «**لقد عشقنا الحقّ فعشقنا الحسين**عليه السلام، **وعشقنا الوفاء فعشقنا العبّاس**عليه السلام، **وعشقنا البسالة فعشقنا عليّاً الأكبر**عليه السلام، **وعشقنا الصبر فعشقنا زينب**عليها السلام، **وعشقنا الثبات فعشقنا حبيب بن مظاهر رضوان الله تعالى عليه، وعشقنا التوبة فعشقنا الحرّ رضوان الله تعالى عليه**».

٣. أصوات القصائد الحسينية والنعاة التي تبثّها مكبّرات الصوت في المواكب والحسينيات ومحطّات الاستراحة المستقرّة على امتداد الطريق في أثناء المسيرة الحسينية، والتي تُبقي الزخم الثوري والحماسة في النفوس، وترفع مستوى الاندفاع نحو مواصلة الحركة الإصلاحية التي نهض لأجلها الإمام الحسين عليه السلام، وضحّى بنفسه في سبيلها.

٤ . كلمات الترحيب والاستقبال التي يُطلقها أصحاب المواكب وخدّام أبي عبد الله الحسين عليه السلام للمشاة والزائرين، وهم يحثّون الخطى نحو قبلة الأحرار، والتي تُشعرهم بأنّ لهم قيمة ومنزلة رفيعة، وهي كلمات لم تحط بهم هالتها إلّا لعودتها إلى الهدف المنشود والغاية المقصودة (سيّد الشهداء عليه السلام)، بل إنّها قد رشحت من مكانته ومنزلته إلى أُولئك الزائرين والمشاة. وكم في ذلك من فوائد تعود إلى الزائر، وتقوّي انتماءه إلى إمامه، وارتباطه به، وهو ما يفترض أن ينعكس على سلوكه وتصرّفه وتعامله وأخلاقه.

٥ . كلمات المديح والدعاء المتبادلة بين الزائرين وأصحاب المواكب والحسينيات بما تحمله من دلالات مؤثّرة في النفوس؛ إذ إنّها تعقد الهمم، وتُعين على الصبر في سبيل العقيدة.

ثانياً: المثيرات السلوكية

نذكر جانباً من المثيرات السلوكية التي تبرز في مجتمع زيارة الأربعين، وإليك بعضاً منها:

١ . أفعال البذل المتنوّعة، انطلاقاً من بذل المال الذي يُجمع بصعوبة بالغة في بعض الأحيان، إلى بذل الوقت الذي قد يستغرق شهراً كاملاً أو أكثر بالنسبة إلى بعض الأشخاص، إلى بذل الطاقة والقوّة، ولو كان الشخص شيخاً كبيراً، أو طفلاً صغيراً، أو امرأة لا تقوى على السير، أو عجوزاً قد أثقلت كاهلها أعباء الحياة.

٢ . سلوكيّات العطاء المتنوّعة الأشكال والمتعدّدة الصور؛ بين مَن يقدّم الماء الذي يرمز إلى العطش في كربلاء، ومَن يقدّم الشاي، ومَن يقدّم الطعام وجبة أو وجبات متعدّدة، ومَن يحرص أن يقدّم أطيب المأكولات وأشهاها، ومَن يفتح بيته للجميع، ومَن يقدّم الفاكهة، ومَن يهيّئ مكاناً لشحن الأجهزة النقّالة، ومَن يقدّم بطاقات التعبئة للاتّصالات المجّانية، ومَن ينقل المشاركين في الزيارة

بسيارته مجّاناً، منتظراً دعوة في حقّه، أو توجّهاً من صاحب العزاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فهذه السلوكيّات ـ على تنوّعها ـ لها بالغ الأثر في النفوس دون أدنى شكّ.

٣ . التفاني في الخدمة، وذلك بأن يسعى المستضيف في أن يرضي ضيفه (الزائر)، ويدخل السرور عليه بكلّ ما أمكنه، ويضع بين يديه كلّ ما لديه.

٤ . تحمّل المشاركين للصعوبات والمشاقّ، ولا سيّما العاملون في المواكب والحسينيات؛ إذ يستمرّ عملهم أحياناً من الصباح أو الضحى إلى ساعات متأخّرة من الليل.

٥ . غضّ الطرف عن الإساءة، والتخلّق بالتسامح وكبح النفس في زيارة الأربعين؛ لأجل غاية معنوية، وهي رضا الإمام الحسين عليه السلام، واستمرار ذلك بعدها في كلّ مراحل الحياة.

٦ . التسامح في أخذ الحقوق، كما في قصّة ذوي الطفل الذي دهسته إحدى سيّارات المواكب خطأً، ومات الطفل من حينه؛ حيث لم يبدر منهم أيّ ردّة فعل، بل لم يظهر امتعاضهم وانزعاجهم بوجه السائق[1]. وهذه كسابقتها، وكلّما كان الحقّ ألصق وأشدّ أسقطه صاحبه طلباً لرضا الإمام الحسين عليه السلام.

هذا؛ ويتولّد في النفوس من هذه المثيرات شعور باللذّة والمتعة، وذلك حينما يعيش الزائر والسائر تلك اللحظات، ويتمنّى ألّا تنتهي، وهنا تترسّخ في نفسه قيمة إنسانية إسلامية، وهي توطين نفسه على القيام بالأعمال الصعبة في الأوقات الأُخرى حينما تكون المنطلقات والغايات أُموراً معنوية.

ويمكننا أن نفترض لكلّ من هذه الأفعال مجموعة من الأشعّة المنبثقة من

(١) وقعت هذه الحادثة في زيارة الأربعين سنة (١٤٤٥هـ) في إحدى نواحي كربلاء، وقد تناقلت وكالات الأنباء الرسمية هذا الخبر، لاسيّما القناة الخامسة والثالثة في التلفزيون الرسمي الإيراني، وأُجريت عدّة لقاءات مع ولي الطفل المدهوس.

التأثير: أوّلها بالنسبة إلى القائم بالفعل، وثانيها بالنسبة إلى مَن وقع عليه الفعل، وثالثها بالنسبة إلى مَن يرى ويسمع، ورابعها بالنسبة إلى الروح الجماعية الحاكمة على مجتمع زيارة الأربعين.

المحور الخامس: تطبيق قانون الاستثارة في زيارة الأربعين

لنا أن نضع البرامج والخطط التنموية لتلك الروح السامية، وتطوير تلك الأخلاقيات والقيم وترسيخها من خلال ردود الأفعال والاستجابات تجاه كلّ مشهد وموقف وحالة، ولو لم تكن استثنائية، ومن الأمثلة على ذلك:

أ) عندما نرى طفلاً صغيراً يقدّم شيئاً ما إلى الزائرين نُبدي له الشكر بأحسن صوره، وننشر ثوب الثناء على فعله، وحينها يتحوّل هذا العطاء إلى جزء من شخصيّته ومنظومته السلوكية والأخلاقية. كما ينبغي العمل على وضع برامج لتكريم مثل هؤلاء الأطفال، ليتأكّد ذلك في نفوسهم، بل نحثّ الآباء والأُمّهات على تعريض أبنائهم لتلك الأحوال والأهداف والغايات المعنوية.

ب) الحبّ الشديد لصاحب الذكرى الذي يعيشه صاحب الموكب أو الحسينية يفرض عليه أن يتعامل مع معاونيه ومساعديه وشركائه في العمل على وفق ذلك الحبّ الإلهي، ممّا يفرض نمطاً ونوعاً خاصّاً من الأثر يتربّى هو عليه، كما يتربّى عليه مَن يتعامل معهم، ويصبح ذلك الخلق الحسن جزءاً من شخصيّتهم، وهذه الصورة قد نجدها في تعامل الأب مع الأُسرة وطريقته في زرع القيم الأخلاقية والمعنوية في نفوس أبنائه، وكلّما اشتدّ حبّه لتلك القيم، ترشّح تأثيرها أكثر في تصرّفه وسلوكه.

ج) الاستماع إلى بعض المبادئ والقيم التي تُعرض في القصائد الحسينية، مثل ما تضمّنته قصيدة (يحسين بضمايرنه) وأمثالها، في ظرف مؤثّر كتلك الأجواء المعنوية التي تسود زيارة الأربعين، والتي تمثّل الاستجابة الشرطية في ذلك الوقت، وترسّخها في ذهن المستمع ونفسه كلّما استمع إليها، حتّى في غير أوقات الزيارة.

وهذا الأمر مدعاة إلى إبداء اهتمام أكبر بالقصائد التي تُبثّ من مكبّرات الصوت، لتخترق مسامع الحاضرين في تلك البيئة الاجتماعية، والتوجيه إلى انتخاب القصائد الزاخرة بالدروس والعبر التي ضحّى لأجلها الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وبأهل بيته، فلا نكتفي بالقصائد المحزنة فقط.

د) اللافتات التي تشير إلى القيم والمبادئ التي قاتل لأجلها الإمام الحسين عليه السلام، واستشهد في سبيلها، سيكون لها معنىً وتأثير في نفس قارئها في ظلّ تلك الأجواء المفعمة بالروح المعنوية، وهذا المعنى عندما يتكرّر سيرسّخ في نفوس القرّاء على اختلافهم في الجنس والعمر والطبقة الاجتماعية، ويتحوّل فيما بعد إلى جزء من منظومتهم الفكرية العقدية أو الأخلاقية، وكلّما لاحت قباله تلك القيم والمبادئ في غير زيارة الأربعين، تبادر إلى نفسه ذلك المعنى، وعاش ذلك الشعور.

وهذا ما يفرض على المبلّغ والمرشد الحثّ على اختيار كتابات صحيحة معبّرة، تحمل قيماً سامية؛ حتّى يتمّ توجيه أجواء الزائرين إلى المنحى الصحيح، ونحذّر من استغلالها من قبل الفئات المؤدلجة، وأصحاب الأفكار الهدّامة والمنحرفة.

هـ) صور الشهداء التي تتكلّم مع الوافدين في ذلك المجتمع، وتحكي لهم قصصاً للتضحية من أجل العقيدة وحفظ المذهب والدين، معلنة أنّ تلك المبادئ أغلى من النفس، وأنّ الحياة من دونها لا معنى لها، فلأُولئك الأبطال الفضل في استمرار هذه المسيرة، وحفظها من مخطّطات الأعداء.

ومع كلّ اسم من أسماء الشهداء هناك قصّة تجذب الزائر المتأمّل، وتدعوه إلى البحث في دواخله وأعماق نفسه، هل يجد فيها القابلية على الوقوف موقفهم، والتضحية بالنفس مثلهم؟ هل لديها الاستعداد أن تسير على النهج الذي انتهجوه؟ فإنّ هذه المعاني قد تتبادر في ظرف خاصّ إلى ذهن الإنسان، ولكنّها تكون أبلغ وأشدّ تأثيراً فيما لو تحقّقت خلال تلك الأجواء الحسينية المفعمة بالتضحية والتفاني، فيزيد اقترانها هذا في مستوى ترسيخها، وتوطين النفس عليها، ولو بمقدار ضئيل، ولهذا

التوجّه الأثر الكبير في صنع أبطال للمستقبل.

وهنا ينبغي للمعنيين بالإرشاد والتوجيه العقائدي أن يضعوا هذا الأمر بالحسبان، وأن يبرزوا اهتماماً أكثر بطباعة صور الشهداء، مع فقرات صغيرة مؤثّرة من وصاياهم، أو كلمات معبّرة عن أهدافهم وغاياتهم من الحضور في سوح الحرب، والمثول في ميادين الوغى.

المحور السادس: القوانين التابعة لقانون الاستثارة وتطبيقاتها في زيارة الأربعين

أوّلاً: قانون الكفّ الداخلي

ومعنى هذا القانون: أنّه إذا تكرّر ظهور المثير الشرطي مدّة من الزمن دون تعزيزه بالمثير الطبيعي، فإنّ الفعل المنعكس الشرطي يضعف ويضمحل تدريجياً، وفي النهاية ينطفئ، أي: لا تظهر الاستجابة الشرطية[1]، ومن الأمثلة على ذلك: إذا لمس طفل الموقد، واحترق إصبعه، فسحبها متألّماً، فسوف يشعر بالخوف من الموقد، ويتلاشى هذا الخوف فيما إذا لمسه دون أن تحترق يده، وبتكرار هذه الحالة تنطفئ هذه الاستجابة وتضمحلّ. وهكذا الحال بالنسبة إلى الطفل الذي نُكثر عليه من الهدايا لداعٍ أو دون داع؛ إذ ستفقد الهدية قيمتها وأثرها في نفسه. وكذلك الطفل الذي نهدّده بالعقاب ولا نعاقبه؛ فإنّه لا يعود يعبأ بالتهديد.

وهنا يأتي دور المؤسّسات الإرشادية والمراكز التوجيهية، وذلك بخلق الأجواء المؤثّرة، وإبعاد المنغّصات والموانع عنها؛ حتّى تتكرّر المثيرات الطبيعية، أو الاستجابات الشرطية على طول الطريق، وفي كلّ سنة من السنوات؛ حتى تدوم، وتستمرّ، وتترسّخ وتُسقى بذرتها.

(١) أُنظر: قطامي يوسف وعدس عبد الرحمن، علم النفس العامّ: ص١٣٨.

ثانياً: قانون التعزيز

إنّ التعزيز شرط لا بدّ منه لتكوين الفعل المنعكس الشرطي، ويقصد بذلك تتابع الموقف على نحو يكون فيه التعزيز هو الخيط الذي يوحّد عناصر الموقف، ويجعل منها كتلة سلوكية ترابطية[1].

وتطبيقه في زيارة الأربعين يتمّ عبر تتابع المواقف والاستجابات المؤثّرة والمؤيّدة للغرض الرئيس من الحضور في تلك الأجواء، بحيث تصبح جميعها كحبّات المسبحة، وهي الخيط الرابط الذي يجعلها بمجموعها تشكّل كتلة سلوكية متكاملة هي حبّ الحسين عليه السلام، والوفاء لتضحياته في كربلاء.

ثالثاً: قانون التعميم

ويعني هذا القانون: أنّه حينما يتمّ اشتراط الاستجابة لمثير معّين، فإنّ المثيرات الأُخرى المشابهة للمثير الأصلي تصبح قادرة على استدعاء نفس الاستجابة، فالطفل الذي يخاف نوعاً من الحيوانات يستجيب بالخوف لحيوانات مشابهة لهذا النوع[2].

وهذا ما يوسّع لنا مجال العمل التربوي والإرشادي ويفتحه على مصراعيه، فما حصلت من استجابات في مسيرة الأربعين يمكن تعميمها للمناسبات أو الأماكن الأُخرى المشابهة، أو توظيفها من خلال خلق أجواء وظروف مشابهة لها.

الخاتمة

أوّلاً: المعطيات والنتائج

بعد عرضنا للمثيرات الدلالية والمثيرات السلوكية في مجتمع زيارة الأربعين، لاحظنا ما يترتّب عليها من استجابات شرطية، وذلك بحسب قانون الاستثارة

(١) أُنظر: الفاخري، سالم عبد الله، علم النفس العامّ: ج١، ص٢٣٣.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

لـ(بافلـوف) والقوانـين التابعة لـه، وحينما نضمّ إليهـا ما تقدّم بيانه مـن خلال تأثير الفرد في المجتمع، أو العكس نخرج بما يلي:

أ) تأثير الفرد في المجتمع

١. إنّ زيـارة الأربعـين تمثّـل مجتمعـاً لـه ميزاتـه وخصوصيّاتـه، ومـن أبرزهـا الـروح المعنوية الإلهية الحاكمـة على جميع أفراده، والمتمثّلة بالحبّ الحسـيني، والوفاء للإمـام عليه السلام، وعرفـان الجميل له، وتقديم العزاء إلى جدّه سـيّد المرسـلين صلى الله عليه وآله، ولأبيه سيّد الوصيّين عليه السلام.

ويتلوها من الخصوصيّات إحياء القيم الإنسـانية والدينية والإسلامية على وجه الخصـوص، بل مـا يتّصف به أتباع مدرسـة أهل البيت عليهم السلام من كـرم منقطع النظير، وحفـاوةٍ بالغة بالزائر القريب، ناهيك عن الزائـر الغريب؛ لاجتماع وصفين مؤثّرين فيه، الأوّل: كونه زائراً، والآخر: كونه غريباً عن وطنه.

٢. بـروز الكثير من القيم والمبادئ الرفيعة في هذا المجتمع؛ نتيجة وجود العديد مـن الأفـراد المؤمنـين والمعتقدين بها، ممّـن تربّوا وربّوا أنفسـهم عليها، كـما ذكرنا في المحور الأوّل من أنّها تظهر بصورة أكبر حينما تكون أكثر رسوخاً، وأعمق في نفوس أُولئـك الأفـراد الأوائـل، وتدريجيـاً تنتشر وتشـيع على وفـق معيارين، أوّلهما: سـعة القابليـة والاسـتعداد لدى غيرهـم، وثانيهما: منزلتها بالنسـبة إلى الفطرة الإنسـانية، ومدى انسجامها معها.

وهـذا ما جعل تلـك الخصال تنتشر في ذلك المجتمع كالنار في الهشـيم، وتصبح ظاهرة فيه، وبهذا انطلق التأثير من بعض الأفراد إلى المجتمع، فاستطاعوا بما يمتلكون مـن معتقـدات وقيم ومبادئ أن يخلقـوا مجتمعاً يغلب عليه ذلـك، وبالطبع كلّما كان إيمانهم بقيمة من القيم أكثر، اشتدّ بروزها، وانتشرت بسرعة أكبر، وتحوّلت إلى مظهر من مظاهر ذلك المجتمع.

٣. بحسب ما أشرنا إليه في النتيجة السابقة ينبغي للمعنيين بالشؤون الإرشادية أن يعرفوا قيمة ذلك، فيعزّزوا بروز القيم الإيجابية التي يراها علماء الدين صائبة بحسب قانون (بافلوف) في التعزيز، ويعمّموها بحسب قانون التعميم، ويعملوا على تضعيف وإزالة العادات والأفكار المنافية للروح المعنوية الإلهية في ذلك المجتمع قدر المستطاع، بحسب قانون الكفّ الداخلي؛ حتّى تنعدم وتزول منه شيئاً فشيئاً، كما ينبغي عدم غفلتهم عمّا يفعله ذوو الأفكار المنحرفة.

ب) تأثير المجتمع في الفرد

إذا انطلقنا من تأثير المجتمع في الفرد، فسيكون الكلام واسعاً جدّاً، وخير دليل على شدّة التأثير ذلك النمو المتزايد والملحوظ في عدد المشاركين؛ ليتعاظم عددهم طردياً سنة بعد أُخرى، فمن الآلاف إلى الملايين، ومن آحاد الملايين إلى عشرات الملايين، مضافاً إلى حالة الشوق التي تغمر كلّ مشارك وحاضر، فيأخذ بعدّ الأيّام حبّاً لتلك المناسبة؛ حتى يعيش فيها أحلى أيّام حياته، وأعذبها، وأخلصها، وأقربها إلى الله سبحانه.

وحتى نقف على واقع التأثير المجتمعي في الفرد، نقول: إنّ كلّ مَن يدخل في ذلك المجتمع سيتأثّر بحسبه وبحسب الأيّام والساعات التي يعيشها في ضمن إطاره، مع إدراج قابلية الفرد واستعداده في ضمن معادلة التأثير المجتمعي؛ إذ لا يخرج دون تأثّر على المستوى المعرفي أو السلوكي؛ لأنّ ذلك بمنزلة الرزق الإلهي، ينال منه الفرد بقدر قابليّته واستعداده.

نعم، قد يتقيّد التأثير المعرفي بالانتباه والتوجّه؛ وذلك باعتبار أنّ الشرط الأساسي للتعلّم هو الانتباه، لكن التأثير السلوكي قد يكون لا شعورياً، فتجرف الفرد أمواج الفضيلة ودماثة الأخلاق والكرم وحسن الضيافة إلى شاطئ العزّة والكرامة، ويكون بين أحد أمرين: إمّا الانصهار في بوتقة هذا المجتمع، فيغدو فاعلاً بعدما كان منفعلاً، وإمّا أن تتضمّخ روحه بأريج العزّة والكرامة.

٢) ما دام الإنسان يتعرّض لنفحات الرحمن في تلك البيئة الاجتماعية، فمن المؤكّد أن يناله شيء منها؛ لعدم خلوّ مجتمع زيارة الأربعين من الذكر والتذكير، والدعوة إلى الخُلق القويم، ودفع النفوس نحو عوالم المعنويات، ولا يخفى ما يخلقه ذلك من أجواء فكرية تربوية تؤثّر تدريجياً في سلوك المشاركين، فهي بمنزلة مجالس الذكر التي وصفها النبي صلى الله عليه وآله برياض الجنّة، فقالوا له: يا رسول الله، وما رياض الجنّة؟ قال صلى الله عليه وآله: «**حَلَقُ الذِكر**»[١]، وهي بمنزلة التزاور بين المؤمنين الذين قال بشأنهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**تزاوروا؛ فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم، فخذوا بها، وأنا بنجاتكم زعيم**»[٢].

وعندما يحضر الإنسان في تلك الأجواء الإيمانية التربوية، سيعيش أحوالاً معنوية روحية يتعالى فيها على متاعب الحياة وأعبائها، ويتسامى فيها فكراً وعاطفة، ثمّ سلوكاً، ولنا أن نشبّهها بأجواء المساجد؛ إذ يقول الإمام الحسن عليه السلام في حقّها: «**مَن أدام الاختلاف إلى المسجد، أصاب إحدى ثمانٍ: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدلّه على الهدى**[٣]**، أو تردّه عن ردى، وترك الذنوب حياءً، أو خشية**»[٤].

ثانياً: المقترحات

ينبغي للمعنيين بالشأن أن يعملوا ويثابروا ويركّزوا في مجموعة من النقاط المهمّة:

(١) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٤٠٩.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٨٦.
(٣) في بعض المصادر (هدى)، وهو الأنسب للسياق؛ إذ جاءت كلمة (ردى) نكرة.
(٤) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٣٥.

١. تحديد الاستجابة لكلّ مثير سلوكي أو دلالي بصورة دقيقة.

٢. محاولة تهيئة الظروف لحضور مَن لم تسمح لهم الفرصة بالمشاركة والانصهار في مجتمع زيارة الأربعين.

٣. تحديد القيم الحسنة التي لم تبرز آثارها في مجتمع زيارة الأربعين، ثمّ العمل على صنع مثيرات دلالية وسلوكية لها؛ حتّى تستثار لأجلها النفوس، وتأخذ موضعها الصحيح منها.

٤. توفير بيئة مشابهة لأجواء الأربعين التي حصلت فيها الاستجابات، وذلك في المساجد والحسينيات من خلال المناسبات المشابهة الأُخرى.

٥. العمل إعلامياً وإرشادياً على توجيه نظر الزائر والخادم إلى القيم، والمفروض أنّه حضر لأجلها في مجتمع زيارة الأربعين؛ كي لا يحصل لديه تشويش وغموض؛ لكثرة المثيرات وتنوّعها في أثناء تحقّق الاستجابات.

٦. مضاعفة العمل على مجموعة من القيم المعنوية العقائدية، مثل: الإيمان بالله تعالى، وذكره على كلّ حال، وإبراز قيمة الدين التي كانت لأجلها كلّ تلك التضحيات، والشعور بالتقصير إزاء النعم الإلهية، وأبرزها معرفتنا بأهل البيت عليهم السلام، والرضا بالقضاء، والتسليم به، من خلال الاستعانة بحوادث النهضة الحسينية.

ومن القيم المعنوية الأخلاقية التي ينبغي التوجيه إليها: تنمية الحياء، وإحياء الضمير، والتقويم الاجتماعي، والبشاشة وطلاقة الوجه، وبيان دور القدوة والأُسوة، والإنصاف، وتأثير الإيثار والبذل ونحوهما في تركيز خلق الزهد في أموال الناس وممتلكاتهم؛ ليعمّ تأثير ذلك حياة الفرد في أوقاته الأُخرى غير وقت الزيارة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

الكتب

١ . تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٢ . ذاكرة الإنسان، غلاتسكي، ترجمة: السيّد روفا، دار السلام، موسكو ١٩٧٨م.

٣ . شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمّد المغربي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٤ . علم النفس العامّ، سالم عبد الله الفاخري، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠١٧م.

٥ . علم النفس العامّ، يوسف قطامي وعدس عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والطباعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.

٦ . الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ.ش.

٧ . المجتمع والتاريخ، الشيخ مرتضى مطهّري، دار نشر تنوير، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأُولى، ٢٠١٩م.

٨ . المجتمع.. دراسة في علم الاجتماع، حسين أحمد رشوان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

٩ . مَن لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ

الصدوق، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٠ . الموسوعة العربية (بافلوف، إيفان بتروفيتش)، علي وطفة، وزارة الثقافة السورية، دمشق.

١١ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.

المجلّات والبحوث

١ . أثر اختلاف المتغيّرات الديموغرافية على مجتمع الدراسة، كميل إدوارد متواضع، مجلّة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلّد السادس، العدد السابع والعشرون، مايو ٢٠٢١م.

٢ . استراتيجيات الفاعل التنموي بين متطلّبات المحلّي وإكراهات المعولم، زهير بن جنّات، مجلّة إنسانيّات، المجلّة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، دورية فصلّية، العدد التاسع، وهران، الجزائر، ٢٠٠٥م.

٣ . اليوتوبيا في العالم الحديث ومجتمع المعرفة، هشام موحي، مجلّة كلّية الآداب (العدد ٣، المجلّد ٣٢)، جامعة المنوفية شبين الكوم، مصر، ٢٠٢١م.

زيارة الأربعين

دراسة في المشروعية والأبعاد الاجتماعية

سعيد مهرابي

باحث إسلامي، الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة/ إيران

The Ziyara of Arbaeen

A Study on the Legitimacy and the Social Dimensions

Said Mehrabi

Islamic researcher, the Islamic Seminary – Holy city of Qom, Iran

ملخّص البحث

يتبيّن لنا جليّاً من خلال الرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام أنّهم أولَوا زيارة الإمام الحسين عليه السلام اهتماماً خاصّاً، ومن مصاديق ذلك زيارته عليه السلام في يوم الأربعين، وهذا التركيز والاهتمام يرجع إلى ما في هذه الزيارة من فضائل روحية من ناحية، وما يترتّب عليها من بركات اجتماعية من ناحية أُخرى. وقبل كلّ شيء لا بدّ من توضيح الموقف الشرعي تجاه هذه الزيارة؛ ليُعرف أنّ زيارة الإمام عليه السلام في يوم الأربعين مستندة إلى المصادر الدينية.

بناءً على ذلك؛ يتمحور بحثنا في هذا المقال حول مشروعية هذه الزيارة، وأبعادها الاجتماعية، ونظراً إلى الأهمّية الخاصّة التي اكتسبتها زيارة الأربعين في السنوات الأخيرة، سيكون تسليط الضوء على بركاتها الاجتماعية عاملاً مهمّاً لمزيد من التشجيع على هذه الحركة المقدّسة وتطويرها؛ ومن هنا فإنّ دراستها تمثّل أمراً في غاية الأهمّية.

هذا؛ وقد توصّل البحث إلى عدّة نتائج، منها أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين مستحبّة، استناداً إلى الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة. ومنها أيضاً أنّ هناك أشياء كثيرة ورد الحثّ عليها من قِبل أهل البيت عليهم السلام تترتّب على هذه الزيارة، كإحياء أمرهم عليهم السلام، ومواساة الإخوان، وتعظيم الشعائر، ونحو ذلك، أضف إلى ذلك أنّها تُعدّ في العصر الراهن من الأسباب المهمّة في تحقّق أُمور ـ كانت ولا تزال ـ من أسباب انتصار الإسلام، من قبيل الوحدة الاجتماعية والتعاطف والتكاتف، لا سيّما أنّ المدرسة الحسينية تمثّل نموذجاً عالمياً للدفاع عن المظلومين، ومواجهة الظالمين.

الكلمات المفتاحية: الزيارة، زيارة الأربعين، المشروعية، الانسجام الاجتماعي، تعظيم الشعائر.

Abstract

By returning to the narrations of the Household (PBUT), it becomes clear that they ascribed special attention to the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH), particularly emphasizing the visitation on the day of Arbaeen. This emphasis is due to the spiritual virtues of this Ziyara on one hand, and the social blessings that result from it on the other hand. Before all this, it is important to clarify the religious stance on this Ziyara, so that it becomes known that the Ziyara of the Imam (PBUH) on the day of Arbaeen is based on religious sources.

Accordingly, our study in this article revolves around the legitimacy of this Ziyara and its social dimensions. Given the special importance that the Ziyara of Arbaeen has gained in the last few years, explaining the social blessings of this Ziyara will be an important factor for more encouragement towards this holy movement and its development; hence, studying it is paramount.

The study has reached several results, including the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) on the day of Arbaeen being recommended based on Quranic verses and noble narrations. We also found that the Household (PBUT) have encouraged several acts related to this Ziyara such as reviving their cause, supporting one another at times of grief, honoring rituals, and other acts.

Furthermore, some elements such as social unity, empathy, and solidarity – which are the causes of the victory of Islam at any time – have the Ziyara of Arbaeen as one of their important roots in the present era. Especially considering that the Husayni school is a global model for defending the oppressed and confronting the oppressors.

Keywords: Ziyara, Ziyara of Arbaeen, legitimacy, social harmony, honoring rituals.

المقدّمة

تُعدّ أربعينية الإمام الحسين عليه السلام تأريخياً من أهمّ الفترات بعد يوم عاشوراء، فقد أصبحت نقطة تحوّل في تاريخ الإسلام والتشيّع، وقد جاء في رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّ إحياء يوم الأربعين، وزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في ذلك اليوم من علامات المؤمن الخمس.

من هنا؛ نجد أنّ أتباع الإمام الحسين عليه السلام وشيعته كانوا يواظبون على زيارته عليه السلام في هذا اليوم؛ وفقاً للتوجيهات التي تلقّوها من أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن، وقد استمرّت هذه السيرة الشيعية منذ انطلاقها في زمن الأئمّة عليهم السلام، متّخذة أبعاداً جديدة في عصرنا الراهن، حتى صارت المشاركة فيها تستوعب الشيعة ومحبّي أهل البيت عليهم السلام من جميع أنحاء العالم، وبخاصّة العراق وإيران، في مراسم كبيرة تمثّل أكبر تجمّع جماهيري يتمحور حول ثقافة أهل البيت عليهم السلام، وممّا لا شكّ فيه أنّ مثل هذا التجمّع العفوي الرائع تترتّب عليه ثمرات عديدة في مختلف الجوانب الدينية والسياسية وغيرها، وأنّه يوفّر لنا فرصة ثمينة لإحياء القيم الاجتماعية.

ومن إنجازات الأربعين تأثيرها الهائل في الأخلاق الشخصية والاجتماعية للمشاركين؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين عليهم السلام هم مصدر كلّ الفضائل، وهم القدوة في البُعدين الأخلاقي والروحي؛ ومن هنا أشرنا في هذا المقال ـ بعد بيان مشروعية زيارة الأربعين ـ إلى أهمّ الآثار الاجتماعية لهذه الزيارة التي تمثّل مصدراً للبركات الروحية والاجتماعية في السنوات الأخيرة.

هذا؛ وإنّ ما نشهده في عصرنا الحالي من تزايد هجوم العدو على وحدة الصف الشيعي أكثر من أيّ وقت مضى، وسعيهم إلى تدمير معتقداتهم، واستهداف أُسسهم الفكرية والدينية، يُكسب البحث في زيارة الأربعين أهمّية خاصّة من جوانب عديدة.

تمهيد

قبل الخوض في صلب الموضوع يجب توضيح بعض المفاهيم الأساسية لغةً واصطلاحاً.

أ) الزيارة

الزيارة في اللغة: من زار يزور زوراً، مادّة (زور)، بمعنى القصد والميل، والفاعل الزائر[1]. جاء في (معجم مقاييس اللغة): «**الزاء والواو والراء أصلٌ واحد يدلُّ على المَيْل والعدول، من ذلك الزُّور: الكذب؛ لأنّه مائلٌ عن طريقة الحقّ... ومن الباب: الزائر؛ لأنّه إذ زارك فقد عدل عن غيرك**»[2].

والزيارة: إتيان شخص بقصد رؤيته، أو بقصد واجب اجتماعي أو ديني[3]، فعن (الإفصاح) في مادّة (زور): «**الإتيان والقصد والزيارة في العُرف: قصد المزور إكراماً له، واستئناساً به، زاره يزُوره زَوراً وزيارة وزُوارة، فهو زائر وزَور**»[4].

أمّا في الاصطلاح، فهي حضور الزائر عند المزور؛ تكريماً له، أو تعظيماً لشأنه عادة، قال صاحب كتاب (جواهر الكلام) في معنى الزيارة اصطلاحاً: «**ويكفي في الزيارة الحضور في المقام، وفي (الدروس): (الأقرب وجوب السلام؛ لأنّه المتعارف من الزيارة)، وهو كذلك مع فرض التعارف، وعلى كلّ حال فلا يجب الدعاء ولا الصلاة وإن استُحبّا، والله العالم**»[5].

(١) أُنظر: الفيّومي، أحمد بن محمّد، المصباح المنير: ج٢، ص٢٦٠.
(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٣٦.
(٣) أُنظر: معلوف، لويس، المنجد: ص٦٢٩.
(٤) حسين يوسف موسى، وعبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة: ج١، ص٢٨٧.
(٥) النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج٣٥، ص٤٣٠.

ب) الأربعين

الأربعين في اللغة: عدد مشخّص، وقد اكتسب مكانة خاصّة في الروايات والمعارف الإسلامية، كالاهتمام بحفظ أربعين حديثاً[1]، أو الإخلاص في أربعين يوماً[2].

أمّا اصطلاحاً، ففي السنوات الأخيرة، وللعديد من الأسباب الاجتماعية والثقافية، أصبح لفظ الأربعين يُستخدم في الغالب للإشارة إلى زيارة الأربعين، أي: زيارة الإمام الحسين عليه السلام في اليوم الأربعين من استشهاده، بحيث ينصرف الذهن إلى هذا المعنى عند عدم القرينة؛ فإنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام ـ على ما ذُكر في المصادر التاريخية ـ قد أُلحق بجسده الشريف بعد أربعين يوماً من استشهاده، وتُعدّ زيارته في هذا اليوم من المستحبّات، ومن علامات المؤمن الخمس[3].

المبحث الأوّل: دراسة في مشروعية زيارة الأربعين

نتناول في هذا المبحث مشروعية زيارة الأربعين التي يمكن الاستدلال عليها بحجج مختلفة، كالآيات القرآنية، والروايات الشريفة، وهي من أهمّ الأدلّة في هذا المضمار.

أوّلاً: الاستدلال بالقرآن الكريم

بالرغم من أنّ القرآن الكريم لم يدخل بشكل مباشر في بعض القضايا الدينية أو الاجتماعية، فإنّه طرح أُصولاً أو قواعد ضمن آياته، يمكن من خلالها الحصول على العديد من الفروع، فعلى سبيل المثال: قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا

(١) أُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص١٥٣.
(٢) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٦٩.
(٣) أُنظر: المفيد، محمّد بن محمّد، المزار: ج١، ص٥٣.

رَّحِيمًا ﴾[1]، فهذه الآية صريحة في أنّ لشفاعة الرسول صلى الله عليه وآله واستغفاره تأثيراً في حقّ المذنبين، وأنّهما يؤدّيان إلى قبول التوبة، والرحمة الإلهية.

ومن المثير للاهتمام أنّ القرآن الكريم لم يخاطب الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً: استغفِر لهم، بل أشار إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله ينبغي أن يستغفر لهم، وهذا التأويل يدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله يجب أن يستخدم منصبه، فيستغفر للمذنب التائب؛ وعليه فالمستفاد من هذه الآية هو أنّ مقام الرسول صلى الله عليه وآله هو الواسطة بين العباد وبين الله تعالى، ومن خلال ذلك تصل رحمة الله إلى الناس.

وبما أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام ـ بحسب عقيدة الشيعة ـ هم خلفاء الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، فإنّ منصبه صلى الله عليه وآله ومكانته ثابتة لهم عليهم السلام، ما عدا مقام النبوّة؛ ولذلك فإنّ الأئمّة عليهم السلام سيكون لهم نفس الآثار والبركات التي هي لرسول الله صلى الله عليه وآله، بصفتهم حجج الله، وأنّ لهم ما لرسول الله صلى الله عليه وآله من الوجاهة عند الله تعالى.

إجابة عن إشكال

قد يقال: إنّ هذه الآية خاصّة بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا تشمل ما بعد وفاته، كما توهّم ذلك الوهّابية، فلا مجال لزيارة الرسول صلى الله عليه وآله أو الأولياء بعد مماتهم[2].

والجواب واضح؛ فإنّ القرآن الكريم يصرّح بأنّ أولياء الله أحياء عند ربّهم يُرزقون، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[3]، فكما أنّ زيارتهم في حياتهم مصدر للبركة، فإنّ لها نفس التأثير بعد وفاتهم أيضاً؛ لأنّهم أحياء عند ربّهم.

وبصورة عامّة: يعدّ المسلمون كلّ الآيات النازلة في تعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله واحترامه شاملة لحياته ولما بعد مماته، فليس هناك ما يُخصّصها بحياته، «**وقد جاء في**

(١) النساء: الآية ٦٤.

(٢) أُنظر: السبحاني، جعفر، الوهّابية بين المباني الفكرية والنتائج العملية: ص١٨٤.

(٣) آل عمران: الآية ١٦٩.

التاريخ: لمّا استُشهد الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وجيء بجثمانه الطاهر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ظنّ بنو أُمية أنّ بني هاشم يريدون دفن الإمام بجوار قبر جدّه المصطفى، فأثاروا الفتنة للمنع من ذلك، فتلا الإمام الحسين عليه السلام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾[1]، ولم يردّ عليه أحد ـ حتّى من الأُمويّين ـ بأنّ هذه الآية خاصّة بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

وباختصار: لا فرق بين زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته وفي أثناء حياته، فهي مصدر للبركة على كلّ حال، ولأهل البيت عليهم السلام نفس المكانة؛ لأنّهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله في مكانته ومقامه، فزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين مصدر للأعمال والبركات؛ بصفته إماماً معصوماً، ووصياً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ثانياً: الاستدلال بالروايات

تضافرت النصوص التي تثبت شرعية زيارة الأربعين في مصادر الحديث، وهي الروايات التي تُشير إلى مشروعية زيارة الإمام الحسين عليه السلام بشكل مطلق، والتي تُعدّ زيارة الأربعين واحدة من مصاديقها في يومنا هذا، فقد روى ابن قولويه في هذا الباب عشر روايات في كتابه (كامل الزيارات)؛ وبما أنّها متضافرة فهي لا تحتاج إلى دراسة سندية، وسنذكر فيما يلي بعضاً منها:

«عن سدير الصيرفي، قال: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام، فذكر فتى قبر الحسين عليه السلام، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما أتاه عبد فخطا خطوة إلّا كتب الله له حسنة، وحطّ عنه سيّئة»[3].

و**«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَن زار الحسين عليه السلام من شيعتنا لم يرجع حتّى يُغفر له كلّ ذنب، ويُكتب له بكلّ خطوة خطاها وكلّ يد رفعتها دابّته ألف حسنة، ومحي عنه ألف سيّئة، وتُرفع له ألف درجة»[4].**

---

(١) الحجرات: الآية ٢.

(٢) السبحاني، جعفر، الوهّابية في الميزان: ص١٧٨.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٣٤، ح٧.

(٤) المصدر السابق: ح٨.

وهنـاك أيضاً روايات خاصّة في هذه المسـألة، مثل الرواية المشـهورة التي نُقلت عن الإمام العسـكري عليه السلام في علامـات المؤمن، وهي: «**علامـات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسـين، وزيارة الأربعـين، والتختّم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسـم الله الرحمن الرحيم**»[1].

وعلى الرغم من الإشـكالات السـندية التي توجّه إلى هذه الرواية، فإنّ وضعها بجانـب روايات أُخرى ـ بما فيها الروايـات المذكورة آنفاً ـ يكفي في إثبات مشروعية زيارة الأربعين.

ثـم إنّ وجود هذه الروايات والأدلّة الشرعية الخاصّة بزيارة الأربعين، دفع كبار فقهـاء الشـيعة إلى إصدار فتاوى في اسـتحباب زيـارة الأربعين، منهـم العلّامة الحلّي الـذي قـال في كتابه (منتهى المطلب): «**وتُسـتحبّ زيارته يـوم الأربعين من مقتله** عليه السلام، **وهـو العـشرون مـن صفـر**»[2]. وعلى هذا؛ فـإنّ مشروعيـة زيارة الأربعـين لا يمكن إنكارهـا، بل ثبت اسـتحبابها بالأدلّة الشرعيـة، كالروايات العديـدة التي وردت في المصادر الروائية المعتبرة.

المبحث الثاني: دراسة في الأبعاد الاجتماعية لزيارة الأربعين

لزيـارة الأربعـين ـ إضافة إلى بركاتها الأُخروية ـ آثـار في الحياة الاجتماعية، وهي تحتاج إلى مناقشـة ودراسـة، خصوصاً في العـصر الحالي الذي تحتاج فيـه المجتمعات الإسلامية إلى النمو والتطوّر؛ وذلك لوضع الأُسس الممهّدة لظهور إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

١ـ العزّة والكرامة الاجتماعية

الإنسـان ـ مـن وجهـة نظـر القـرآن الكريـم ـ كائـن ذو قيمـة وكرامـة عاليـة:

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٠٦، ح١٧. الفيض الكاشاني، محسن، الوافي: ج٤، ص١٧٧.

(٢) العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب: ج١٣، ص٢٩٤.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ...﴾[1] وفي ظلّ هذه الكرامة المتأصّلة التي تُعرف بأنّها أحد أُسس التربية، دأب الأئمّة عليهم السلام على نصح الناس بحماية قيمهم، والابتعاد عمّا يضرّ بالقيم الإنسانية، فعلى سبيل المثال يعدّ الإمام علي عليه السلام القيم الإنسانية هبة إلهية لا يمكن تعويضها في حالة فقدانها، حيث قال: «**أكرم نفسك عن كلّ دنية، وإن ساقتك إلى رغبة فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً**»[2].

ففي هذه المدرسة لا يعدّ الإنسان ذلك الحيوان الذي خان الكثير من الحيوانات في مشهد الصراع من أجل البقاء، وذلك في بداية حياة الحيوانات الأُخرى قبل مئات الملايين من السنين، حتّى وصل إلى هذا المستوى اليوم، بل هو كائن فيه شعاع من الروح الإلهية، تلك الروح التي سجدت لها الملائكة في جسد هذا المخلوق، فعلى الرغم من الميول الحيوانية نحو الشهوة والشرّ والفساد، فإنّ هناك جوهراً نقياً لا يتوافق مع الشرّ، وسفك الدماء، والكذب، والفساد، والخسّة، والذلّ، والخضوع لمنطق القوّة والظلم، فهو مظهر من مظاهر الكرامة العظيمة[3].

من هنا؛ نجد أنّ الإمام الحسين بن علي عليهما السلام خلال حياته المستنيرة ـ خصوصاً في حركته إلى كربلاء ـ كان يتحدّث دائماً عن كرامة الإنسان، ويعدّ القبول بحكم يزيد بمثابة الذلّ، وأنّ كرامته عليه السلام أعلى من الخضوع له، وشرفه أسمى من الاستسلام لمثل هذا الإذلال، ومن ذلك ما قاله عليه السلام: «**ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك منّي، هيهات منّا الذلّة، أبى الله ذلك لنا، ورسوله والمؤمنون، وحجور طهرت، وجدود طابت أن يؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام**»[4].

---

(١) الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٧٧. النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٧، ص٢٣١.

(٣) اُنظر: مطهّري، مرتضى، مجموعه آثار: ج٢، ص٤٧٨.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٠٠.

فالإمام الحسين عليه السلام ـ بصفته معلّماً للحرّية ـ كان يعدّ نفسه ملزماً بإيقاظ النائمين في ذلك العصر، ونقل هذا الشعور بالكرامة إلى جميع الناس، وبخاصّة شيعته وأتباعه. وفي ضوء ما قلنا؛ فإنّ درس الشرف والكرامة الحسينية يعدّ من الدروس الاجتماعية المهمّة التي نحصل عليها بواسطة زيارة الأربعين؛ فإنّ الزائر يتذكّر دائماً ـ وهو في طريقه إلى موضع استشهاد الإمام عليه السلام ـ أنّ إمامه قد استشهد من أجل الحفاظ على كرامته، فطريق الإمام عليه السلام هو طريق الكرامة، وشعاره المحافظة على العزّة.

وهذا المعنى يوحي إلى نفس الزائر أنّه لا يمكن السير في طريق الحسين عليه السلام إلّا لطلب الكرامة، ولا يمكن مواصلة المسير على نهجه إلّا بالمحافظة على القيم الإنسانية، فعندما يتمنّى الزائر قائلاً: «**يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً**»[1]، فإنّه يقصد بذلك الرغبة في حفظ كرامته، واجتناب امتهان نفسه من أجل حطام الدنيا.

٢ـ البرّ بالإخوان والمواساة في الله

كان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يعملون دائماً على حثّ الناس على التحابب والمواساة في الله؛ فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**اتّقوا الله، وكونوا إخوة بررة، متحابّين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا وأحيوه**»[2]. وروي أيضاً عن جميل بن درّاج أنّه قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: «**خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن صالح الأعمال البرّ بالإخوان، والسعي في حوائجهم، وفي ذلك مرغمة الشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان. يا جميل، أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك**»[3].

وقد أبدى أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام نفس التعاطف في سلوكهم وكلامهم،

(١) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٩١.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٧٥، ح١. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٢، ص٢٢، ح٨.

(٣) الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج٥، ص٢٨٦.

خصوصاً في مشهد كربلاء، فعندما ورد العبّاس عليه السلام شريعة الفرات، وتذكّر عطش الحسين عليه السلام، أبى أن يشرب الماء، فرماه من يده، وملأ القربة، وحملها على كتفه، وتوجّه نحو الخيام[1].

بناءً على هذه الإنجازات الاجتماعية؛ يشعر جميع المشاركين في مسيرة الأربعين بالتقارب والتعاطف والأُخوّة، ففي هذا الحشد الغفير يجتمع محبّو أهل البيت عليهم السلام من عشرات دول العالم، ومن جنسيّات مختلفة، بكلّ نقاء ومحبّة؛ لرثاء إمامهم، واتّخاذه هدفاً وأُسوة في سلوكهم.

وفي ضوء هذه المصلحة المقدّسة يتشكّل مجتمع نشهد فيه أرقى أنواع التفاعلات الأخلاقية والسلوكية، ونرى فيه الجميع بعضهم مع بعض في منتهى النقاء والأُلفة والمحبّة، بغض النظر عن فوارق اللون والعرق، فهم يتحرّكون في نفس الاتّجاه، نحو غاية محدّدة، وهو اتّجاه الإمام الحسين عليه السلام.

يقول السيّد الخامنئي (حفظه الله) في كلمة يشكر فيها الإخوة العراقيين، مشيراً إلى هذا السلوك الإخوي: «**ما ينقل لنا عن سلوككم أيّها الإخوة العراقيون الأعزاء، في المواكب التي على الطريق، وتعاملكم الكريم مع زوّار الحسين، أشياء لا نظير لها، لا نظير لهذه الأشياء في عالم اليوم، كما أنّ مسيرات الأربعين ذاتها لا نظير لها في التاريخ، وسلوككم الكريم أيضاً لا نظير ولا شبيه له حقّاً، لقد عبّرتم عن الكرامة الإسلامية، والكرامة العربية في تعاملكم وأعمالكم، وكلّ ذلك على حبّ سيّد الشهداء (سلام الله عليه)، على حبّ الحسين بن علي...**

نحن ـ إيران والعراق ـ شعبان مرتبطان ببعض، أجسامنا وقلوبنا وأرواحنا مرتبطة ببعضها، والذي أوجد هذا الترابط هو الإيمان بالله، ومحبّة أهل البيت عليهم السلام، ومحبّة الحسين بن علي عليه السلام، وهو ما سوف يزداد يوماً بعد يوم إن شاء الله»[2].

---

(١) أُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤١.

(٢) أُنظر: مقتطفات من خطاب السيّد الخامنئي في جماعة من الإخوة العراقيين، بتاريخ: ٢٠١٩/٩/١٨م.

٣ـ الصبر والمقاومة

للصبر ـ بشكل خاصّ ـ منزلة هامّة في التعاليم الأخلاقية؛ حتّى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمَن لا صبر له**»(١). ومن ناحية أُخرى، أمر القرآن الكريم الناس بالصبر في مواجهة المشاكل الاجتماعية، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢).

وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنّ للصبر والمقاومة ضدّ المشاكل الاجتماعية أهمّية خاصّة في آخر الزمان قبل ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف(٣)، وبناءً على هذا فإنّ من المسائل المهمّة التي ينبغي مراعاتها في هذا العصر هو الصبر في مواجهة المشكلات الاجتماعية.

ومن النقاط المهمّة ـ وفقاً لمبادئ التربية الإسلامية، وما ورد في بعض الأحاديث(٤) ـ أنّ تعويد النفس على الخيرات هو أحد سبل اكتساب الصبر والمقاومة في طريق الصعوبات، وكلّما عوّد الإنسان نفسه على فعل الخيرات، يزداد صبره ومقاومته في أداء الواجبات الإلهية.

ولا شكّ أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً في الأربعين يصاحبها العديد من الصعوبات والمشاقّ، مثل التعب الجسدي، وتقرّح القدمين، وتشنّج العضلات، والحروق الجلدية بسبب أشعة الشمس، والبرد أو الحرّ، والمرض، وغيرها، وتحمّل مثل هذه المشاكل يتطلّب الصبر.

قد يعاني العديد من المشاركين في موكب الأربعين من متاعب الحياة وصعوباتها، والضيق المادّي، إلّا أنّهم يقطعون هذا الطريق على نفقتهم الخاصّة، وبدافع روحي

(١) الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ج١، ص٣١٥.
(٢) البقرة: الآية ١٥٥.
(٣) اُنظر: البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج١، ص٣٥٨.
(٤) اُنظر: ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٦٩. نهج البلاغة: رسالة رقم ٣١.

فقـط؛ لأنّهم يعتقدون أنّ حضور مراسـم الأربعين هو أفضل فرصة لزيادة القدرات العقلية والروحية والجسـدية، والتـدرّب على التعامل مع المـرارة والصعوبات، وأنّه يجعل الإنسـان أكثر نضجاً، وأكثر صفاءً، وأنّ رضا الله تعالى ودخول الجنّة لا يُنالان بطلـب العافية واللهو، كما قال الإمام الباقـر عليه السلام: «**الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمَن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنّة**»[1].

والنتيجـة هـي أنّ مسـيرة الأربعـين وزيـارة الإمام الحسـين عليه السلام في هذه المناسـبة العظيمـة يمثّلان مدرسـة عمليـة لزيادة الصبر؛ فـإنّ تحمّل مشـاق الطريق ومتاعب السفر من شأنه أن يغيّر النظرة إلى الحياة لدي الطبقة المرفّهة، ومَن يتمتّعون بإمكانات مادّية، ومَن لم يتذوّقوا طعم المشقّة، أُولئك الذين ولدوا وهم منعّمون، وهم يتّصفون عادة بضعف الإرادة، وعدم القدرة على اتّخاذ القرارات المهمّة، ولكنّ أمثال هؤلاء ـ بعد مشـاركتهم في هذه المسـيرة، وتحمّل تلك المشاقّ ـ يعترفون بأنّهم كبروا سنوات، وأنّهم عادوا من سفرهم بغير تلك الشخصيّات التي رحلوا بها.

٤. الاتّحاد والانسجام الاجتماعي

تمثّل زيارة الأربعين أكبر تجمّع بشري يتمحور حول ثقافة أهل البيت عليهم السلام، وأهمّ مـا يميّز هذا الحضور العالمـي المذهل هو أنّ معظم المشـاركين يفكّرون في التضامن، ويعدّون وحدة المسلمين وسلامتهم طريقاً لتحقّق آمال الأُمّة، ومسكّناً لآلامها.

إنّ موضوع اتّحاد المسلمين حول محور تعاليم الإسلام المشرقة، والقرآن الكريم، وأهل البيت عليهم السلام، ممّا صُرِّح به في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٨٩، ح٧.

تَهْتَدُونَ﴾[1]، وفي كلام الأولياء، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنّ يد الله مع الجماعة، وإيّاكم والفرقة؛ فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب**»[2]. كما ورد ذات المعنى في قول أحد المعمّرين وهو يوصي بنيه: «**إيّاكم والفرقة؛ فإنّها ذلّة**»[3].

في مسيرة الأربعين يتحرّك كلّ عام أكثر من عشرين مليون شخص في اتّجاه واحد، نحو الإمام الحسين عليه السلام، فالجميع يفكّرون في نفس الهدف، ولديهم نقطة واحدة مشتركة، ويمثّل ذلك عاملاً مهمّاً لتحقيق الوحدة بين المسلمين واستمرارها.

كما يتبيّن من خلال هذا المسيرة أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام قوية جدّاً في إيجاد دواعي الوحدة بين الناس، ومنحها الاستقرار؛ من هنا ينبغي لأتباع جميع المذاهب الإسلامية ـ ممّن يرون أنّ من واجبهم محبّة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، واحترام حرماتهم ـ أن يغتنموا هذه الفرصة؛ لتحقيق التقارب في الأفكار والأذواق، والسعي إلى مزيد من الانسجام بين المسلمين، والعمل على زيادة شوكتهم يوماً بعد يوم.

٥ـ طلب العدالة ومناهضة الاستبداد

لقد دأب المستكبرون ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ على اختلاق الخلافات بين الناس؛ تثبيتاً لسلطتهم، وإضعافاً لقدرة المجتمع؛ لإسقاطه في مهاوي الذلّ والهوان، وإرغامه على الخضوع لحكمهم القمعي[4]، كما فعل فرعون، فقد علا في الأرض، وأعمل سلطته في الناس، وبسط فيهم قدرته، وجعلهم شيعاً وفرقاً مختلفة، لا تجتمع كلمتهم على شيء، وبذلك أضعف قوّتهم على مقاومة سطوته، والحيلولة دون نفوذ إرادته[5].

---

(١) آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة: ص١٨٤، خطبة رقم ١٢٧. وللمزيد من هذه الكلمات، اُنظر: الآمدي، عبد الواحد، تصنيف غرر الحكم: ص٤٦٦، ح١٠٧١٦.

(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٥١، ص٢٤٢.

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. القصص: الآية ٤.

(٥) اُنظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص٨.

إنّ القادة الإلهيّين يتّخذون من هذه القضية ـ بالذات ـ رأس حربة لمقارعة المستكبرين، والسعي إلى إنقاذ الناس من الظلم والحياة المهينة؛ ومن هنا فإنّ رفض الإمام الحسين عليه السلام لقبول حكم يزيد لم يكن غروراً منه عليه السلام، بل لأنّه عليه السلام كان يعدّ مثل هذا الحكم التعسّفي بمنزلة هدم للشريعة المحمّدية، ولا موضع للقهر والذلّ في قاموس الحسين بن علي عليهما السلام، فقد كان هدفه عليه السلام هو تحقيق العدالة، ومكافحة الطغيان.

وممّا نُقل في التاريخ أنّه لمّا نادى الشمر بن ذي الجوشن ـ أحد قادة جيش يزيد ـ العبّاس بن علي بن أبي طالب وإخوته قائلاً: «**يا بني أُختي، لا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد. فقال له العبّاس بن علي: تبّت يداك يا عدو الله، أتأمرنا أن نترك سيّدنا وأخانا وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟!**»[1].

إنّ حضور المحبّين في مسيرة الأربعين يعني الاستماع إلى نداء الإمام الحسين عليه السلام، والتأسّي به في طلب الحرّية، والسعي إلى تحقيق العدالة، ومناهضة الطغيان، والاستجابة لندائه عليه السلام: «**هل من ناصر ينصرني**»؛ لأنّ حركة عاشوراء هي حركة عابرة للزمان والمكان، فهي رسالة إلى الإنسانية في كلّ العصور، ومدرسة عاشوراء هي مدرسة تدعو إلى معرفة الهدف الأساسي للإمام عليه السلام، والتحرّك في طريقه، وهو طلب تحقيق العدالة، ومناهضة الاستبداد، دون طمع في سلطان، أو التماس لشيء من حطام الدنيا، وهذا هو نفس الهدف الذي تمّت الدعوة إليه في كلام الإمام عليه السلام وأصحابه.

يمثّل الإمام الحسين عليه السلام ـ كجدّه إبراهيم عليه السلام ـ نموذجاً عالمياً، ومثالاً خالداً، وأُسوة حسنة لجميع شعوب العالم، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ...﴾[2]، وتمثّل زيارة الأربعين تجسيداً عملياً للتأسّي بهذا الإمام القائد.

(١) ابن نما الحلّي، محمّد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٤١.
(٢) الممتحنة: الآية ٤.

٦ـ تعظيم الشعائر

وفقاً للنظرة التوحيدية، فإنّ المسلمين يعدّون بعض الأشياء مرغوبة ومستحبّة، وأنّ عليهم الالتزام بها، بينما يعدّون أشياء أُخرى قبيحة مكروهة، وهم يتجنّبونها، ومعيار القبح والجمال، والخير والشرّ، هو الحقّ والباطل، أي: كلّ ما يعدّ حقّاً في مدرسة الإسلام هو محبوب، وكلّ ما يعتبر باطلاً هو مرفوض.

ثمّ إنّ كلمات مثل (الحقّ، الخير، المعروف، الواجبات، الإيمان، العمل الصالح) ونحوها، تُعبّر في الثقافة الإسلامية عن القيم الفكرية والأخلاقية والعملية، وكلمات من قبيل: (الباطل، الشرّ، الكفر، الفساد، الإنكار، الرذائل الأخلاقية، المحرّمات) وما شابه ذلك، تُظهر معاداة لتلك القيم.

إنّ الآيات والروايات الإسلامية الشريفة ـ وهي تبيّن منظومة القيم ومضادّاتها بأساليب مختلفة ـ تدعو مخاطبيها مراراً وتكراراً إلى الالتزام بالقيم قدر استطاعتهم، والاستزادة من الفضائل يوماً بعد يوم، ومحاولة تجنّب القيم المضادّة وتقليصها إلى درجة الصفر في حياتهم الشخصية والاجتماعية.

وعلى هذا الأساس؛ فإنّ التمسّك بالقيم، واحترام كلّ ما يُعدّ خيراً حقّاً من وجهة نظر الإسلام، والالتزام القلبي والعملي به، يُسمّى (تعظيماً للشعائر)، ويعدّ تعظيمها ـ في الرؤية القرآنية ـ من صميم الإيمان، ومن تقوى القلوب[1].

إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو رمز دين الله، ومحيي سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحركته المقدّسة كانت لإحياء دين الله تعالى، وحياته هي حياة الإسلام، وتعاليمه امتداد لمدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ولذلك فإنّ أيّ عمل يُعدّ تكريماً للمدرسة الحسينية ـ مثل زيارة الأربعين ـ يمثّل تعظيماً للشعائر الإلهية، ودليلاً على قوّة الإيمان، والالتزام بالتقوى.

(١) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٧، ص١٣٣. ابن عاشور، محمّد طاهر، تفسير التحرير والتنوير: ج١٧، ص١٨٥.

٧ـ إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وإظهار التشيّع في العالم

بالرجوع إلى الأحاديث الشريفة يتبيّن أنّ من أسباب اكتساب رحمة الله التي ركّز عليها أهل البيت عليهم السلام، هو إحياء أمرهم[١]، أي: إحياء اسمهم، ورفع مكانتهم، ونشر علومهم في المجتمع، ومن قبيل ذلك ـ على سبيل المثال ـ إقامة مجالس العزاء، كما جاء في الروايات[٢]؛ فإنها تمثّل إحياءً لأمر أهل البيت عليهم السلام؛ لأنها تبقي أساءهم حيّةً، وتجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم.

ومن الأُمور التي تحيي ذكر أهل البيت عليهم السلام في العصر الراهن هي زيارة الأربعين؛ فإنّ مسيرة الأربعين ـ بما لها من معطيات عظيمة، وما يترتّب عليها من ثواب أُخروي ـ ترفع اسم الحسين عليه السلام للعالم أجمع؛ فممّا لا شكّ فيه أنّ هذه المسيرة التي يُشارك فيها الملايين من الناس، ستنعكس في وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم، وهذا الانعكاس يثير علامة استفهام في أذهان الناس، مَن هو الحسين؟ وماذا فعل حتى يقوم هذا الجمهور العظيم بإحياء ذكراه، والتضحية بالغالي والنفيس تخليداً له؟ فإنّ رؤية هذه المشاهد في وسائل الإعلام العالمية تثير مثل هذا التساؤل في نفوس أهل الحقّ، وتقودهم إلى معرفة هذه المدرسة الإلهية.

ومن ناحية أُخرى؛ نجد أنّ الأعداء في العصر الحالي ـ وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران تحديداً ـ قد بذلوا قصارى جهدهم لتشويه صورة الشيعة أمام أنظار العالم، وإظهارهم كمدرسة متحجّرة بعيدة عن المنطق والعقل السليم، وفي مثل هذه الأجواء يمكن زيارة الأربعين أن تقود الناس إلى التفكير في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، ونهضته المباركة، والتعرّف إلى الوجه الحقيقي للمذهب الشيعي، والكشف عن قيمه التي تدعو إلى الحرّية، والتضحية، والكرامة، والكمال الإنساني.

---

(١) أُنظر: الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص٣٢.

(٢) أُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٢.

ولا يُستبعد أن يكون إحياء الأمر الحسيني في العالم كلّه، ومعرفة الناس له، مقدّمة لظهور الحكومة المهدوية؛ لأنّ المشروع المهدوي يبدأ بذكر الحسين عليه السلام، حيث يقول الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «**ألا يا أهل العالم، إنّ جدّي الحسين قتلوه عطشان**»[1]؛ وربّما هذا لأنّ الحسين عليه السلام يومها يكون معروفاً بصفته رمزاً للكمال الإنساني في العالم بأسره، وليس إلّا بسبب مسيرة الأربعين التي اتّخذت طابعاً عالمياً في عصرنا الراهن، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[2].

الخاتمة

من خلال ما تقدّم تبيّن لنا أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام لم تقتصر على زمانها، بل هي حركة حيّة سيكون لها معطيات في المجتمع الإنساني إلى يوم القيامة، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[3].

كما ثبت أنّ تركيز أهل البيت عليهم السلام على زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليس فقط بسبب أبعادها الفردية، بل لما تشتمل عليه من جوانب اجتماعية تحظى بأهمّية كبيرة.

إنّ المجتمع الإسلامي ـ خصوصاً مع ما نشاهده من التوسّع الحاصل في مجتمع الأربعين، وصيروته عالمياً ـ لم يقف عند حدود العوائد الروحية والمعنوية لزيارة الأربعين، بل يقوم هذا المجتمع في كلّ عام بتجديد العهد مع إمامه عليه السلام على محاربة الظلم، واحترام الحرّيات، والمحافظة على الكرامة الإنسانية.

بالإضافة إلى ذلك؛ فإنّ زيارة الأربعين تمثّل في هذا العصر ـ الذي يحاول فيه أعداء الإسلام خلق الخلافات بين المسلمين بوسائل مختلفة، وبخاصّة الدول الشيعية ـ حلقة وصل تربط بين جميع المسلمين، ومائدة مليئة بالبركات يجتمع حولها كافّة أحرار العالم.

---

(١) الحائري اليزدي، علي، إلزام الناصب: ج٢، ص٢٣٣.

(٢) المعارج: الآيتان ٦ـ٧.

(٣) إبراهيم: الآية ٢٤.

إنّ مشروعية زيارة الأربعين ترجع إلى الكتاب والسنّة؛ من هنا فإنّ كلّ الثمرات والبركات الاجتماعية ـ التي هي موضوع بحثنا ـ تُعدّ من الأُمور التي أكّدها الكتاب والسنّة، وممّا له أهمّية خاصّة في تعاليم الإسلام، كتعظيم الشعائر، وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، والتبرّي من أعداء الله، وغير ذلك.

وخلاصة القول: إنّ زيارة الأربعين ـ وفقاً لهذه المضامين ـ تمثّل حركة نحو إحياء الإسلام، فهي تجسّد نفس الهدف الذي انطلقت من أجله حركة الإمام الحسين عليه السلام في نهضة الطفّ الخالدة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، الناشر: مرتضى، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣هـ.

٢ . الإفصاح في فقه اللغة، حسين موسى، الناشر: الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.

٣ . إلزام الناصب، علي الحائري اليزدي، الناشر: الأعلمي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٤ . بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٥ . البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، دار النشر: بعثة، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٧٤هـ.ش.

٦ . تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، الناشر: جماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٣هـ.ش.

٧ . تصنيف غرر الحكم، عبد الواحد الآمدي، الناشر: دفتر تبليغات إسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٦٦هـ. ش.

٨ . تفسير التحرير والتنوير، محمّد طاهر بن عاشور، دار النشر: التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ.
٩ . تفسير نور الثّقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي، الناشر: إسماعيليّان، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.
١٠ . تفصيل وسائل الشيعة، محمّد بن حسن الحرّ العاملي، الناشر: آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
١١ . الخصال، محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، الناشر: جماعة المدرّسين، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٦٢هـ ش.
١٢ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، الناشر: جهان، طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٧٨هـ.ش.
١٣ . قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، الناشر: آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.
١٤ . الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
١٥ . كامل الزيارات، جعفر بن محمّد ابن قولويه القمّي، الناشر: دار المرتضوية، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٣٥٦هـ.ش.
١٦ . مثير الأحزان، جعفر بن محمّد بن نما الحلّي، الناشر: مدرسة الإمام الهادي، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
١٧ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، الناشر: ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٧٢هـ.ش.
١٨ . مجموعه آثار، مرتضى مطهّري، الناشر: صدرا، طهران، الطبعة الثامنة، ١٣٨٤هـ.ش.
١٩ . المزار الكبير، محمّد بن جعفر بن المشهدي، الناشر: جماعة المدرّسين، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

٢٠ . المزار، محمّد بن محمّد بن النعمان الشيخ المفيد، الناشر: المجمع العالمي للشيخ المفيد، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.

٢١ . مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين النوري، الناشر: آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ.

٢٢ . المصباح المنير، أحمد بن محمّد الفيّومي، الناشر: دار الهجرة، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٣ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، الناشر: دار الفكر، قم، ١٣٩٩هـ.

٢٤ . مَن لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، الناشر: جماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٢٥ . المنجد في اللغة، لويس معلوف، دار النشر: إسماعيليّان، قم، الطبعة الثالثة، ١٣٦٥هـ.ش.

٢٦ . الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي، دار النشر: الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

٢٧ . نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، الشريف الرضي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٢٨ . الوافي، محسن الفيض الكاشاني، الناشر: مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، إصفهان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٦هـ.

٢٩ . الوهابية بين المباني الفكرية والنتائج العملية، جعفر السبحاني، الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ.

٣٠ . الوهابية في الميزان، جعفر السبحاني، الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨٥هـ.ش.

زيارة الأربعين في بُعدها الفقهي

الشيخ رضا عندليبي

مدير قسم الفقه والحقوق في مركز أبحاث الحجّ والزيارة

أُستاذ في الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة/ إيران

ترجمة: د. الشيخ ميثم الربيعي

مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية/ العراق

The Ziyara of Arbaeen in its Jurisprudential Dimension

Shaykh Redha Andalibi

Director of the Jurisprudence and

Law Department at the Hajj and Ziyara Research Center

Leturer at the Islamic Seminary – Holy Qom, Iran

Translation: Dr. Shaykh Maytham al-Rubayie

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized

Specialized Studies on the Uprising

of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq

ملخّص البحث

لا شكّ في ثبوت الاستحباب المؤكّد لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّ هذا الاستحباب يحتاج إلى بحث فقهي دقيق بالنسبة لزيارة الأربعين بشكل خاصّ، فعلى الرغم من تسليط الضوء على هذه الزيارة في مقالات وكتب عديدة، وتناولها بالدراسة من أبعاد مختلفة تاريخياً وسياسياً واجتماعياً و... فإنّ هذه الزيارة قلّما خضعت للدراسة من منظار فقهي؛ لذا ستتناول هذه المقالة ثلاثة مواضيع ترتبط بهذا المجال، وهي: حكم أصل زيارة الأربعين، حكم المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حكم المشي في زيارة الأربعين بشكل خاصّ.

وبعد دراسة مختلف الأدلّة ـ خصوصاً الروايات سنداً ودلالةً ـ تطرّقنا إلى دراسة استحباب زيارة الأربعين بوجه خاصّ، وإثبات أفضلية الزيارة مشياً على الزيارة ركوباً، وقد عمدنا في نهاية البحث إلى إثبات رجحان المشي في زيارة الأربعين بواسطة الحكم الثانوي على فرض عدم تمامية الأدلّة في الموضعين المتقدّمين، وذلك من باب تعظيم الشعائر، أو إغاضة الأعداء، أو لكونها تمثّل مصداقاً لإقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، أو تبليغ الإسلام المحمّدي الأصيل.

الكلمات المفتاحية: المشي، الزيارة، زيارة الأربعين، الإمام الحسين عليه السلام، الحكم الفقهي.

Abstract

There is no doubt that the confirmed recommendation of visiting Imam al-Husayn (PBUH) is well established. However, this recommendation – especially concerning the Ziyara (visitation) of Arbaeen – needs precise jurisprudential research. Even though the Ziyara of Arbaeen has been highlighted in many articles and books and different dimensions historically, politically, socially, etc., it has rarely been studied from a jurisprudential perspective. Therefore, this article will address three topics:

1. The ruling on the Ziyara of Arbaeen itself.
2. The ruling on walking at the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH).
3. The ruling on walking at the Ziyara of Arbaeen specifically.

After studying various proofs – especially the narrations on the level of their chain of transmission and their meaning – we address the study of the recommendation of the Ziyara of Arbaeen in particular and prove that the Ziyara on foot is better than the one by riding. At the end of the research, we aim to demonstrate the preference for walking at the Ziyara of Arbaeen through a secondary ruling, assuming that the evidence in the two previous topics is inconclusive. The preference is based on the fact that the Ziyara of Arbaeen, exemplifies honoring rituals, angering enemies, mourning over Imam al-Husayn (PBUH), and conveying the pure and authentic Muhammadan Islam.

Keywords: walking, Ziyara, Ziyara of Arbaeen, Imam al-Husayn (PBUH), jurisprudential law.

المقدّمة

لا شكّ في أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من المستحبّات المؤكّدة، ويُعدّ رجحانها وفضلها وتأكيد استحبابها من ضروريّات المذهب[1]، بل يمكن الذهاب إلى وجوبها إجمالاً بناءً على أقوال بعض العلماء[2]، وقد نشأت هذه الرؤية من تأكيد الأئمّة عليهم السلام؛ حيث نقل صاحب (الوسائل) رحمه الله روايات مختلفة في أبواب من كتابه، كما في (باب وجوب زيارة الحسين والأئمّة عليهم السلام على شيعتهم كفاية)[3]، و(باب تأكّد استحباب زيارة الحسين بن علي عليه السلام ووجوبها كفاية)[4]، و(باب كراهة ترك زيارة الحسين عليه السلام)[5]، وفي أبواب أُخرى[6]، ومضمون هذه الروايات كالآتي:

ـ إنّ زيارة الحسين عليه السلام فريضة على كلّ مؤمن[7].

ـ إنّ زيارة الحسين عليه السلام واجبة على الرجال والنساء[8]، وإنّه مَن ترك زيارته عليه السلام فقد ترك حقّ الله وحقّ رسوله صلى الله عليه وآله[9].

---

(١) أُنظر: الجواهري، محمّد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ج ٢٠، ص٩٦.

(٢) أُنظر: البحراني، يوسف بن أحمد، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: ج١٧، ص٤٣٤. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١٠.

(٣) أُنظر: الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٤٣ـ٤٤٥.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٠٩، وص ٤٢٨.

(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص ٤٢٨، وص٤٣٥.

(٦) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٠٨، وص٥٠٠.

(٧) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٤٤.

(٨) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٣٧.

(٩) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٢٨، وص٤٣٣.

ـ إنّ تارك زيارته عليه السلام عاقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله[1]، ويُعَدّ ذلك علامة على نقص دينه وإيمانه[2].

ـ على الأغنياء أن يزوروا الحسين عليه السلام في كلّ عام مرّتين، وعلى الفقراء مرّة واحدة في كلّ عام[3].

ـ إذا مرّت سنة ولم يذهب الشخص لزيارته عليه السلام، تنقص من عمره سنة[4].

ـ زيارة الحسين عليه السلام تطيل في العمر[5].

ـ أيّام زيارته عليه السلام لا تُحتسب من عمر الزائر[6].

ـ زيارته عليه السلام تذهب الغمّ[7]، وتحطّ من الذنوب.

ـ لكلّ خطوة يخطوها زائره عليه السلام حجّة مقبولة[8].

ـ لكلّ زائر ثواب ألف حجّة[9]، وثواب عتق ألف رقبة، وثواب مَن جهّز ألف فرس في سبيل الله[10].

ـ يُعطى الزائر بكلّ درهم ينفقه في زيارته عشرة آلاف درهم[11].

ـ مَن زاره عارفاً بحقّه يُغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر[12].

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٢٩.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٣٠ـ٤٣١.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٣٧.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٣٠.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٤١٣.
(٦) أُنظر: المصدر السابق: ص٤١٤.
(٧) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨١.
(٨) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٤٦.
(٩) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٤٥.
(١٠) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٥٥.
(١١) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٨١.
(١٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤١١.

ـ زائره عليه السلام كزائر الله في عرشه[1].

ـ أربعة آلاف ملك يكرمون زائر الحسين عليه السلام، ويشهدون جنازته، ويستغفرون له إلى يوم القيامة[2].

وبعد إعمال الدقّة في سند الروايات ودلالتها، مع ملاحظة إعراض المشهور عن القول بالوجوب، ينبغي لنا أن نحمل هذه الروايات على أحد الوجوه الثلاثة التالية:

الاستحباب المؤكّد؛ فبما أنّه قد شاع استعمال ألفاظ الوجوب في موارد الاستحباب المؤكّد[3]، يمكن أن تُحمل هذه الروايات على الاستحباب المؤكّد.

حرمة ترك الزيارة على مَن تركها استخفافاً بها؛ وذلك للروايات الكثيرة التي أكّدت زيارة الحسين عليه السلام، والتي دلّت على أنّ ترك زيارته يستوجب العذاب، فالمُستظهر منها هو حرمة ترك الزيارة، إلّا أنّ هذه الحرمة تحمل على مَن تركها استخفافاً، وذلك من المسلّمات.

وجوب الزيارة كفاية؛ إذ المقصود من الروايات التي تضمّنت شبهة وجوب الزيارة، وحرمة تركها، هو ترك الزيارة من قبل جميع الشيعة، وإخلاء مرقده عليه السلام من الزوّار؛ والشاهد على هذا المدّعى هو عنوان الباب الذي وضعه صاحب الوسائل (باب وجوب زيارة الحسين والأئمّة عليهم السلام على شيعتهم كفاية)، وفتوى بعض الفقهاء[4] بحرمة إخلاء بيت الله والحرم النبوي، ممّا يستلزم إضعاف أحد المستحبّات المؤكّدة، وهذا الحكم يجري في مرقد الإمام الحسين عليه السلام أيضاً.

---

(١) أُنظر: المصدر السابق.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٠٩ـ٤١٠.

(٣) أُنظر: ابن إدريس الحلّي، محمّد، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: ج١، ص٦٤٧.

(٤) أُنظر: الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام: ج٢، ص٣٧٤. المحقّق الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد في شرح القواعد: ج٣، ص٢٧٣.

فزيارة الإمام الحسين عليه السلام في أيّام خاصّة من السنة ـ على أيّ حال ـ لها فضل وثواب أكثر، والهدف من هذه المقالة هو دراسة الموضوع التالي: هل تُعدّ أيّام أربعينية سيّد الشهداء عليه السلام من تلك الأيّام المخصوصة، أو لا؟

في أيّام زيارة الأربعين يقصد شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبّوهم مدينة كربلاء من مختلف المدن مشياً على الأقدام، ولا سيّما النجف؛ إحياءً لهذه الذكرى، ويمكننا أن نسلّط الضوء ـ في هذه الحركة العظيمة، ذات الآثار الكثيرة، والبركات المعنوية التي لا تُعدّ ـ على أبعاد مختلفة، اجتماعية، وسياسية، وتاريخية، وما إلى ذلك، ففي هذا التجمّع والمهرجان العظيم تبرز صور لا يمكن مشاهدتُها في أيّ مكان آخر.

فيما يرتبط بإحياء يوم أربعين الإمام الحسين عليه السلام وتعظيمه، يقول قائد الثورة الإسلامية: «**إنّ قوّة الجذب الحسيني التي بدأت في يوم الأربعين هي التي نهضت بجابر بن عبد الله من المدينة، وجاءت به إلى كربلاء، وهي ذات الجاذبية التي ما زالت اليوم ـ وعلى مرّ القرون ـ في قلبي وقلبك**»[1]؛ من هنا يحظى البحث الفقهي في هذه المسألة بأهمّية بالغة.

إنّ لهذا الحدث المليوني العظيم والمتفرّد ـ الذي عُدّ مؤخّراً أكبر تجمّع بشري في التاريخ ـ جذوراً تطرّق إلى أبعادها التاريخية الكتّاب والباحثون في كتب ومقالات مختلفة[2]، خصوصاً فيما يرتبط بالاختلاف التاريخي بين العلماء بشأن الأحداث التي وقعت في الأربعين الأُولى بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام عام (٦١) للهجرة.

وفيما يخصّ المنشأ التاريخي لزيارة الأربعين، يعتقد مشهور العلماء[3] أنّ منشأها

(١) خطاب السيّد القائد (آية الله السيد الخامنائي دام ظله): ٢٠٠٦/٣/٢١.

(٢) أُنظر: إصفهاني، أبا ذر نصر، مجموعة مقالات الأربعين: مقالة: كتاب شناسي أربعين (ببليوغرافيا الأربعين).

(٣) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٢، ص٧٨٧. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٩٦.

هو رجوع أسرى الشام إلى كربلاء، ودفن الرؤوس المقدّسة، وإلحاقها بأبدان الشهداء المطهّرة، وزيارة جابر بن عبد الله الأنصاري وعطية العوفي في الأربعين الأُولى. وفي قبال هذا الرأي هناك عدّة من المتأخّرين قد شكّكوا في بعض هذه الموارد[1]، وقد أجاب بعض المعاصرين عن الإشكالات التي طُرحت[2].

وبعيداً عن البحث التاريخي، وإثبات الرأي الأصحّ، نتوخّى في هذا المقال دراسة مراسم زيارة الأربعين فقهياً؛ وعليه ينبغي في المبحث الأوّل أن نتناول الحكم المرتبط بأصل زيارة الأربعين من الناحية الفقهية، ودراسة جميع الأدلّة التي يمكن من خلالها إثباتُ أفضلية التعظيم لمراسم زيارة الأربعين ورجحانها، ثمّ نتناول في المبحث الثاني حكم المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام من وجهة نظر الآيات والروايات، ثمّ ندرس في المبحث الثالث ـ أخيراً ـ حكم المشي في زيارة الأربعين.

المبحث الأوّل: حكم أصل زيارة الأربعين

قبل أن نذكر الأدلّة الخاصّة بزيارة الأربعين من الضروري التذكير بمسألة، وهي أنّ رجحان أصل زيارة الإمام الحسين عليه السلام واستحبابها المؤكّد ـ كما ذكرنا في المقدّمة ـ هو من الأُمور المسلّم بها، فلا شكّ في رجحان هذه الزيارة بصفتها أحد مصاديق هذا الحكم العامّ، إلّا أنّ غايتنا هي إثبات الرجحان الخاصّ بيوم الأربعين؛ ولذلك سنقوم بدراسة الأدلّة الخاصّة الواردة في استحباب زيارة الأربعين:

---

(١) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال: ج٣، ص١٠٠. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٣٤ـ٣٣٦. النوري، حسين، لؤلؤ ومرجان در آداب أهل منبر (اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر): ص٢٣٢ـ٢٤٣. القمّي، الشيخ عبّاس، منتهى الآمال: ص١٠١٣ـ ١٠١٥. آيتي، إبراهيم، بررسي تاريخ عاشورا (دراسة تاريخ عاشوراء): ص ١٣٩ـ١٤١. مطهّرى، مرتضى، مجموعه آثار (مجموعة الآثار): ج١٧، ص٥٨٦.

(٢) أُنظر: القاضي الطباطبائي، محمّد علي، دراسة في الأربعين الأُولى لسيّد الشهداء عليه السلام. جعفريّان، رسول، الأربعين.

الأوّل: السيرة

يمكن الاستدلال بالسيرة، وذلك بوجهين:

١ـ سيرة المعصومين عليهم السلام

على فرض صحّة وقوع زيارة الأربعين من قبل سبايا كربلاء ـ سواء كان ذلك في السنة الأُولى، أو في السنة التي تلتها كما يرى البعض ـ ونظراً لوجود الإمام زين العابدين عليه السلام مع الأسرى، يمكننا أن نستفيد من فعله رجحان زيارة الأربعين.

ربّما يشكّك شخص ما في أصل دخول الأسرى في كربلاء يوم الأربعين، أو يرى أنّ القيام بالفعل مرّة واحدة إنّما يدلّ على الجواز، وليس على الاستحباب والرجحان. ثمّ إنّ أُسر الشهداء كانت متضرّرة جدّاً، فلربّما كانوا يرون أنّ فرصة الزيارة لن تتاح لهم مستقبلاً فيما إذا فرغوا من هذا السفر، فمن المحتمل إذاً أن تكون الواقعة شخصية.

٢ـ سيرة المتشرّعة

دأب شيعة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومحبّوه ـ ومن بينهم الفقهاء ـ على زيارة الأربعين، وتُعدّ زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري في نفس السنة ـ أو في السنة التي تلتها ـ أوّل نموذج من هذه السيرة، ولا شكّ أنّها صادرة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وقد التزم الشيعة جيلاً بعد جيل بهذه السيرة المتّصلة بزمن المعصومين عليهم السلام حتّى يومنا هذا، على الرغم من تقلّبات التاريخ، وكلّ صور القمع التي مارسها الظالمون.

الدليل الآخر: الروايات

في هذا المجال أفرد صاحب (الوسائل) باباً تحت عنوان (باب تأكّد استحباب

زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين من مقتله، وهو يوم العشرين من صفر)[1]، وقد ذكر فيه ثلاث روايات، وفيما يلي سنقوم بدراسة هذه الروايات سنداً ودلالةً.

الرواية الأُولى: مرسلة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

روي عن أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنّه قال: «**علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**»[2].

مناقشة سند الرواية

على الرغم من أنّ هذه الرواية مرسلة، قد صُحّح سندها بعدّة طرق:

الطريق الأوّل: شهرة الرواية[3]

إنّ شهرة الرواية جابرة لضعف السند، كما أنّ إعراض المشهور عن رواية يوجب ضعفها، وإن خدش بعض في كبرى الاستدلال؛ معتقداً بأنّ الشهرة لا تجبر ضعف السند والدلالة، كما أنّ إعراض المشهور عن رواية لا يخدش في دلالتها أو صحّة سندها[4].

لكن من الواضح أنّ هذا البحث هو بحث أُصولي، وقد ثبت في محلّه أنّ عمل المشهور برواية يجبر ضعف سندها، وكذلك إعراض المشهور عن رواية ـ بمختلف مبانيهم ـ يوجب ضعف تلك الرواية[5].

---

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٧٨، الباب ٥٧ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٢) الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد، كتاب المزار: ص٥٢. الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص٥٢، الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٨. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٧٨، ح١.

(٣) أُنظر: المقدّس الأردبيلي، أحمد بن محمّد، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: ج٢، ص٥.

(٤) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، موسوعة الإمام الخوئي: ج٣١، ص٩٥.

(٥) أُنظر: النائيني، محمّد حسين، فوائد الأُصول: ج٣، ص ١٥٤.

إشكال

الشهرة على ثلاثة أقسام:

الشهرة الفتوائية: وهي الشهرة التي لا ترتبط بالرواية، وإنّما تُطلق هذه الشهرة فيما إذا أفتى عدد كبير من الفقهاء في مسألة فقهية معيّنة دون أن تكون هناك رواية. ويعتقد بعض أنّ فتوى المشهور حجّة كالإجماع.

الشهرة الروائية: إذا وردت رواية في كتب متعدّدة، ونقلها المشهور من الرواة في كتبهم الحديثية، فإنّ هذه الشهرة تُذكر عند التعارض بصفتها أحد المرجّحات، ويُعبّر عنها بالشهرة الروائية.

الشهرة العملية: عندما يعمل المشهور طبقاً لرواية واحدة، يُطلق على ذلك الشهرة العملية، وهي جابرة لضعف سند الرواية.

وعلى الرغم من أنّ بعض الفقهاء قد استندوا فيما يرتبط بفتوى استحباب زيارة الأربعين والمضامين الأُخرى إلى الرواية المتقدّمة، فقد أُشكل بأنّ هناك روايات مستفيضة ترتبط بالمضامين الأُخرى، وشرطُ جبران ضعف السند هو إثبات الاستناد إلى مجرّد الرواية المتّصفة بضعف السند، ولعلّ الفقهاء مالوا إلى استحباب زيارة الأربعين نظراً إلى وجود الأدلّة الأُخرى، كالتسامح في أدلّة السنن. يُضاف إلى ذلك أنّ الشهرة المدّعاة إنّما هي بين المتأخّرين فقط، والمفيدُ هو إثبات الشهرة بين القدماء؛ وعليه لا يمكن الشهرة المدّعاة أن تجبر ضعف سند الرواية.

الطريق الثاني: التمسّك بقاعدة التسامح في أدلّة السنن

نظراً لاستفاضة روايات (مَن بلغ)[1]؛ فإنّ ضعف السند لا يمنع من إثبات الاستحباب في الأعمال العبادية المستحبّة؛ إذ يجري التمسّك بالتسامح في أدلّة السنن والمستحبّات طبقاً لرأي المشهور[2].

(١) أُنظر: الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١، ص ٨٠ ـ ٨٢.

(٢) أُنظر: الأنصاري، مرتضى، رسائل فقهية: ص ١٣٧.

إشكال

للفقهاء قراءتان مختلفتان لهذه الروايات، فإنّ بعض الفقهاء[1] يرى أنّ استحباب الأعمال يثبت بواسطة الروايات الضعيفة أيضاً؛ نظراً إلى روايات (مَن بلغ)؛ لأنّ الاستحباب لا يعني سوى استحقاق الثواب، وهذا الاستحقاق يثبت بواسطة هذه الروايات.

وفي قبال هذا الرأي هناك عدّة من الفقهاء[2] يرى أنّ هذه الروايات لا تُثبت استحباب العمل واستحقاق فاعله للثواب، وإنّما يستحقّ الشخص الثواب بواسطة الحسن الفاعلي، وامتثاله لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ومن باب التفضّل الإلهي.

وفي هذا الباب بعض العبارات التي يمكن أن تكون مؤيّداً للرأي الثاني، من قبيل عبارة الإمام الصادق عليه السلام: «**طلب قول النبي**» التي تكشف عن دافع المكلّف للإتيان بالعمل، وعلى هذا فالشخص الذي يأتي بالعمل طبقاً لرواية ضعيفة يستحقّ الثواب، ويُعبّر عن ذلك اصطلاحاً بالحسن الفاعلي، ولا يعني ذلك أنّ الفعل يكتسب صفة الاستحباب والرجحان والحسن الفعلي[3].

---

(١) أُنظر: الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج٣، ص٢٦٨. النراقي، محمّد مهدي، مستند الشيعة: ج٩، ص٢٢. الجواهري، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج١، ص٢٦. الطباطبائي، علي، مفاتيح الأُصول: ص٣٤٦. الأنصاري، مرتضى، رسائل فقهية: ص١٣٧. البجنوردي، محمّد حسن، القواعد الفقهية: ج٣، ص٣٣٤.

(٢) أُنظر: العاملي، محمّد، مدارك الأحكام: ج١، ص ٨. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج٤، ص١٩٧. الخوانساري، أحمد، جامع المدارك: ج٢، ص٢٢٨. الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج٧، ص١٧١. الجنّاتي الشاهرودي، محمّد إبراهيم، كتاب الحجّ: ج٢، ص٣٢٧. مكارم الشيرازي، ناصر، العروة الوثقى مع التعليقات: ج١، ص٢٨٩ـ٣١٣.

(٣) أُنظر: الأنصاري، مرتضى، فرائد الأُصول: ج٢، ص١٥٥.

الطريق الثالث: ذكر ابن المشهدي في مزاره لهذه الرواية مع سندها

جاء في (المزار الكبير): «**وبالإسناد عن أبي هاشم الجعفري، عن أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنّه قال: علامات المؤمن خمس...**»[1].

ويمكننا أن نصحّح السند في هذا الطريق؛ وذلك بما يلي:

أوّلاً: نقل ابن المشهدي رحمه الله في بداية الكتاب السند بهذا النحو: «**أخبرني الشيخان الجليلان العالمان أبو محمّد عبد الله بن جعفر الدوريستي، وأبو الفضل شاذان بن جبرئيل (رضي الله عنهما)، قالا: حدّثنا الشيخ الصدوق، عن جدّه، عن أبيه، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه رضي الله عنه، قال: أخبرني أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله...**»[2].

بناءً على هذا يبدو أنّه ينبغي أن يوضع السند الأوّل في بداية سند الرواية التي هي محلّ بحثنا، والتي جاء فيها: «**وبالإسناد عن أبي هاشم الجعفري**»، وهكذا تُحلّ المشكلة، وتُعدّ الرواية معتبرةً من حيث السند؛ لأنّ السند الأوّل من الكتاب صحيح. وأبو هاشم الجعفري هو داود بن قاسم الجعفري، وهو ثقة، وقد عاش في عهد الإمام الرضا عليه السلام إلى زمن الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ونقل الحديث عن جميع الأئمّة عليهم السلام في تلك الحقبة[3].

ثانياً: قال في مقدّمة الكتاب: «**أمّا بعد، فإنّي قد جمعت في كتابي هذا من فنون الزيارات للمشاهد المشرّفات، وما ورد في الترغيب في المساجد المباركات والأدعية المختارات، وما يُدعى به عقيب الصلوات، وما يُناجى به القديم تعالى من لذيذ الدعوات في الخلوات، وما يُلجأ إليه من الأدعية عند المهمّات، ممّا اتّصلت به من ثقات الرواة إلى السادات**»[4].

والذي يتبيّن من هذه المقدّمة أنّ جميع أساتذته من الثقات، (أو أساتذته بلا واسطة فقط، أو جميع أساتذته إلى الإمام المعصوم عليه السلام).

(١) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٣٥٢.
(٢) المصدر السابق: ص٣١.
(٣) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ح٧، ص١١٨.
(٤) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٢٧.

مناقشة دلالة الرواية

على فرض ثبوت سند الرواية لا يبقى حينها شكّ أو ترديد في دلالة الرواية على الاستحباب، وفضل زيارة الأربعين؛ فقد اعتبرتها الرواية من علامات المؤمن، كسائر خصائصه الأُخرى، والمقصود بالمؤمن هنا هو الشيعي، وعلى هذا يثبت استحبابها وفضيلتها الخاصّة.

الرواية الثانية: رواية صفوان

«أخبرنا جماعة من أصحابنا، عن أبي محمّد هارون بن موسى بن أحمد التلعكبري، قال: حدّثنا محمّد بن علي بن مَعْمَر، قال: حدّثني أبو الحسن عليّ بن محمّد بن مَسْعَدَة والحسن بن علي بن فضّال، عن سعدان بن مسلم، عن صفوان بن مهران الجمّال، قال: قال لي مولاي الصادق (صلوات الله عليه): في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار، وتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه...»[1].

مناقشة الرواية سنداً

الرواية ضعيفة السند؛ لوجود بعض الأشخاص ممّن لم يرد فيهم توثيق خاصّ، أمثال محمّد بن علي بن معمر، وعلي بن محمّد بن مسعدة.

مناقشة دلالة الرواية

تتحلّى هذه الرواية أيضاً ـ على فرض ثبوت سندها ـ بدلالة قوية على استحباب زيارة الأربعين؛ لأنّ الإمام الصادق عليه السلام قد علّم الراوي زيارة خاصّة بيوم الأربعين.

الرواية الثالثة

«... وفي اليوم العشرين منه [أي: من صفر] كان رجوع حرم سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهو اليوم الذي ورد

(١) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٣. الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٨. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص ٤٧٨.

فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام، فكان أوّل مَن زاره من الناس»[1].

مناقشة دلالة الرواية

تمثّل هذه الرواية ـ في الواقع ـ نقلاً لحدث تاريخي من قبل الشيخ الطوسي، وقد أشرنا في المقدّمة إلى أنّ هذا المطلب محلّ خلاف بين المؤرّخين، وهو خارج عن دائرة بحثنا؛ لذا لا تمثّل هذه الرواية ـ في الحقيقة ـ رواية كما يصطلح عليه لتُثبِت ادّعاءنا.

والنتيجة: هي ثبوت فضل زيارة الأربعين واستحبابها بنحو خاصّ؛ وذلك لتمامية بعض الأدلّة.

المبحث الثاني: حكم المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

سنتناول بالدراسة هنا حكم المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فهل يُعدّ ثواب الزيارة مشياً أكثر من الزيارة ركوباً مع وجود وسائط النقل المتطوّرة؟ للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن ندرس جميع الأدلّة التي يمكن إقامتها لإثبات هذه الأفضلية.

الدليل الأوّل: الآية القرآنية

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

تقريب الاستدلال

لا شكّ أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً يلازمها التعب والعطش والجوع، فلها

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٧. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٧٨.

(٢) التوبة: الآية ١٢٠.

ـ بناء على هذه الآية ـ مزيد من الأفضلية، يضاف إلى هذا أنّ عبارة ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ ظاهرة في المشي على الأقدام.

الدليل الثاني: الروايات الخاصّة

في (كامل الزيارات) ـ وهو أوثق كتاب روائي ـ خصّص ابن قولويه باباً تحت عنوان: (ثواب مَن زار الحسين عليه السلام راكباً أو ماشياً، ومناجاة الله لزائره)[1]، وقد أورد فيه عشر روايات، ولكثرة تناقل مضمون هذه الروايات واستفاضتها سنعرض عن ذكر سندها، ونكتفي بنقل الروايات التي تذكر ثواب الزيارة مشياً.

«... عن الحسين بن ثُوَيْر بن أبي فاخِتة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين، مَن خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام، إن كان ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحا عنه سيّئة»[2].

«... عن بشير الدهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوة مغفرة ذنوبه، ثمّ لم يزل يقدّس بكلّ خطوة حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله تعالى، فقال: عبدي سَلْني أعطِك، أُدعني أجِبْك، أُطلب منّي أعطِك، سَلْني حاجةً أقضِها لك»[3].

«... عن عبد الله الأصمّ، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن زار الحسين عليه السلام من شيعتنا، لم يرجِع حتّى يُغفر له كلُّ ذنب، ويُكتب له بكلّ خطوة خطاها وكلّ يد رفعتها دابّته ألف حسنة، ومُحِيَ عنه ألف سيّئة، وتُرفع له ألف درجة»[4].

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٣٢ـ١٣٥، باب ٤٩.
(٢) المصدر السابق: ص٢٥٣.
(٣) المصدر السابق: ص٢٥٤.
(٤) المصدر السابق: ص٢٥٧.

مناقشة دلالة الروايات

أشـارت هذه الروايات بتعابير مختلفة إلى الثواب العظيم المترتّب على كلّ خطوة يخطوها زائر الإمام الحسـين عليه السلام، ومن الواضح أنّها تُثبت استحباب المشي في الزيارة، وفضله على الركوب.

الدليل الثالث: الاستدلال بأفضلية المشي في زيارة سائر الأئمّة عليهم السلام

عُدّ الاحتفاء من آداب زيارة بعض المعصومين عليهم السلام[1]، والاحتفاء يلازم الذهاب مشياً، وبناءً على هذا تثبت بالملازمة أفضلية المشي أيضاً، فقد حدّدت بعض الروايات ثواباً معيّناً لمَن يزور بعض الأئمّة عليهم السلام ماشياً، وفيما يلي عرض لبعض الروايات:

الرواية الأُولى

نقل الحسين بن إسماعيل الصيمري عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**مَن زار أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً، كتب الله له بكلّ خطوة حجّة وعمرة، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حجّتين وعمرتين**»[2].

الرواية الثانية

ذكر ابن مارد عند جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «**ما لمَن زار جدّك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: يابن مارد، مَن زار جدّي عارفاً بحقّه كتب الله له بكلّ خطوة حجّة مقبولة، وعمرة مبرورة. والله يابن مارد، ما يُطْعِم الله النارَ قدماً اغبرّت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، ماشياً كان أو راكباً. يابن مارد، اُكتب هذا الحديث بماء الذهب**»[3].

---

(١) اُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٥٥، وص٣٦٣، وص٣٩٢. الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٤، وص٨٦.

(٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٣٨٠.

(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٢١.

الرواية الثالثة

«...عن صفوان الجمّال، قال: لمّا وافيت مع جعفر الصادق عليه السلام الكوفة يريد أبا جعفر المنصور، قال لي: يا صفوان، أنخ الراحلة، فهذا قبر جدّي أمير المؤمنين. فأنختها، ثمّ نزل فاغتسل، وغيّر ثوبه، وتحفّى، وقال لي: افعل مثل ما أفعله، ثمّ أخذ نحو الذُّكْوَة، وقال لي: قصّر خطاك، وألق ذقنك الأرض؛ فإنّه يُكتب لك بكلّ خطوة مئة ألف حسنة، ويُمحى عنك مئة ألف سيّئة، وتُرفع لك مئة ألف درجة، وتُقضى لك مئة ألف حاجة، ويُكتب لك ثواب كلّ صدّيق وشهيد مات أو قُتِل. ثمّ مشى ومشيت معه، وعلينا السكينة والوقار...»[1].

إشكال على جميع الروايات

يرد على هذه الروايات أنّها بصدد بيان أصل ثواب الزيارة، ولا يُقصد بها بيان أفضلية المشي على الركوب.

الجواب

إن كان هذا الإشكال يرد على الرواية الثانية، فإنّه لا يرد على الرواية الأُولى والأخيرة؛ لأنّ الإمام عليه السلام قال في الرواية الأُولى: «**فإن رجع ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حجّتين وعمرتين**»، فمن الواضح إذاً أنّ الزيارة مشياً أكثر ثواباً من الزيارة ركوباً. ولمّا كان الكلام في الرواية الثالثة على تقصير الخطى، فمن الواضح جدّاً أنّ الرواية ناظرة إلى مقدار الخطوات، وهذا يلازم أفضلية المشي.

بناء على ما تقدّم لا يمكن أن يقال: إنّ هذه الروايات بصدد بيان أصل الثواب في الزيارة، فبواسطة هذه الروايات يمكن إثبات أفضلية المشي على الركوب في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، وبالتّبع زيارة سائر الأئمّة عليهم السلام أيضاً؛ إذ لا خصوصية لأمير المؤمنين عليه السلام من هذه الناحية.

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٧، ص٢٨٠.

الدليل الرابع: الاستدلال بأفضلية أداء فريضة الحجّ مشياً

جاء في قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[1] التعبير بـ(رجالاً) عن الحجّ مشياً، وذلك في قبال الحجّ ركوباً ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: الركوب على الجمال المهزولة.

يعتقد بعض المفسّرين أنّ تقدّم المشي على الركوب في هذه الآية دليل على أهمّية الحجّ مشياً، وأفضليّته على الحجّ ركوباً[2]، وقد صرّح في الأحاديث أيضاً بأفضلية الحجّ مشياً[3]؛ حيث عُدّ المشي إلى الكعبة في الروايات من أحبّ العبادات عند الله، وذُكر لذلك ثوابٌ عظيم[4].

وقد تحدّثت النصوص الروائية والتفسيرية عن حجّ آدم عليه السلام ماشياً بشكل مكرّر، وبأعداد مختلفة، منها: (٣٠)، و(٧٠)، و(١٠٠٠)[5]. وتحدّثت كذلك عن حجّ إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ماشيين[6]، ولمّا دخل حواريو عيسى عليه السلام الحرم في حجّهم ـ بناءً على رواية ابن عبّاس ـ ساروا على أقدامهم؛ تعظيماً للحرم[7]، وعلى

---

(١) الحجّ: الآية٢٧.

(٢) أُنظر: الجصّاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن: ج٥، ص٦٥. البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص٢٤٩. المقدّس الأردبيلي، أحمد، زبدة البيان: ص٢٢٤.

(٣) أُنظر: الطوسي، الاستبصار: ج٢، ص١٤١ـ١٤٢. ابن الصبّاغ، الفصول المهمّة: ج٢، ص١٧٥ـ ١٧٦.

(٤) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢١٨. الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ج١، ص٣٥. البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص٧٠.

(٥) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص ٢٢٩. الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٢٠.

(٦) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع: ج٢، ص٤٢٣. السمرقندي، نصر بن محمّد، تفسير السمرقندي (بحر العلوم): ج٢، ص ٤٥٦. الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان: ج ٧، ص ٣٠٩.

(٧) أُنظر: الأزرقي، محمّد بن عبد الله، أخبار مكّة: ج٢، ص١٣٧. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٨، ص٧٠.

بعض الروايات سار النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه مشياً من المدينة إلى مكّة[1].

وتحدّثت المصادر الحديثية لدى الشيعة[2] والسنّة[3] كذلك عن حجّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ماشياً مرّات عديدة، تراوحت بين (٢٠) و(٢٥) مرّةً، وفي بعضها مشى عليه السلام حافي القدمين، وهناك روايات مشابهة بخصوص الإمام الحسين عليه السلام[4]، وفي بعض المصادر التاريخية والحديثية قطع الإمام السجّاد عليه السلام أيضاً المسافة بين المدينة ومكّة ماشياً في عشرين يوماً[5].

وفي رواية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله شبّه فضل المشاة في الحجّ على الركبان بفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم[6]. وروي أنّ الإمام الصادق عليه السلام دعا لقوم من أصحابه ذهبوا إلى مكّة مشاة[7]، واستناداً إلى بعض الروايات يحجّ الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف كلّ عام ماشياً أيضاً[8]، وقد نُقل عن حجّ بعض العلماء مشياً[9].

---

(١) أُنظر: الفاكهي، محمّد بن إسحاق، أخبار مكّة: ج١، ص٣٩٢ـ ٣٩٣.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص٢٤٤. الطوسي، محمّد بن الحسن، الاستبصار: ج ٢، ص١٤١ـ١٤٢.

(٣) الفاكهي، محمّد بن إسحاق، أخبار مكّة: ج١، ص٣٩٤ـ٣٩٧. الحاكم النيسابوري، محمّد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٦٩. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن: ج٤، ص٣٣١.

(٤) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج ١، ص٧٠. الفاكهي، محمّد بن إسحاق، أخبار مكّة: ج١، ص٣٩٧. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١٥.

(٥) المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج٢، ص١٤٤. ابن شهر آشوب المازندراني، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٨٠ـ٢٨١. النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٨، ص٣١.

(٦) أُنظر: الفاكهي، محمّد بن إسحاق، أخبار مكّة: ج١، ص٣٩٨.

(٧) أُنظر: البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج٢، ص٣٥٥، الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١١، ص٤٠٨.

(٨) أُنظر: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٣٢. الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين: ص٤٧٢ـ٤٧٣. النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٨، ص٣٢ـ٣٣.

(٩) أُنظر: ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة: ج ٩، ص٣٢٧. الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة: ج٣، ص٦٨. اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٣، ص٨٤.

وللاحتفاء والمشي على القدمين عند دخول الحرم، وفي أثناء الطواف ـ بناءً على بعض الأحاديث ـ مزيد من الأجر، وهكذا كانت سيرة المعصومين[1]، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ سبعين نبيّاً عندما حجّوا البيت خلعوا نعالهم من ذي طوى إلى مكّة تعظيماً للحرم[2]. وفيما يلي نذكر عدّة روايات في فضل الحجّ مشياً:

الرواية الأُولى

«...عن هشام بن سالم، قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا وعَنْبَسَة بن مصعب وبضعة عشر رجلاً من أصحابنا، فقلنا: جعلنا الله فداك، أيّهما أفضل المشي، أو الركوب؟ فقال: ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من المشي...»[3].

الرواية الثانية

«ما تقرّب عبد إلى الله عزّ وجلّ بشيء أحبّ إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين، وإنّ الحجّة الواحدة تعدل سبعين حجّة، ومَن مشى[4] **عن جمله كتب الله له ثواب ما بين مشيه وركوبه، والحاجّ إذا انقطع شسع نعله كتب الله له ثواب ما بين مشيه حافياً إلى مُتنعِّل»**[5].

الرواية الثالثة

عن الحلبي، قال: **«سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فضل المشي، فقال: الحسن بن علي قاسمَ ربّه ثلاث مرّات حتّى نعلاً ونعلاً، وثوباً وثوباً، ودينار ودينار، وحجّ عشرين حجّة ماشياً على قدميه»**[6].

---

(١) أُنظر: البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص ٦٨. الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص ٣٩٨ ـ ٤١٢.

(٢) أُنظر: ابن حجر، أحمد بن علي، تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير: ج٧، ص٢٧٥.

(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٥، ص١٣.

(٤) الظاهر أنّ الفعل (مشى) ضُمّن معنى (ابتعد)؛ ولذا عُدِّي بـ(عن).

(٥) الكليني، محمّد بن يعقوب، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢١٨.

(٦) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٥، ص١١.

الرواية الرابعة

قال الصادق عليه السلام: «ما عُبدَ الله بشيء مثل الصمت، والمشي إلى بيته»[1].

الرواية الخامسة

قال الصادق عليه السلام: «خرج الحسن بن علي صلى الله عليه وآله إلى مكّة سنةً ماشياً، فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم، فقال: كلا»[2].

الرواية السادسة

«قال ابن عبّاس: ما ندمت على شيء ندمي على أن لم أحُجّ ماشياً؛ لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن حجّ بيت الله ماشياً كتب الله له سبعة آلاف حسنة من حسنات الحرم. قيل: يا رسول الله، وما حسنات الحرم؟ قال: حسنة ألف ألف حسنة. وقال: فضل المشاة في الحجّ كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم. وكان الحسين بن علي صلى الله عليه وآله يمشي إلى الحجّ ودابّته تُقاد وراءه»[3].

تقريب الاستدلال

صرّحت الروايات المذكورة بأنّ فضل الحجّ مشياً وثوابه أكثر بكثير من الحجّ ركوباً، وعندما يختار الأئمّة الأطهار عليهم السلام المشي على الأقدام مع وجود المركب معهم، يمكن أن يُسرّى هذا الحكمُ إلى زيارة الأئمّة عليهم السلام، وبخاصّة زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومن ثمّ إثبات فضل الزيارة مشياً على الركوب.

الدليل الخامس: زيادة التواضع والتذلّل

يُستفاد من بعض الروايات أنّ الحكمة من الاحتفاء في الزيارة هي التواضع

(١) الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ج١، ص٥٣.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤٦٣.

(٣) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ص٧٠.

والخشوع لله[1]، وهذه الحكمة تجري أيضاً في المشي في طريق الزيارة، وكما أنّ الاحتفاء في الحجّ من أبرز علامات الخضوع والتذلّل لله سبحانه[2]، وأنّ الحجّ سيراً على الأقدام مظهر من مظاهر تواضع العبد وانقطاعه عن مظاهر الدنيا[3]، فكذلك الأمر بالنسبة إلى الزيارة مشياً أو احتفاءً، فلا شكّ أنّ التذلّل لله هو من آدابها، وممّا يزيدُ في فضلها، ويتجلّى ذلك عند المشي فيها.

الدليل السادس: سيرة المتشرّعة

لا تتّصف السيرة بالحجّية الشرعية إلّا إذا كانت متّصلة بزمن المعصومين عليهم السلام، وهذا المطلب بحاجة إلى دراسة موسّعة، ولكنّنا سنشير في هذه المقالة إلى السيرة العملية لبعض الفقهاء المعاصرين، فمنذ زمن بعيد دأب العلماء على التوجّه إلى زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام مشياً، وفيما يلي سنذكر بعض النماذج لذلك:

١. يُعدّ الشيخ مرتضى الأنصاري من المحيين لسنّة المشي لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ فقد كان يأتي من النجف إلى كربلاء مشياً.

٢. كان الميرزا حسين النوري ـ صاحب الموسوعة الحديثية (مستدرك الوسائل) ـ يأتي كلّ عام في عيد الأضحى مشياً إلى كربلاء.

٣. كان السيّد مهدي بحر العلوم يشترك في موكب عزاء (طويريج) الذي يتوجّه فيه المعزّون إلى كربلاء مشياً.

٤. التقى الشيخ جعفر كاشف الغطاء في إحدى زياراته مشياً إلى كربلاء إمامَ العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فضمّه إلى صدره قائلاً: أهلاً بمحيي شريعتنا.

(١) أُنظر: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٣٨٩. الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٥، ص٩٧.

(٢) أُنظر: الصافي الكلبايكاني، لطف الله، فقه الحجّ: ج٢، ص٦٦ـ٦٧.

(٣) أُنظر: جوادي آملي، عبد الله، جرعه اى از صهباى حجّ (رشفة من خمرة الحجّ): ص٤٣.

٥. زار آية الله المرعشي النجفي كربلاء مشياً عشرين مرّة، وذلك برفقة عدد من الطلاب الذين أصبحوا بأجمعهم من المراجع.

٦. كان آية الله السيّد محمود الشاهرودي الكبير من المراجع الذين يهتمّون بالمشي إلى كربلاء بشكل خاصّ.

وكذلك دأب على ذلك كبار العلماء، أمثال: الشهيد السيّد أسد الله المدني، والشهيد السيّد مصطفى الخميني، والسيّد محمّد حسين الطهراني، والسيّد أحمد المستنبط، والشيخ عبّاس القوچاني، والشيخ حسن نجابات الشيرازي، والسيّد عبد الحسين دستغيب. وكان الشهيد الصدر الأوّل والشهيد الصدر الثاني يشتركان في الزيارة مشياً، حتّى إنّ الشهيد الصدر الثاني (السيّد محمّد الصدر) أصدر فتوى بوجوب التوجّه مشياً إلى ضريح أمير المؤمنين وسيّد الشهداء عليهما السلام، مواجهاً بهذه الفتوى سياسة حزب البعث المناهضة للدين، وقد أكّد هذه المسألة في بعض خطبه في صلاة الجمعة التي كانت تقام في النجف الأشرف.

فبلحاظ اعتبار سيرة المتشرّعة الجارية بين الفقهاء، تثبت ـ بلا شكّ ـ فضيلة المشي في زيارة الأربعين واستحبابه.

الدليل السابع: الاستدلال بروايات (أفضل الأعمال أحمزها)

على الرغم من أنّ مثل هذا التعبير لم يرد في المصادر الروائية الشيعية، بل حتى السنّية، ولم ينقل إلّا في بعض كتب اللغة[1] عن ابن عبّاس مرفوعاً، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**سئل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: أحمزها عليك**»[2]، فإنّ ما يشابه هذا التعبير قد ورد في (نهج البلاغة)، حيث قال عليه السلام: «**أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك**»[3].

---

(١) التوبة: الآية ١٢٠.

(٢) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص٣٣٩.

(٣) الحجّ: الآية ٣٢.

البتة ربّما يمكن التمييز بين التعبيرين؛ لأنّ تعبير (أحمزها) يعود على الفعل نفسه، فهو يبيّن صعوبة نفس الفعل، أمّا معنى التعبير الثاني، فهو صعوبة الفعل على المكلّف.

يضاف إلى ذلك أنّ هذه الرواية قد استند إليها مشهور الفقهاء، وبذلك يكون لها نوع شهرة عملية[1]، والنتيجة أنّ ذلك يكون جابراً لضعف سندها. وعلى أي حال؛ إذا صحّ سند الرواية، فلا شكّ أنّ أداء الزيارة مشياً هو أصعب وأشقّ من الزيارة ركوباً، وبذلك يكون أجرها أعظم.

والنتيجة هي: نظراً لتمامية بعض الأدلّة التي طُرحت، يثبت رجحان المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وأفضليّته على الزيارة بوسائط النقل.

المبحث الثالث: حكم المشي في زيارة الأربعين

قد ثبت في المبحثين السابقين فضل زيارة الأربعين، وكذلك فضل المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ نظراً إلى تمامية الأدلّة المتقدّمة؛ ومن هنا يتّضح ما نحن بصدده من (حكم المشي في زيارة الأربعين)، وهو أفضلية المشي فيها.

لكن لو فرضنا عدم قبول أيّ من الأدلّة السابقة لإثبات أفضيلة المشي في طريق زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فهناك أدلّة أُخرى تتعلّق بالمشي في زيارة الأربعين خاصّة، تُصنّف هذه الأدلّة في عداد العناوين الثانوية، وهي تكشف عن الحكم الثانوي لهذه الحركة العظيمة.

---

(١) أُنظر: العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: ج٤، ٢٤٦. العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب في تحقيق المذهب: ج٧، ص٢٧١. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ج٢، ص١٧١. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الإفهام: ج١١، ص٣٥٠. المقدس الأردبيلي، أحمد بن محمّد، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: ج٦، ص١٢٠. الموسوي العاملي، محمّد بن علي، مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام: ج٧، ص٤١٥. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٩، ص٢٢٩.

الدليل الأوّل: الآية القرآنية

مضافاً إلى الاستناد إلى الآية (١٢٠) من سورة التوبة في المبحث المتقدّم، يمكن الاستناد إلى الجزء الآخر من الآية لإثبات فضيلة المشي في زيارة الأربعين على وجه الخصوص، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾[1]، فلا شكّ أنّ المشي في هذه الزيارة ممّا يُثير غضب الكفّار، فهو يتحلّى بالرجحان والأفضلية الخاصّة بناء على هذه الآية.

الدليل الثاني: تعظيم الشعائر

بمرور الزمان أصبح المشي في زيارة الأربعين من شعائر المذهب، والله (سبحانه) يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[2].

الشعائر: جمع شعيرة، بمعنى: الدليل والعلامة. وشعائر الله: هي الأُمور التي تدلّ على الله تعالى، فالصفا والمروة والمشعر ـ ممّا عدّه القرآن من الشعائر الإلهية ـ إنّما تكتسب هذه المواضع صفة الاحترام؛ لكونها من علائم الله وأماراته، ومسيرة الأربعين العظيمة تتحلّى كذلك بالفضل والثواب.

ولذا نؤكّد لزائري الحسين عليه السلام الذين يسألون: هل المشي ثلاثة أيّام من النجف إلى كربلاء أكثر فضلاً، أو زيارة سائر الأئمّة عليهم السلام في العتبات المقدّسة؟ بأنّنا نوصي بالمشاركة في مسيرة الأربعين المليونية؛ لأنّ هذه المسيرة الراجلة تمثّل مصداقاً لتعظيم الشعائر، فهي تتمتّع بفضيلة كبيرة؛ طبقاً لآيات القرآن الكريم، لذا يُعَدّ السير مشياً في زيارة الأربعين شعيرة محترمة، ويتّصف تعظيمها بالفضل والرجحان.

---

(١) التوبة: الآية ١٢٠.

(٢) الحجّ: الآية ٣٢.

الدليل الثالث: إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام

إنّ إقامة مراسم العزاء والحزن على سيّد الشهداء عليه السلام تتّصف بعنوان خاصّ غير تعظيم الشعائر، فالمشي في زيارة الأربعين يمثّل مصدقاً للحزن وإقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام، فهو يتحلّى لذلك بعنوان مستقلّ، فللمشي إذاً استحباب خاصّ من باب أنّه مصداق لإقامة العزاء.

الدليل الرابع: تبليغ الإسلام الخالص

في عصرنا الراهن الذي قدّم فيه تنظيم داعش ـ بممارساته الوحشية ـ صورة مشوّهة للإسلام، عكس الخطّ المقابل لداعش ـ وهم الشيعة ـ للعالم الصورة الناصعة والحقيقية، تلك الصورة التي تحمل السلم والمحبّة والمداراة، وذلك من خلال مسيرة الأربعين؛ من هنا كانت مسيرة الأربعين حركة إعلامية استقطبت اهتمام وسائل الإعلام العالمي، فيمكنها لذلك أن تتّصف بالاستحباب والرجحان، بل الضرورة، من باب تبليغ الإسلام المحمّدي الأصيل.

بناء على ما تقدّم؛ لو لم يتمّ أيّ دليل من أدلّة استحباب المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، يمكن القول ـ طبقاً لهذه الأدلّة ـ بأنّ السير مشياً في زيارة الأربعين يتمتّع اليوم بالأفضلية والرجحان بواسطة الحكم الثانوي، فمن الضروري الاستفادة من هذه الفرصة العظيمة بأفضل نحو ممكن.

الخاتمة

من خلال البحث الفقهي في زيارة الأربعين، وبعد دراسة الأدلّة التي عُرِضت في ثلاثة مباحث منفصلة، تمّ إثبات أصل رجحان زيارة الأربعين وفضلها، وذلك بواسطة الروايات والسيرة، ثمّ أثبتنا بواسطة الأدلّة المختلفة رجحان المشي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام على الزيارة ركوباً. وعلى فرض عدم تمامية الأدلّة في المبحثين

السابقين، أثبتنا أخيراً استحباب المشي في زيارة الأربعين بواسطة الحكم الثانوي، وذلك من باب تعظيم الشعائر، أو إغاضة العدو، أو لكون مسيرة الأربعين تمثّل مصداقاً لإقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، أو مصداقاً لتبليغ الإسلام الأصيل.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* نهج البلاغة.
١ . أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الجصّاص الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢ . أخبار مكّة في قديم الدهر وحديثه، محمّد بن إسحاق بن العبّاس الفاكهي المكّي، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت.
٣ . أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي الغساني المكّي، دار الأندلس للنشر، بيروت.
٤ . الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية.
٥ . الإقبالُ بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرَّةً في السنة، رضي الدين أبو القاسم السيّد علي بن موسى ابن طاووس، دار الكتب الإسلامية طهران.
٦ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، العلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧ . بررسى تاريخ عاشورا، محمّد إبراهيم آيتي، مؤسّسه انتشاراتى إمام عصر عجل الله فرجه الشريف، قم المقدّسة.
٨ . البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني، مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة.
٩ . تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٠ . تحقيق درباره أول أربعين حضرت سيّد الشهداء عليه السلام، السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي، وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي، سازمان چاپ وانتشارات، طهران.

١١ . تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.

١٣ . التلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر.

١٤ . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية.

١٥ . جامع المدارك في شرح المختصر النافع، السيّد أحمد بن يوسف الخوانساري، مكتبة الصدوق، طهران.

١٦ . جامع المقاصد في شرح القواعد، نور الدين على بن الحسين بن عبد العالي الكركي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة.

١٧ . جرعه اي از صهباى حج، الشيخ عبد الله جوادي الآملي، مؤسسه فرهنگى هنرى مشعر، قم المقدّسة.

١٨ . جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمّد حسن النجفي الجواهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩ . الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف بن أحمد البحراني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٢٠ . رسائل فقهية، مرتضى بن محمّد أمين بن مرتضى الأنصاري، مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدّسة.
٢١ . الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني، إشراف: السيّد محمّد كلانتر، مطبعة الآداب النجف الأشرف، منشورات جامعة النجف الدينية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٢٢ . رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل، السيّد علي بن السيّد محمّد علي بن أبي المعالي الطباطبائي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.
٢٣ . زبدة البيان في أحكام القرآن، أحمد بن محمّد المقدّس الأردبيلي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران.
٢٤ . السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن إدريس الحلّي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
٢٥ . السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦ . الشيخ مرتضى مطهّري، مجموعه آثار شهيد مطهّري (مجموعة مؤلّفات الشهيد مطهّري)، انتشارات صدرا، قم المقدّسة.
٢٧ . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٨ . العروة الوثقي مع التعليقات، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدّسة.
٢٩ . فقه الحجّ (بحوث استدلالية في الحجّ)، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني، الناشر: مؤسّسة سيدة المعصومة عليها السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.
٣٠ . فوائد الأُصول، محمّد حسين النائيني، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
٣١ . القواعد الفقهية، السيّد حسن الموسوي البجنوردي، نشر: الهادي، قم المقدّسة.

٣٢ . كتاب الحجّ، السيّد محمود الحسيني الشاهرودي، مؤسّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدّسة.
٣٣ . كتاب شناسى أربعين، أبا ذر نصر إصفهاني، سايت كرب وبلا.
٣٤ . لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت.
٣٥ . اللهوف في قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم السيّد علي بن موسى ابن طاووس، جهان، طهران.
٣٦ . لؤلؤ ومرجان در شرط پله أوّل ودوم منبر روضه خوانان، حسين بن محمّد تقي بن علي محمّد المحدّث النوري، انتشارات أمير كبير، طهران.
٣٧ . مجمع البحرين ومطلع النيرين، فخر الدين بن محمّد علي الطريحي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨ . مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، أحمد بن محمّد المقدّس الأردبيلي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
٣٩ . مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي العلّامة الحلّي، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٣ هـ.
٤٠ . مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، السيّد محمّد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.
٤١ . مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، زين الدين بن علي الجبعي العاملي الشهيد الثاني، مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة.
٤٢ . مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمّد تقي بن علي محمّد المحدّث النوري، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.

٤٣ . المستدرك على الصحيحن، محمّد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٤ . مستدركات أعيان الشيعة، السيّد حسن الأمين العاملي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٤٥ . مستمسك العروة الوثقى، السيّد محسن الطباطبائي الحكيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٦ . مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الشيخ الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت.
٤٧ . المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٤٨ . معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسّسة الإمام الخوئي الخيرية، نيويورك.
٤٩ . مفاتيح الأُصول، السيّد علي بن السيّد محمّد علي بن أبي المعالي الطباطبائي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.
٥٠ . مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، علامة، قم المقدّسة.
٥١ . منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي، دار المصطفى، قم المقدّسة.
٥٢ . منتهى المطلب في تحقيق المذهب، الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي العلّامة الحلّي، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
٥٣ . موسوعة الإمام الخوئي، السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسّسة الإمام الخوئي الخيرية، نيويورك.

٥٤ . موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، دار الأضواء، بيروت.
٥٥ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي الظاهري، دار صادر، بيروت.
٥٦ . النهاية في غريب الحديث والأثر، عزّ الدين أبو الحسن الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت.

المجلّات والمواقع الإلكترونية

٥٧ . الأربعين (مقال)، رسول جعفريّان:
http://ijtihadnet.net/
٥٨ . خطاب (بتاريخ ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٦م)، السيّد علي الحسيني الخامنئي، الموقع الرسمي للسيّد الخامنئي:
https://arabic.khamenei.ir/
https://www.leader.ir/ar/book/12

الإطعام في زيارة الأربعين
دراسة في ضوء النصوص الدينية

د. الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي

مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية/ العراق

Providing Food at the Ziyara of Arbaeen
– A Study in Light of Religious Texts

Dr. Shaykh Habib Abd al-Wahid al-Saidi

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized

Studies on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq

ملخّص البحث

ظاهـرة الإطعـام في زيارة الأربعـين بكمّها الهائل ظاهرة ملفتـة للنظر؛ ومن هنا مسّـت الحاجـة إلى البحث عـن النصـوص الدالّة على فضـل هذا الإطعـام في زيارة الأربعين وآدابه وآثاره، فالسؤال الذي نريد الإجابة عنه في هذا المقال هو عبارة عن: مـا هـي أدلّة الإطعام في زيارة الأربعـين؟ مع بيان آداب هذا الإطعـام، وآثاره المادّية والمعنوية.

وقد حاول هذا المقال الإجابة عن السـؤال الآنف الذكر بمنهج تحليلي وصفي، من خلال مراجعة النصوص الدينية ودراستها؛ لاستخراج أهمّ أدلّة الإطعام في هذه الزيارة، وأهمّ الآيات والروايات الدالّة على آدابه وآثاره.

وبعـد مراجعة تلك النصوص توصّلنا إلى أنّ الإطعام في زيارة الأربعين يدخل تحـت النصـوص الدينيـة الحاثّة عـلى الإنفاق والإحسـان إلى الغير، لا سـيّما في زيارة الحسين عليه السلام، كما يستفاد منها مجموعة من الآداب التي ينبغي مراعاتها خلال الإطعام، ومجموعة من الآثار المادّية والمعنوية المترتّبة على ذلك.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، زيارة الأربعين، الإطعام، البذل.

Abstract

Providing food at the Ziyara of Arbaeen is a noticeable phenomenon with its vast quantity. Hence, the necessity arose to search for texts indicating the virtue of this act in the Ziyara of Arbaeen, its rules of conduct, and its effects. The question we seek to answer in this article is: What is the evidence for providing food at the Ziyara of Arbaeen? We also aim to explain the etiquette of this act and its material and moral effects.

The aforementioned question will be answered based on the analytical-descriptive approach, by reviewing and studying the religious texts, to extract the most important evidence for providing food at this Ziyara, and the most important verses and narrations indicating its etiquettes and effects.

After reviewing those texts, we conclude that providing food at the Ziyara of Arbaeen falls under the religious texts encouraging generosity and goodness towards others, especially in the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH). Expectingly, these texts also address etiquettes that should be observed during the catering and the plenty of material and moral reward emanating from this act.

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), Ziyara of Arbaeen, providing food, giving.

المقدّمة

إنّ الإطعام ليس أمراً غريباً في الشريعة الإسلامية، بل يُعدّ أمراً حسناً وممدوحاً بطبيعته؛ لأنّه يدخل تحت مفهوم الإحسان إلى الغير والإنفاق الذي هو بحدّ ذاته ممدوح أيضاً؛ ولذا نجد أنّ الآيات والروايات دعت إلى الإنفاق والبذل والإطعام في حقول مختلفة وكثيرة، فقد حثّ الإسلام على الإطعام في الحجّ، حيث قال تعالى: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾[2]. وأكّدت الشريعة الإطعام في الزكاة، وفي زكاة الفطرة، وعدّت الإطعام أحد الخيارات التي يجب على الإنسان أن يؤدّيها ككفّارة للإفطار في شهر رمضان، وكفّارة حنث اليمين وغيرها، كما حثّت على إطعام الضيف، والإطعام عند تجدّد كلّ نعمة، كالعرس، والولد، والختان، وشراء دار، وغيرها من الموارد، فالإطعام عمل محمود من منظار الشريعة الإسلامية.

هذا من جانب، ومن جانب آخر تميّزت زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين عن سائر زياراته عليه السلام بخصائص مهمّة وملفتة للنظر، كقطع المسافات الطويلة مشياً على الأقدام، ووفود الزوّار بأعداد هائلة من مختلف أقطار العالم، متّجهين نحو كعبة الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام بشوق وحنين، ومن أهمّ خصائص هذه الزيارة ظاهرة الإطعام والإنفاق والبذل بشكل منقطع النظير، قد تعدّى حدود التصوّر والحسبان، وجسّد أروع مشاهد الكرم والجود.

وفي هذا المقال نسعى إلى تسليط الضوء على الخصوصية الأخيرة، وهي الإطعام والبذل في زيارة الأربعين بشكله المميّز والملفت للنظر، ونحاول التركيز على أهمّ

(١) الحجّ: الآية ٢٨.
(٢) الحجّ: الآية ٣٦.

النصـوص الدينية التي يمكن أن يسـتفاد منها فضل الإطعام والإنفاق، مع بيان أهمّ ما ينبغي مراعاته في الإطعام من آداب، والإشارة بعد ذلك إلى الآثار المادّية والمعنوية المترتّبة عليه.

ومن هنا؛ مسّـت الحاجة إلى البحث عن أدلّة هذه الظاهرة، وبيان آدابها وآثارها المادّية والمعنوية. وقبل البحث عن هذه الأُمور لا بدّ من الإشـارة بشـكل مختصر إلى خصائـص زيارة الأربعين، وظاهرة الإطعام فيهـا، فالبحث في هذا المقال يتوزّع على أربعة محاور، هي:

المحور الأوّل: خصائص زيارة الأربعين وظاهرة الإطعام فيها.

المحور الثاني: فضل الإطعام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصوص الشرعية.

المحور الثالث: آداب الإطعام في زيارة الأربعين.

المحور الرابع: آثار الإطعام في زيارة الأربعين.

المحور الأوّل: خصائص زيارة الأربعين وظاهرة الإطعام فيها

نتنـاول في هذا المحـور شرحاً مختصراً لأهمّ خصائص زيـارة الأربعين، وشرحاً لظاهرة الإنفاق والبذل والإطعام في خصوص هذه الزيارة؛ وعليه سـيكون بحثنا في نقطتين:

النقطة الأُولى: خصائص زيارة الأربعين

سنشـير في هذه النقطة إلى أهمّ خصائص زيارة الأربعين التي تمتاز بها عن سـائر زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وهي:

١. سُـميّت زيارة الأربعين بهذا الاسـم؛ لأنّها تؤدّى في العشرين من صفر، أي: بعد مضي أربعين يوماً على شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وتُعدّ هذه الزيارة من مختصّات الإمام الحسـين عليه السلام، فلا توجد زيارة أربعين لسـائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وهي من الزيارات المندوبة والمؤقّتة بيوم العشرين من صفر، وقد دلّت على ذلك روايات، منها:

ما رواه الشيخ الطوسي في كتابه (التهذيب)، عن صفوان بن مهران الجمّال، قال: «**قال لي مولاي الصادق (صلوات الله عليه) في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار، وتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه... وتصلّي ركعتين، وتدعو بما أحببت، وتنصرف**»[1].

وما رواه الشيخ المفيد في (المزار)، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «**علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**»[2].

وما نقله أصحاب التاريخ والسير من زيارة الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه للإمام الحسين عليه السلام في اليوم العشرين من صفر، وهو يوم الأربعين[3].

وما رواه بعض أصحاب المقاتل من زيارة الإمام زين العابدين عليه السلام وأهل بيته للقبور في يوم الأربعين بعد رجوعهم من المدينة ولقائهم جابر بن عبد الله الأنصاري[4].

٢. إنّ زيارة الأربعين مختصّة بالإمام الحسين عليه السلام، فلا توجد زيارة أربعين لغير الإمام الحسين عليه السلام من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فعلى الرغم من أنّه يمكن تصوّر زيارة أربعين لبقيّة الأئمّة عليهم السلام بعد شهادتهم بأربعين يوماً، فإنّنا لم نجد زيارة أربعين لإمام معصوم غير الإمام الحسين عليه السلام، وهذه القضية راجعة إلى النصّ المنقول عنهم عليهم السلام على هذه الزيارة دون مثلها في حقّ غيره عليه السلام من المعصومين عليهم السلام.

٣. إنّ هذه الزيارة تؤدّى مشياً على الأقدام، وهي الخصوصية البارزة فيها؛ فإنّ الزائر يأتي إلى الإمام الحسين عليه السلام، ويقطع المسافات الطويلة مشياً على الإقدام، وهذه

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٣ـ١١٤.
(٢) المفيد، محمّد بن محمّد، المزار: ص٥٣.
(٣) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٧.
(٤) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف: ج١، ص٢٢٥.

العملية ليست أمراً غريباً؛ فقد دلّت الروايات على الأجر والثواب الجزيل للماشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

وعلى الرغم من أنّ هذه الروايات تحثّ على المشي في جميع زيارات الإمام الحسين عليه السلام، فإنّ اختصاص المشي بزيارة الأربعين قد يرجع لوجود المناسبة، وهي مواساة ركب الإمام الحسين عليه السلام، حيث قطعوا في مسيرة السبي مسافات بعيدة من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، وصولاً إلى كربلاء في العشرين من صفر.

٤. من خصائص هذه الزيارة أيضاً كثرة عدد الزوّار؛ إذ يشارك فيها عدد هائل من الزوّار، وتشير الإحصائيات إلى أنّ أعداد الزوّار تصل إلى عشرين مليون زائر من شتّى القوميّات والأديان، يأتون من مختلف أقطار العالم، وهذه الميزة لا توجد في زيارة أُخرى من زيارات الإمام الحسين عليه السلام، كما أنّها لا توجد في زيارات بقيّة الأئمّة عليهم السلام، ويُعدّ هذا الأمر من أسرار هذه الزيارة، وقد عُدّ تجمّع الزوّار في زيارة الأربعين من أكبر التجمّعات في العالم.

٥. تمتاز هذه الزيارة بتقديم الخدمات لزوّار الإمام الحسين عليه السلام، فبما أنّ المشي في هذه الزيارة يستلزم توفير خدمات مختلفة؛ لأنّ الزائر بحاجة إلى الطعام والشراب والاستراحة والنوم، يتمّ تقديم الخدمات للزائر، من تهيئة مكان للاستراحة، وتهيئة الماء للوضوء والطهارة والنظافة، وغير ذلك من المستلزمات التي يحتاج إليها الزائر أثناء مشيه في زيارة الأربعين، مع عدم الضرورة إلى هذا الحجم من الخدمة في بقيّة زيارات الإمام الحسين عليه السلام التي تؤدّى في الأيّام العادية، والتي تتمّ من خلال وسائل النقل الحديثة.

٦. ومن المميّزات الأُخرى والبارزة في هذه الزيارة ظاهرة الإطعام بشكل ملفت للنظر، ومحيّر للفكر، حيث رُسمت فيها أرقى مشاهد الكرم والبذل والإنفاق، مشاهد قلّما نراها في غيرها من المناسبات. وظاهرة الإطعام بشكلها الواسع نتجت بسبب كثرة الزوّار، وأعدادهم الغفيرة، إضافة إلى أنّ هذه الأعداد الغفيرة تأتي مشياً

على الأقدام، وتقطع مسافات طويلة؛ من هنا أحسّ خدّام الإمام الحسين عليه السلام بضرورة تقديم الخدمات لهم، وإلّا يواجه الزائر صعوبات كثيرة، فوجدت ـ نتيجة لذلك ـ خدمة إطعام الزائر بشكل واسع، إلى جانب سائر الخدمات.

النقطة الثانية: ظاهرة الإطعام في زيارة الأربعين

يُعدّ الإطعام من الأعمال المحبّبة في الشرع، وقد حثّت عليه الشريعة الإسلامية في عدّة مجالات، منها إطعام واجبي النفقة، كالزوجة والأولاد والوالدين؛ إذ يجب على ربّ الأُسرة الإنفاق عليهم، بمعنى كسوتهم وإطعامهم، وهذا العنوان يبحث فقهياً في كتاب النكاح عادة، باب النفقة على الأولاد والزوجة.

ويوجد نحو آخر من الإطعام، وهو إطعام الفقراء والمساكين وابن السبيل، في موارد ذكرت في الفقه، مثل كفّارة الصيام، وكفّارة اليمين، وكفّارة العهد، وغيرها من الكفّارات، ومن موارده الزكاة وزكاة الفطرة أيضاً.

ومن موارد الإطعام المحبّبة هو إطعام الضيف[1]، وقد وردت بعض الروايات في إطعام أصحاب المأتم، وبعث الطعام إليهم[2]، والإطعام في مجالس إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام، ولا سيّما في المحرّم وصفر، وفي أيّام وفيات الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وهذا الإطعام يدخل ضمن الإنفاق العامّ ووجوه البرّ[3].

أمّا الإطعام في زيارة الأربعين، فقد ظهر بشكل ملفت للنظر، ومنقطع النظير، فمن ميزات هذه الزيارة الإطعام والبذل والكرم الذي فاق التصوّر، فلا يحتاج الزائر إلى شيء طوال مسيره إلّا وجده، فالطعام والشراب وأماكن السكن والراحة ووسائل النقل، كلّ ذلك مبذول أينما وصل الزائر أو حلّ، فإذا تعب من المشي

(١) أُنظر: العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٣١٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج ٣، ص٨٨٨.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ج ٢٤، ص٣٠٢.

وجد محلاً للاستراحة، وإن جاع وجد الطعام مبذولاً، وهذا النوع من الإطعام هو المقصود بالبحث، فسنعمل على دراسة دواعي هذا الإطعام في زيارة الأربعين؛ ومن هنا مسّت الحاجة إلى بيان أدلّة الإطعام في هذه الزيارة، وبيان الآداب التي ينبغي مراعاتها فيه، وبيان آثاره المادّية والمعنوية.

المحور الثاني: فضل الإطعام في زيارة الأربعين

نتناول في هذا المحور مجموعة من النصوص الدينية الدالّة على فضل الإطعام في زيارة الأربعين كنموذج واضح تتجلّى من خلاله محبّة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم وبرّهم وصلتهم، ولكونه يدخل ضمن الإحسان إلى الغير، وتشمله العمومات الحاثّة على الإنفاق وإكرام الضيف، وسنشير إلى هذه النصوص ضمن النقاط التالية:

١. الإطعام في زيارة الأربعين مودّة لأهل البيت عليهم السلام وصلة لهم

لا ريب أنّ زائر الإمام الحسين عليه السلام إنّما يأتي لزيارته عليه السلام بداعي المودّة له وصلته عليه السلام، فزيارته عليه السلام نموذج واضح للمودّة في القربى، أي: قربى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا ريب أنّ تضييفه وإطعامه وتقديم المعونة له والإنفاق عليه والإحسان إليه من باب المودّة للإمام الحسين عليه السلام وصلته ومحبّته وبرّه، فإكرام زائر الإمام الحسين عليه السلام واحترامه هما إكرام للإمام الحسين عليه السلام واحترام له، وممّا يدلّ على لزوم مودّتهم عليهم السلام مجموعة من الآيات والروايات، نشير إليها في نقطتين:

النقطة الأُولى: الآيات الدالّة على مودّة أهل البيت عليهم السلام

١. قال تعالى: ﴿... قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[1]، فالآية الكريمة واضحة الدلالة على أنّ المراد من القربى هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأولاد

(١) الشورى: الآية ٢٣.

الحسين عليهم السلام. ولمودّتهم نماذج كثيرة، من جملتها: زيارتهم، وإطعام زائرهم، واحترامه، وإكرامه، ومعونته؛ فخدمة الزائر وإطعامه وتقديم واجب الضيافة له يمثّل إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام.

٢. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، لا ريب أنّ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ممّن يجب (أن يُوصَل)، والصلة تتحقّق بمودّتهم وبرّهم وإطاعتهم والسير على نهجهم، ومن أمثلة ذلك زيارتهم، فزائر الإمام الحسين عليه السلام ينطبق عليه أنّه يصل ما أمر الله به أن يوصل، كما لا ريب في أنّ إكرام الذين يصلون رسول الله وأهل بيته عليهم السلام، ويزورنهم رجاء صلتهم، هو مثال واضح لصلة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم؛ ومن هنا يكون تقديم الخدمات لزائر الإمام الحسين عليه السلام وإطعامه والإنفاق عليه وإكرامه من باب صلة أهل البيت عليهم السلام الذين أمر الله بصلتهم.

النقطة الثانية: الروايات الدالّة على صلة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم

هناك مجموعة من الروايات التي تدلّ على أنّ الإنفاق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والإطعام حبّاً للإمام الحسين عليه السلام، له أجر عظيم، وفيما يلي نشير إلى أهمّها:

١. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبة في برّنا**»[2]، فحينما يدعو الإمام الصادق عليه السلام ويستغفر لزوّار الإمام الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، فهذا يعني أنّ مَن يُنفق أمواله في خدمة زوّار الإمام الحسين عليه السلام من باب البرّ بأهل البيت عليهم السلام وصلتهم، ويرجو من ذلك ما عند الله تعالى، قد وقع ضمن مَن يستغفر له الإمام الصادق عليه السلام.

٢. عن الإمام الصادق عليه السلام، قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: «**جُعلت فداك يابن رسول**

(١) الرعد: الآية ٢١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٢٨.

الله، حدّثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك... [فيروي الإمام الباقر عليه السلام كيف يشفع النبي صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة عليهما السلام في الناس يوم القيامة، ثمّ بعد أن تشفع فاطمة لشيعتها ومحبّيها، يقول عليه السلام:] **فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يُلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبّائي، ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا ربّ، أحببنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم. فيقول الله: يا أحبّائي، ارجعوا وانظروا مَن أحبّكم لحبّ فاطمة، انظروا مَن أطعمكم لحبّ فاطمة، انظروا مَن كساكم لحبّ فاطمة، انظروا مَن سقاكم شربة في حبّ فاطمة، انظروا مَن ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة، فخذوا بيده، وأدخلوه الجنّة. قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلّا شاكّ، أو كافر، أو منافق»**[1]. ومن الواضح أنّ إطعام الزوّار في زيارة الإمام الحسين عليه السلام إنّما هو إطعام في حبّ فاطمة عليها السلام.

٣. عن محمّد بن عمر، عن أبيه، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن وصل أحداً من أهل بيتي في دار الدنيا بقيراط كافأته بقنطار**»[2]، فإذا كان مَن يبذل ماله لذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله كافأه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة، فكيف بمَن يبذل ماله حبّاً للإمام الحسين عليه السلام، ويطعم زائر الإمام الحسين عليه السلام حبّاً له عليه السلام؟! فلا ريب أن يكون أولى بالمكافأة من الله ورسوله.

٢. الإطعام في زيارة الأربعين إنفاق في سبيل الله

إنّ الإنفاق في سبيل الله أمر مطلوب في الشريعة الإسلامية، وقد ورد التأكيد والحثّ عليه في النصوص الدينية في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، والإطعام في زيارة الأربعين يدخل تحت عنوان الإنفاق في سبيل الله تعالى، وبيان ذلك يكون في نقطتين:

(١) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص٢٩٩.
(٢) العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص٣٣٥.

النقطة الأُولى: الآيات الدالّة على الإنفاق

هناك مجموعة من الآيات القرآنية التي تدلّ على فضيلة الإنفاق بشكل عامّ، وهذه الآيات تشمل بعمومها إطعام الزوّار في زيارة الأربعين؛ لصدق الإنفاق عليه؛ وعلى هذا فإنّ الإطعام في زيارة الأربعين هو نوع من الإنفاق في سبيل الله تعالى، وقد حثّ القرآن الكريم عليه، وسنشير فيما يلي إلى بعض الآيات الدالّة على الإنفاق بشكل عامّ.

١. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١]، فهذه الآية الكريمة تدلّ على فضل الإنفاق بشكل عامّ، ومن الإنفاق إطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين، وهو من صفات المتّقين.

٢. قال عزّ من قائل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ...﴾[٢]، وهذه الآية الكريمة تحثّنا أيضاً على الإنفاق في سبيل الله تعالى، وهي بدورها تشمل جميع أنواع الإنفاق، ومنه الإطعام في زيارة الأربعين، فهو أحد أمثلة الإنفاق في سبيل الله تعالى.

٣. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ...﴾[٣]، وهذه الآية الكريمة دالّة على الإنفاق بشكل عامّ كما تقدّم بيانه، سواء كان الإنفاق واجباً أم تطوّعاً، وسواء كان المنفَق عليه فقيراً أم غير فقير، ومن المعلوم أنّ إطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام يدخل تحت مفهوم الإنفاق، وقد حثّتنا الآية الكريمة على هذا الإنفاق.

وهناك آيات كثيرة[٤] تدلّ على الإنفاق بشكل عامّ، نكتفي بهذا المقدار من الآيات التي تدلّ على فضيلة الإنفاق في سبيل الله، والتي تشمل بعمومها إطعام الزائرين في

(١) البقرة: الآية ٣.
(٢) البقرة: الآية ١٩٥.
(٣) البقرة: الآية ٢٥٤.
(٤) اُنظر: البقرة: الآيات ٢٦١ـ٢٦٢، و٢٦٤ـ٢٦٥، و٢٦٧، و٢٧٠، و٢٧٢ـ٢٧٤. آل عمران: الآية ٩٢.

زيارة الأربعين، حيث يعدّ ذلك من الإنفاق في سبيل الله، وتقوية دين الله وإعزازه.

النقطة الثانية: الروايات الدالّة على الإنفاق في زيارة الأربعين

وردت روايات تحثّ على الإنفاق في مطلق زيارة الإمام الحسين عليه السلام، تكون شاملة للإنفاق في زيارة الأربعين بسبب دخولها تحت هذا المفهوم المطلق، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها:

١. عن ابن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**جعلت فداك، إنّ أباك كان يقول في الحجّ: يحسب له بكلّ درهم أنفقه ألف درهم، فما لمَن ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام؟ فقال: يابن سنان، يحسب له بالدرهم ألف وألف حتّى عدّ عشرة، ويرفع له من الدرجات مثلها، ورضا الله خير له، ودعاء محمّد صلى الله عليه وآله ودعاء أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام خير له**»[1]. والمقصود من قوله: ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام، ما ينفقه من أموال في زيارته عليه السلام، ومن الواضح أنّ إطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين هو ممّا ينفقه في المسير إليه عليه السلام، وقد ذكرت الرواية الثواب الجزيل على ذلك.

٢. عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل له: «... **قلت: فما لمَن جهّز إليه [يعني الحسين عليه السلام] ولم يخرج لعلّة؟ قال: يعطيه الله بكلّ درهم أنفقه من الحسنات مثل جبل أُحد، ويخلف عليه أضعاف ما أنفق، ويصرف عنه من البلاء ممّا قد نزل، فيدفع ويحفظ في ماله**»[2]. وهذا يعني أنّ مَن ينوي زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وينفق من ماله استعداداً للسفر، ولكن يعرض مانع فلا يخرج للزيارة، يعوّضه الله تعالى ممّا أنفقه لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فكيف بمَن ينفق ماله في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، أو ينفقه على زوّار الإمام الحسين عليه السلام، أو يطعمهم من ماله؟! فلا ريب أنّ الله سيضاعف له الأجر والثواب.

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص٢٤٨.

٣. عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: «... **قال** [السائل للإمام عليه السلام]: **ما للمنفق في خروجه إليه والمنفق عنده؟ قال: الدرهم بألف درهم**»[١]. وهذه الرواية تدلّ أيضاً على أنّ مَن ينفق في خروجه إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام أو المنفق عند قبر الإمام الحسين عليه السلام يضاعف الله تعالى له الأجر ويعوّضه عمّا أنفقه، ومن الواضح أنّ إطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين يعدّ ممّا ينفق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٤. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**اغفر لي، ولإخواني، ولزوّار قبر أبي [عبد الله] الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبة في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا**»[٢]، ومن قول الإمام عليه السلام: (الذين أنفقوا أموالهم) نفهم أنّ مَن ينفق مالًا في سفره لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، لتهيئة متطلّبات سفره، أو ينفق مالاً لتهيئة متطلّبات سفر غيره لزيارة الحسين عليه السلام، يحظَ بدعاء الإمام الصادق عليه السلام واستغفاره له، ومن المعلوم أنّ إطعام زائر الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين إنّما هو إنفاق للمال رغبة في برّ أهل البيت عليهم السلام وصلتهم.

نكتفي بهذا المقدار من الآيات والروايات الدالّة على مطلوبية الإنفاق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، سواء كان الإنفاق على نفسه أو على غيره من زوّار الإمام الحسين عليه السلام، وقد اتّضح أنّ إعداد الطعام والشراب ووسائل النقل والسكن كلّها تدخل ضمن الإنفاق في زيارة الأربعين، واتّضح أيضاً أنّ في ذلك الأجر العظيم، والثواب الجزيل.

٣. الإطعام في زيارة الأربعين إحسان إلى الغير

لا ريب أنّ الإحسان من العناوين والصفات الجيّدة والحميدة، بل هو من صفات الله عزّ وجلّ، والإحسان إلى الغير من الأُمور المطلوبة التي يدركها كلّ إنسان،

(١) المصدر السابق: ص٢٤٧.

(٢) الكافي، محمّد بن يعقوب، الكليني: ج٤، ص٥٨٢.

وقد رغّبت الشريعة الإسلامية وحثّت على الإحسان بشكل عامّ، دون تحديد الطرف الذي يُحسن إليه، وقد ورد ذلك في آيات من القرآن الكريم، وروايات أهل البيت عليهم السلام، وسنشير إلى بعضها على نحو الاختصار والإجمال.

النقطة الأُولى: الآيات الدالّة على الإحسان إلى الآخر

وردت مجموعة من الآيات القرآنية[1] التي تحثّ على الإحسان إلى الآخرين بشكل عامّ، ويدخل ضمن الإحسان إلى الآخرين إطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام، وتقديم الخدمة لهم، ومنه إطعامهم يوم الأربعين، وسنشير إلى بعض هذه الآيات على نحو الاختصار:

١. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2]، فالآية تدلّ على أنّ الإحسان إلى الغير أمر محبّب إلى الله عزّ وجلّ، ولا ريب أنّ إطعام زوّار الأربعين إحسان إليهم، فيدخل تحت مفهوم الإحسان الذي أمر تعالى به في الآية الكريمة.

٢. قوله تعالى: ﴿... لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[3]، ومن المعلوم أنّ إطعام زائري الإمام الحسين عليه السلام، وتقديم الخدمة لهم دون مقابل، هو إحسان إليهم، وهو أمر مطلوب، تعود فائدته إلى المحسن في هذه الدنيا، وله أجر عظيم في الآخرة.

٣ـ قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ...﴾[4]، أي: أحسنوا بالطاعات

(١) أُنظر: البقرة: الآية ١٩٥. آل عمران: الآية ١٣٤. الأعراف: الآيتان ٥٦ و١٦١. التوبة: الآيتان ٩١ و١٢٠. هود: الآية ١١٥. يوسف: الآيتان ٢٢و ٥٦. النحل: الآية ١٢٨. القصص: الآيتان ١٤ و٧٧. الذاريات: الآية ١٦.

(٢) النحل: الآية ٩٠.

(٣) النحل: الآية ٣٠.

(٤) يونس: الآية ٢٦.

والعبادات، ومنه الإحسان إلى الناس، ومنه الإحسان إلى زوّار الإمام الحسين عليه السلام بإطعامهم وتقديم الخدمة لهم. وهناك آيات كثيرة حثّت على الإحسان[1]، وأكّدت عليه، وذكرت أنّ لفاعله الثواب الجزيل، والأجر العظيم، وإطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين يُعدّ مثالاً رائعاً للإحسان.

النقطة الثانية: الروايات الدالّة على الإحسان إلى الغير

وردت روايات تحثّ على الإحسان إلى الغير، بل تدلّ على أنّه مطلوب حتّى لو كان الطرف الآخر مسيئاً، فكيف بمَن لم يكن مسيئاً؟! وكيف بمَن كان يمارس عبادة، وهي زيارة الأربعين؟! فإنّ الإحسان إليه سيكون آكد، وسيكافئه الله على هذا الإحسان.

ولا بأس بالإشارة إلى بعض هذه الروايات، قال الإمام علي عليه السلام: «**أحقّ الناس بالإحسان مَن أحسن الله إليه، وبسط بالقدرة يديه**»[2]. وعنه عليه السلام أيضاً: «**أحسن إلى مَن أساء إليك**»[3]، وعنه عليه السلام كذلك: «**اجعل جزاء النعمة عليك الإحسان إلى مَن أساء إليك**»[4].

والنتيجة: أنّ هذه الآيات والروايات كلّها منبّهات إلى أنّ الإحسان إلى الغير أمر مرغوب فيه، ومن المعلوم أنّ إطعام الزائر في زيارة الأربعين نموذج واضح للإحسان إلى الآخر، ولا سيّما أنّ الزائر يقصد حجّة الله على الخلق، فإطعامه وتقديم خدمة له من أفضل أنواع الإحسان، فيدخل فاعل ذلك في المحسنين الذين مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم، وأعدّ لهم ثواباً جزيلاً.

---

(١) أُنظر: البقرة: الآية ١٩٥. آل عمران: الآية ١٣٤. النساء: الآية ٣٦. المائدة: الآية ٩٣. الأعراف: الآيتان ٥٦ و١٦١. التوبة: الآيتان ٩١ و١٢٠. هود: الآية ١١٥. يوسف: الآيتان ٢٢ و٥٦. النحل: الآية ١٢٨. القصص: الآيتان ١٤ و٧٧. الذاريات: الآية ١٦. الرحمن: الآية ٦٠.

(٢) الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٢٧.

(٣) المصدر السابق: ص٧٩.

(٤) المصدر السابق: ص٨٠.

٤. إطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام إكرام للضيف

هناك مجموعة من الآيات الكريمة التي تدلّ على فضل إكرام الضيف، ومن صور إكرامه تقديم الطعام له، وتهيئة وسائل الراحة، وكذلك وردت روايات كثيرة تحثّ على ضرورة إكرام الضيف وإطعامه، سنتعرّض لها قريباً. وإطعام الزائر يدخل تحت عنوان إطعام الضيف؛ لأنّ الزائر هو ضيف قبل أن يكون زائراً، وإطعام الضيف أمر محبّب، وسنشير إلى ذلك في نقطتين:

النقطة الأُولى: الآيات الدالّة على إكرام الضيف

١. جاء في القرآن الكريم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[1]، ومن الواضح أنّ النبي إبراهيم عليه السلام قد أكرم ضيفه ظنّاً منه أنّهم بشر، فجاء لهم بعجل مشوي، وقدّمه إليهم، وقال: ألا تأكلون؟ وهذا يدلّ على الترغيب في إكرام الضيف. وإكرام زائر الإمام الحسين عليه السلام يدخل ضمن هذه الآية إذا نزل على صاحب المنزل، أو صاحب الموكب، أو صاحب الهيئة.

٢. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[2]، وهذه الآية كسابقتها تدلّ على أهمّية إكرام الضيف أيّاً كان، لا سيّما إذا كان من زوّار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فيتضاعف الأجر.

٣. قال عزّ من قائل: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ...﴾[3]، وهذه الآية تحكي قصّة نزول الخضر وموسى عليهما السلام على قرية، وكانا مسافرين، ومقتضى السفر التعب والحاجة إلى الطعام والشراب والاستراحة والضيافة، ويستفاد أنّه لم يكن لديهما متاع السفر، لذا استطعما أهل تلك القرية، لكنّ

(١) الذاريات: الآيات ٢٤ـ ٢٧.
(٢) هود: الآية ٦٩.
(٣) الكهف: الآية ٧٧.

أهل القرية لم يضيّفوهما بخلاً، وقد روي أنّ سول الله ﷺ قال في حقّهم: «**كانوا أهل قرية لئام**»[1]، وهذا يعني أنّ ترك إكرام الضيف من اللؤم، فإذا نزل زوّار الإمام الحسين عليه السلام على بيت أو هيئة أو موكب، أو استطعموا، فترك إكرامهم يعدّ لؤماً، وهو من الصفات الرذيلة والذميمة.

النقطة الثانية: الروايات الدالّة على إكرام الضيف

وروايات إطعام الضيف كثيرة، نكتفي بثلاث روايات:

١. عن الإمام علي عليه السلام، قال: قال النبي ﷺ: «**خيركم من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلّى بالليل والناس نيام**»[2]، فإطعام الطعام إحدى الصفات التي ترفع درجة المؤمن ومنزلته، فيصير أكرم ممّن لا يطعم، والذين يطعمون الطعام في زيارة الأربعين مثال رائع لهذه الصفة.

٢. عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل الرجل بلدة، فهو ضيف على مَن بها من إخوانه وأهل دينه، حتّى يرحل عنهم**»[3]، وهذه الرواية ناظرة إلى تحديد الضيف، وهو مَن ينزل على أهل بلدة ولو لم ينزل على بيت من بيوتها، أو يطلب منهم الضيافة أو الطعام أو غيرهما، وهذا يعني أنّ الرجل بمجرّد أن ينزل في قرية يُعدّ ضيفاً على تلك القرية، وإذا كان ضيفاً فعلى تلك القرية أن يقوموا بإكرامه بالترحيب به وتضييفه، وتقديم الطعام والشراب، وتهيئة وسائل الراحة، وغيرها من شؤون الضيافة. وزائر الحسين عليه السلام إذا دخل على بلدة فهو ضيف على مَن بها حتى يرحل عنهم.

٣. عن أبي قلابة، قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ومَن أطعم مؤمناً لقمة أطعمه الله من ثمار الجنّة، ومَن سقاه شربة من ماء سقاه الله من الرحيق المختوم، ومَن كساه ثوباً كساه**

(١) المشهدي، محمّد، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج٨، ص١٢٤.
(٢) الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٧١.
(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٣١٣.

الله من الاستبرق الحرير، وصلّى عليه الملائكة ما بقي في ذلك الثوب سلك»[1]. ويدخل في هذا الحديث إطعام زوّار الإمام الحسين عليه السلام، وسقيهم الماء في زيارة الأربعين.

المحور الثالث: آداب الإطعام في زيارة الأربعين

هناك مجموعة من الآداب التي ينبغي مراعاتها في الإطعام بصورة عامّة، ولا بدّ من مراعاتها في الإطعام في زيارة الأربعين، وهذه الآداب مستفادة من النصوص الدينية، وهي كما يلي:

أوّلاً: الإطعام قربة إلى الله عزّ وجلّ

ينبغي لمَن يطعم زوّار الإمام الحسين عليه السلام، ويقدّم لهم خدمة، ويعينهم ويحسن إليهم، أنّ ينوي ذلك قربة إلى الله تعالى، ويرجو من الله الثواب والأجر على ذلك؛ فإنّ الإطعام وتقديم المعونة إلى زائر الإمام الحسين عليه السلام يُعدّ عبادة وطاعة لله، يثاب عليها فاعلها، وهي تفتقر إلى نيّة القربة.

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ...﴾[2]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾[3]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ...﴾[4]، ولذا تمّ تقييد الإنفاق بمرضاة الله وابتغاء وجهه، وهذا يدلّ على ضرورة أن يكون الإطعام والإنفاق قربة إلى الله.

ويدلّ على ذلك ما عن الإمام الصادق عليه السلام: «**اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم؛ رغبة في برّنا، ورجاءً لما**

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص١٨٣.
(٢) البقرة: الآية ٢٦٥.
(٣) البقرة: الآية ٢٧٢.
(٤) الإنسان: الآية ٩.

عندك في صلتنا»[1]؛ فإنّ قوله عليه السلام: (رجاءً لما عندك) يدلّ على أنّ الإطعام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام الذي هو إنفاق ينبغي أن يكون رجاءً لما عند الله تعالى.

ثانياً: الإطعام في محبّة الإمام الحسين عليه السلام

كما ينبغي لمَن يكرم زائر الإمام الحسين عليه السلام، ويقدّم له الخدمة، وينفق عليه ويطعمه، أن يكون ذلك منه في محبّة الإمام الحسين عليه السلام، أي: أن يريد بذلك صلته ومودّته، ليحصل على ثواب صلته عليه السلام من خلال إكرام زائره، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾[3]، ولقول الإمام الصادق عليه السلام في الرواية المتقدّمة: «رغبة في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا».

ثالثاً: الإطعام من الكسب الحلال

ينبغي الإطعام في زيارة الأربعين من الكسب الحلال، بأن يكون المال من طيب المكسب، وأمّا إذا كان من الحرام أو من أموال مشبوهة، فلا يثاب المطعِم على ذلك، ويدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[4]، فقد أمر الله تعالى أن ينفق المؤمن من طيّبات ما كسبه، ومن الواضح أن الكسب تارة يكون من الحلال، وأُخرى من الحرام، والحرام ليس من الطيّبات وإنّما هو من الخبائث، وقد نهى الله تعالى عنه بقوله:: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾، ويؤيّده ما روي عن شهاب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: سألته

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٢٨.
(٢) الشورى: الآية ٢٣.
(٣) الرعد: الآية ٢١.
(٤) البقرة: الآية ٢٦٧.

عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، «فقال في الكسب: هم قوم كسبوا مكاسب خبيثة قبل أن يُسلموا، فلمّا أن حسن إسلامهم أبغضوا ذلك الكسب الخبيث، وجعلوا يريدون أن يخرجوه من أموالهم، فأبى الله أن يتقرّبوا إليه إلّا بأطيب ما كسبوا»[1].

وعن داود الصرمي: «قال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الحرام لا ينمي، وإن نما لا يبارك له فيه، وما أنفقه لم يؤجر عليه، وما خلّفه كان زاده إلى النار»[2].

رابعاً: تجنّب المنّة والأذى

ينبغي لمَن ينفق ماله على زوّار الإمام الحسين عليه السلام ألّا يُتبع ما ينفقه بالمنّ والأذى، كأن يقول لهم: ألم نطعمكم ونسقكم من أموالنا؟! لأنّ المنّ والأذى يذهبان بالأجر؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

خامساً: ترك الرياء

إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من العبادات المشروطة بالقربة إلى الله عزّ وجلّ، والرياء يُبطل العبادة، وكذلك الإطعام في زيارة الأربعين، والإنفاق على الزوّار، وتقديم الخدمة لهم، والإنسان يطلب أجره من الله عزّ وجلّ على هذه الأعمال، أمّا إذا كان الإطعام والإنفاق رياءً ـ والعياذ بالله ـ فعمله باطل، ولا فائدة في إطعامه وإنفاقه، ويدلّ على ذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٩، ص٤٦٥ـ٤٦٦.
(٢) المصدر السابق: ج١٧، ص٨٢.
(٣) البقرة: الآية ٢٦٢.
(٤) البقرة: الآية ٢٦٤.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾[1]، وهـذا يعني أنّـه لا فائـدة من إنفاقـه، كالبذرة التي تزرع عـلى تراب فوق صخرة، فـإذا نزل المطر كُشف التراب، ولم تنبت البذرة.

ويؤيّد هذه الآيات ما روي عن يزيد بن خليفة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**ما على أحدكم لو كان على قلّة جبل حتّى ينتهي إليه أجله؟! أتريدون تراؤون الناس؟! إنّ مَن عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومَن عمل لله كان ثوابه على الله، إنّ كلّ رياء شرك**»[2]. وعن يزيد بن خليفة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**كلّ رياء شرك، إنّه مَن عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومَن عمل لله كان ثوابه على الله**»[3].

سادساً: ترك الإسراف والتبذير

لا ينبغـي للزائـر الإسراف في الطعام والشراب، كما قـال الله عزّ وجلّ: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[4]، ولا ينبغـي أيضـاً للمنفـق والمطعِـم لزوّار الإمـام الحسـين عليه السلام الإسراف أيضـاً، بأن يقدّم أكثـر من قدر الحاجـة، لكيلا يصدق عليه عنـوان الإسراف، قال تعـالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[5]، كـما لا يجـوز التبذيـر وإتـلاف الطعـام والأمـوال المنفقة في خدمـة زوّار الإمام الحسـين عليه السلام، ويجـب الحفاظ عليها من التلـف؛ ولذا نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿...وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[6].

---

(١) النساء: الآية ٣٨.

(٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١، ص٧٠.

(٣) المصدر السابق: ص٧١.

(٤) الأعراف: الآية ٣١.

(٥) الفرقان: الآية ٦٧.

(٦) الإسراء: الآيتان ٢٦ـ٢٧.

سابعاً: الإنفاق عن تقوى

ينبغي أن يتحلّى مَن يُنفق على زوّار الإمام الحسين عليه السلام بالتقوى والورع عن المحرّمات، والالتزام بالواجبات العبادية والمالية، كالالتزام بالصلاة وعامّة العبادات الواجبة، والالتزام بدفع الحقوق الشرعية، أمّا إذا لم يكن ملتزماً بهذه الفرائض والواجبات، فلا يقع عمله مقبولاً عند الله؛ لإنّ الله تعالى إنّما يتقبّل من المتّقين، كما قال عزّ وجلّ حكاية عن لسان هابيل: ﴿... قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، وهذا يعني أنّ الإنفاق لا بدّ أن يكون ممّا زاد على الواجبات المالية، فيجب أوّلاً إخراج النفقة الواجبة، وإخراج الحقوق المالية الواجبة، ثمّ يُنفق ما زاد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فلو كان في ذمّة الإنسان دين حالّ يجب عليه أداء دينه، ولا ينبغي له إنفاق ماله وترك الدين؛ لأنّه يأثم ويحاسب على ترك الواجبات المالية، بخلاف غيرها.

ثامناً: الإنفاق من الأطعمة المحبّبة للمنفق

ينبغي لمَن ينفق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام أن ينفق من الأطعمة المحبّبة له وعدم الإنفاق من الأطعمة الرديئة والزائدة التي لا يحبّها؛ ولذا قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2].

المحور الرابع: آثار الإطعام في زيارة الأربعين

لا ريب أنّ مَن ينفق ويبذل المال في زيارة الأربعين، ويطعم زوّار الإمام الحسين عليه السلام، مخلصاً نيّته لله عزّ وجلّ، ومحبّة الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُتبع ذلك بمنّ أو أذى، ولا رئاء الناس؛ فإنّ هذا العمل تترتّب عليه آثار كما ورد في الآيات والروايات،

(١) المائدة: الآية ٢٧.

(٢) آل عمران: الآية ٩٢.

وسنشير هنا إلى أهمّ هذه الآثار، ونقسّمها إلى دنيوية وأُخروية، وهذا ما يستدعي البحث في نقطتين:

النقطة الأُولى: الآثار المادّية

إنّ الأعمال الصالحة ليست لها آثار أُخروية فحسب، بل يرى الإنسان نتائجها في هذه الدنيا، والإطعام في زيارة الأربعين من جملة الأعمال الصالحة التي يرى الإنسان أثرها في الدنيا قبل الآخرة، وفيما يلي إشارة إلى هذه الآثار:

أوّلاً: زيادة المال وسعة الرزق

إنّ الذين ينفقون أموالهم في زيارة الإمام الحسين عليه السلام ـ على أنفسهم، أو على غيرهم من زوّار الإمام الحسين عليه السلام ـ يعطيهم الله تعالى من المال في هذه الدنيا أضعاف ما أنفقوه على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وقد دلّت نصوص كثيرة على هذا الأمر، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ ...﴾[1]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، فإنّ بذل المال والإطعام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام إنفاق في سبيل الله، وقد أخبرنا الله تعالى بأنّ هذا المال سينمو أضعافاً كثيرة.

وممّا يدلّ على زيادة المال بسبب الإنفاق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام عدّة روايات، سنشير إلى بعضها:

١. عن ابن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**إنّ أباك كان يقول في الحجّ: يحسب له بكلّ درهم أنفقه ألف درهم، فما لمَن ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام؟ فقال: يابن**

(١) البقرة: الآية ٢٦٥.

(٢) البقرة: الآية ٢٦١.

سنان، يحسب له بالدرهم ألف وألف، حتّى عدّ عشرة، ويرفع له من الدرجات مثلها، ورضا الله خير له، ودعاء محمّد ودعاء أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام خير له»[1]. وقد ذكرت الرواية أنّ الله تعالى يحسب لمَن ينفق ماله في زيارة الإمام الحسين عليه السلام ـ سواء أنفقها على نفسه أو على غيره من زوّار الإمام الحسين عليه السلام ـ بالدرهم ألف ألف درهم، أي: مليون درهم، بل عشرة ملايين درهم، وهو يشمل بإطلاقه زيادة المال في الدنيا، أي: يعوّضه الله أضعاف ما أنفقه.

٢. عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: «... **قلت: فما لمَن جهّز إليه ولم يخرج لعلّة؟ قال: يعطيه الله بكلّ درهم أنفقه مثل جبل أُحد من الحسنات، ويخلف عليه أضعاف ما أنفق، ويصرف عنه من البلاء ممّا قد نزل، فيدفع ويحفظ في ماله...**»[2]، ولا ريب أنّ قوله: (يخلف عليه أضعاف ما أنفق) لا يختصّ بالآخرة، بل يشمل عالم الدنيا، أي: يخلف عليه في هذه الدنيا وفي الآخرة.

٣. عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إنّ رجلاً أتاه فقال له: ...فما للمنفق في خروجه إليه والمنفق عنده؟ قال: الدرهم بألف درهم...**»[3]، ومن الواضح أنّ المنفق إذا كان قد أنفق درهماً، فإنّه يضاعف له ألف درهم، ولا يختصّ هذا الجزاء بالآخرة، بل يشمل الدنيا.

ثانياً: دفع البلاء والسوء

من جملة آثار الإنفاق في زيارة الحسين عليه السلام أنّه يدفع البلاء والسوء، كما ورد ذلك في رواية صفوان المتقدّمة، حيث ورد فيها: «**ويصرف عنه من البلاء ممّا قد نزل فيدفع**»[4]، ويظهر أنّ البلاء على نوعين، أحدهما: بلاء قد ينزل، والثاني: بلاء قد نزل،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٤٧.
(٢) المصدر السابق: ص٢٤٨.
(٣) المصدر السابق: ص ٢٤٧.
(٤) المصدر السابق: ص٢٤٨.

والإمام عليه السلام يقول: ليس أثر الزيارة هو دفع البلاء المحتمل النزول فحسب، بل يدفع الله تعالى البلاء النازل أيضاً.

ويستفاد أيضاً من قوله عليه السلام في الرواية المتقدّمة: «**يحفظ في ماله**» أنّه يحفظ في نفسه وماله، أي: لا يتعرّض هو إلى سوء أو بلاء، ولا يتعرّض ماله إلى تلف.

ثالثاً: دفع ميتة السوء ومصارع الهوان

جاء في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «...**وصنائع المعروف؛ فإنّها تدفع ميتة السوء، وتقي مصارع الهوان**»[1]، ولا ريب أنّ الإطعام والإنفاق في زيارة الأربعين يدخلان تحت صنائع المعروف، فهما يدفعان ميتة السوء ومصارع الهوان، كالغرق والحرق والهدم وغيرها. إضافة إلى أنّ نفس زيارة الإمام الحسين عليه السلام لها هذا الأثر، فهي تمدّ في العمر، وتُنسئ في الأجل، كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء...**»[2]، وما أحسن أن يجمع الزائر بين الأمرين: يزور الإمام الحسين عليه السلام، ويصنع المعروف بإطعامه زوّار الإمام الحسين عليه السلام.

النقطة الثانية: الآثار المعنوية

أمّا الآثار المعنوية للإنفاق بشكل عامّ، ومنه الإطعام في زيارة الأربعين، فهي كثيرة، نكتفي بأهمّها مع ذكر ما يؤيّدها من الشواهد القرآنية والروائية، ونشير إليها ضمن النقاط التالية:

أوّلاً: رضوان الله تعالى

وهذا الأثر أو الأجر هو أفضل أنواع الأجر، ولا يوجد أجر أعلى منه، فالغاية

(١) الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع: ج١، ص٢٤٧.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٨٤.

الأساسية من أكثر الأعمال العبادية هي الحصول على رضوان الله عزّ وجلّ، ومنها الإنفاق والإطعام، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله تعالى كذلك: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[3]، ومن المعلوم أنّ مَن يطعم زوّار الإمام الحسين عليه السلام يرضَ الله عنه، ويدلّ على ذلك الرواية المتقدّمة: «**ورضا الله خير له**»[4].

ثانياً: دعاء محمّد وآل محمّد عليهم السلام واستغفارهم

وهذا الأثر ذو أهمّية بالغة؛ إذ يتوّقف عليه قبول التوبة، كما قال الله تعالى: ﴿... وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[5]، فمَن يزر الإمام الحسين عليه السلام، وينفق على زوّاره ويطعمهم، يحصل على هذا الأثر، وهو دعاء محمّد وآله عليهم السلام واستغفارهم، فهم يستغفرون لزوّار الإمام الحسين عليه السلام، والباكين عليه، كما ورد أنّ الحسين عليه السلام: «**... ينظر إلى زوّاره، وهو أعرف بحالهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم، وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله عزّ وجلّ من أحدكم بولده، وإنّه ليرى مَن يبكيه، فيستغفر له، ويسأل آباءه عليهم السلام أن يستغفروا له**»[6]، وهم يدعون لمَن أنفق مالاً وأطعم في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، كما ورد في الرواية المتقدّمة: «**ودعاء محمّد ودعاء أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام خير له**»[7].

---

(١) البقرة: الآية ٢٦٥.
(٢) الإنسان: الآية ٩.
(٣) التوبة: الآية ٧٢.
(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٤٧.
(٥) النساء: الآية ٦٤.
(٦) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٥٥.
(٧) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٤٧.

ثالثاً: تضاعف الحسنات ورفع الدرجات

مَـن ينفـق في زيارة الإمام الحسـين عليه السلام فـإنّ الله تعالى يعطيه من الجـزاء أضعاف مـا أنفق، ويـدلّ على هذا مجموعة مـن الآيات والروايـات. أمّا الآيـات، فمنها قوله تعـالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وقولـه تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ...﴾[2].

وأمّا الروايات، فنكتفي برواية واحدة، وهي رواية ابن سنان لمّا سأل الإمام الصادق عليه السلام: «**فما لمَن ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام؟ قال: يابن سنان، يحسب له بالدرهم ألف وألف، حتّى عدّ عشرة**»[3]. وفي رواية أعطاه الله مثل جبل أُحد من الحسنات[4]، وأنّ الله يرفع مَن يطعم وينفق في زيارة الإمام الحسين عليه السلام درجات كثيرة أضعاف ما أنفقه، ويستفاد هذا من الرواية المتقدّمة، حيث وردت فيها: «**ويرفع له من الدرجات مثلها**»[5].

رابعاً: الأمن والسرور يوم القيامة

لا ريب أنّ ليوم القيامة أهوالاً وخوفاً وأحزاناً وبكاءً وشـدائد ومحناً، وممّا يهوّن هذه الأهوال هو الإنفاق في سـبيل الله، وإطعام الزوّار في زيارة الأربعين من الإنفاق في سبيل الله، فالذين ينفقون في هذه الزيارة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كما قال

(١) البقرة: الآية ٢٦١.
(٢) البقرة: الآية، ٢٦٥.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٤٧.
(٤) المصدر السابق: ص٢٤٨.
(٥) المصدر السابق: ص٢٤٧.

الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[1]، وقال تعالى في آية أُخرى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾[2]، وهذا يعني أنّ الله تعالى قد وقاهم شرّ يوم القيامة، وأعطاهم نعمة وسروراً بسبب بذلهم ما عندهم من طعام.

ونقتصر على هذا القدر؛ فإنّ الآثار المادّية والمعنوية للإطعام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام أكثر من أن تُحصى، هذا وفيما ذكرناه كفاية لمَن ألقى السمع وهو شهيد.

الخاتمة

توصّلنا من خلال البحث المتقدّم إلى النقاط التالية:

١. تُعدّ ظاهرة الإطعام والإنفاق من أهمّ القيم التي حثّت عليها الشريعة الإسلامية في مواضع متعدّدة من القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله، وروايات العترة الطاهرة عليهم السلام، وقد تجلّت هذه الظاهرة بشكل ملفت للنظر في زيارة الأربعين، فظهر من الإنفاق والإطعام في هذه الزيارة ما يعجز عنه الوصف.

٢. تمتاز زيارة الأربعين بخصائص أُخرى، منها: أنّها خاصّة بالإمام الحسين عليه السلام، فلا توجد زيارة لبقيّة الأئمّة عليهم السلام تحمل نفس العنوان، ومنها: أنّها من علامات الإيمان، ومنها: أنّها تقام مشياً على الأقدام، ومنها: كثرة الوفود والزوّار من مختلف أقطار العالم.

٣. يندرج الإطعام في زيارة الأربعين والبذل وتقديم الخدمة لزوّار الإمام الحسين عليه السلام تحت الآيات التي حثّت على مودّة أهل البيت عليهم السلام وصلتهم، ويدخل كلّ

(١) البقرة: الآية ٢٧٤.

(٢) الإنسان: الآيتان ١٠ـ١١.

ذلك ضمن الآيات التي تؤكّد الإحسان إلى الغير، وكذلك الآيات التي حثّت على الإنفاق وإطعام الضيف وإكرامه.

أمّا فيما يتعلّق بالروايات، فإنّ ما ذُكر يندرج تحت الروايات والأحاديث التي تحثّ على صلة أهل البيت عليهم السلام وبرّهم، والتي تؤكّد أهمّية الإحسان إلى الغير والإنفاق وإطعام الطعام وإكرام الضيف، وهي أكثر من أن تُحصى، وقد دلّت بعض الروايات بشكل خاصّ على فضل الإنفاق والإطعام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وما يترتّب على ذلك من الثواب الجزيل.

٤. هناك مجموعة من الآداب التي ينبغي مراعاتها في حالة الإنفاق والإطعام، من أهمّها أن يكون الإنفاق لوجه الله تعالى، كما ينبغي أن يكون الإطعام في مودّة أهل البيت عليهم السلام وبرّهم وصلتهم، وأن يكون من الكسب الحلال، ولا ينبغي أن يتبعه منّ ولا أذى، أو يكون رياءً وسمعة، كما ينبغي تجنّب الإسراف والتبذير، وينبغي أيضاً أن يكون الإطعام عن تقوى، وأن يكون من المال أو الطعام الذي يحبّه المُنفِق أو المُطعِم.

٥. إنّ للإنفاق والإطعام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام وزيارة الأربعين مع مراعاة الآداب المتقدّمة آثاراً مادّية ومعنوية، فالمادّية مثل: زيادة المال، وسعة الرزق، ودفع البلاء والسوء، ودفع ميتة السوء ومصارع الهوان. أمّا المعنوية، فهي: رضا الله عزّ وجلّ، ودعاء محمّد وآل محمّد عليهم السلام، ومضاعفة الحسنات، ورفع الدرجات، والأمن والاطمئنان والسرور يوم القيامة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأمالي، أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٢ . تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمّد الكاظم، الناشر: مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٣ . تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمّد بن محمّد رضا القمّي المشهدي، تحقيق: حسين درگاهي، الناشر: منشورات مؤسّسة شمس الضحى، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ.
٤ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.
٥ . تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤هـ.ش.
٦ . علل الشرائع، محمّد بن علي بن بابويه القمّي العروف بالشيخ الصدوق، الناشر: مؤسّسة دار الحجّة للثقافة، ١٤١٦هـ.
٧ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمّد بن علي بن بابويه القمّي العروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، نشر: مؤسّسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٨ . عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمّد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسني البيرجندي، الناشر: دار الحديث، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٣٧٦هـ.
٩ . الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧هـ.ش.
١٠ . كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي، انتشارات مرتضوية، ١٣٥٦هـ.ش.

١١ . كنز الفوائد، أبو الفتح محمّد بن علي الكراجكي، تحقيق: عبد الله نعمة، الناشر: الذخائر، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ.
١٢ . المزار، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.
١٣ . مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٤ . الملهوف على قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسيني، تحقيق وتقديم: فارس تبريزيان (الحسّون)، دار الأُسوة، ١٣٨٣هـ.ش.

حوادث وأحداث تاريخية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام
العهدان الأُموي والعبّاسي أُنموذجاً

كاظم عبّاس مدلّل

ماجستير فلسفة إسلامية

مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية/ العراق

Historical Incidents and Events in the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) – The Umayyad and Abbasid Era as a Sample

Kadhem Abbas Mudallal

Master's degree in Islamic Philosophy

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq

ملخّص البحث

تتصدّر اليوم زيارة الإمام الحسين عليه السلام جميع زيارات الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وهي من أبرز معالم التشيّع، وقد جاء هذا تكريماً للإمام الحسين عليه السلام؛ لما قدّمه من تضحيات ودماء أُريقت في كربلاء، حتّى أصبح شأنها شأن العبادات الأُخرى التي يتقرّب بها الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى؛ رغبةً في نيل الآثار الدنيوية والأُخروية التي منّ الله تعالى بها على زائر الإمام الحسين عليه السلام بحسب الروايات والأحاديث الصحيحة والمعتبرة.

وفي هذا المقال حاولنا تسليط الضوء على الأحداث التي مرّت بها زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وما جرى على قبره الطاهر في العهدين الأُموي والعبّاسي، من خلال دراسة وصفية تحليلية، وانتهينا إلى أنّ الشيعة الموالين استمرّوا على زيارة قبره المبارك بالرغم من الخوف الشديد، والتنكيل الفضيع، والقتل الشنيع من قبل السلطة الحاكمة في تلك الفترة المذكورة.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، الزيارة، الحوادث، الشيعة، العهد الأُموي، العهد العبّاسي.

Abstract

Today, the Ziyara (visitation) to Imam al-Husayn (PBUH) is considered at the forefront of all the visitations to the infallible Imams (PBUT) and is one of the most prominent symbols of Shiism. This particular visit has gained such grace as an honor to Imam al-Husayn (PBUH) for the sacrifices he made and the blood he gave that was shed in Karbala. Visiting Imam al-Husayn (PBUH) is esteemed such that it has become akin to other acts of worship through which a person gets closer to Allah, Exalted is He. According to authentic and reliable narrations and hadiths, Allah, the Exalted, grants worldly and afterlife rewards to visitors of Imam al-Husayn (PBUH).

In this article, we attempt to shed light on the events that the visit to Imam al-Husayn (PBUH) experienced, and what happened to his pure grave during the Umayyad and Abbasid era, through a descriptive-analytical study. We conclude that despite the extreme fear, horrific torture, and morbid killing perpetrated by the ruling authority during the aforementioned period, the loyal Shiites continued to visit his noble grave.

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), Ziyara, incidents, Shiites, Umayyad era, Abbasid era.

المقدّمة

لا يختلف اثنان في أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام قد تحوّلت إلى أكبر حدث عالمي من حيث المشاركة المليونية، وهذا الحدث لم يأتِ من فراغ أو إبداع أو ترف، بل جاء من أوّل صرخة صدرت عنه عليه السلام، واهتزّت لها عروش الظالمين، وهي عبارته المشهورة التي يخاطب بها مَن طلب منه البيعة ليزيد: «**ومثلي لا يبايع مثله**»[1]، وكذلك ممّا صدر عنه عليه السلام بعد ذلك وهو يواجه جيوش البغي والضلال: «**هيهاتَ منّا الذلّة**»[2].

فعندما نتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام، أو عن زيارته، لا نتحدّث عن شخص عاش ثمّ مات، إنّما نتحدّث عن خلود، وعن شخصية قدسية، تمثّل امتداداً للرسالة المحمّدية، وديمومة للإسلام، حتّى خصّه الله تعالى وزائريه بخصائص متميّزة ومنفردة، فقد أكرمهم بكرامات، ووعدهم بالمغفرة ورفيع الدرجات، فعن شعيب العقرقوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: «**مَن أتى قبر الحسين عليه السلام ما له من الثواب والأجر جُعِلَت فداك؟ قال: يا شعيب، ما صلّى عنده أحد الصلاة إلّا قبلها الله منه، ولا دعا عنده أحد دعوة إلّا استُجِيبت له عاجلة وآجلة. فقلت: جُعِلت فداك، زدني فيه. فقال: يا شعيب، أيسر ما يقال لزائر الحسين بن علي عليه السلام: قد غُفِرَ لك يا عبد الله، فاستأنف عملاً جديداً**»[3].

وفي ذات الصدد كذلك ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام مجيباً عن سؤال في نفس المضمون المتقدّم، حيث قال عليه السلام: «**مَن أتاه شوقاً إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين بن علي حتّى يُدخِلهما الله الجنّة**»[4].

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٧.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٤٣٥.

(٤) المصدر السابق: ص٢٧١.

وكذلك ما رُوي عن ذَرِيح المحاربي أنّه قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما ألقى من قومي ومن بنيّ إذا أنا أخبرتهم بما في إتيان قبر الحسين عليه السلام من الخير، إنّهم يُكذّبوني، ويقولون: إنّك تكذب على جعفر بن محمّد. قال: يا ذريح، دعِ الناس يذهبون حيث شاؤوا، والله إنّ الله ليباهي بزائر الحسين، والوافدُ يَفِدُه الملائكةُ المقرّبون، وحملةُ عرشه، حتّى إنّه ليقول لهم: أما ترون زوّار قبر الحسين أتوه شوقاً إليه وإلى فاطمة بنت رسول الله؟ أما وعزّتي وجلالي وعظمتي لأُوجبنّ لهم كرامتي، ولأُدخلنّهم جنّتي التي أعددتها لأوليائي ولأنبيائي ورسلي.**

يا ملائكتي، هؤلاء زوّار قبر الحسين، حبيب محمّد رسولي، ومحمّد حبيبي، ومَن أحبّني أحبّ حبيبي، ومَن أحبّ حبيبي أحبّ مَن يُحِبّه، ومَن أبغض حبيبي أبغضني، ومَن أبغضني كان حقّاً عليّ أن أُعذّبه بأشدّ عذابي، وأُحرقه بحرّ ناري، وأجعل جهنّم مسكنه ومأواه، وأُعذّبه عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين»[1].

هذا؛ وإذا تصفّحنا كتب التاريخ، لم نجد هذا التأكيد والكمّ الهائل من الحثّ على زيارة أحد كما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حتّى أصبحت أهمّ معلم وعنوان لمعنى التشيّع والمولاة، وهذا ليس وليد اللحظة أو العصر؛ فقد دفعت ثمنه نفوسٌ أُزهقت، ورقابٌ قُطعت، حتّى وصلت إلينا الزيارة بهذا النحو من البروز والظهور.

وقد قمنا في هذا المقال بعرض ما رافق مسيرة زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام من حوادث وأحداث، بدءاً من لحظة استشهاده عليه السلام حتّى نهاية الحكم العبّاسي، أي: في القرون الثلاثة الأُولى من العهدين الأُموي والعبّاسي؛ وذلك اختصاراً للأحداث؛ وتجنّباً للإطالة.

(١) المصدر السابق: ص٢٧٢.

تمهيد

قبل الولوج في المقال لا بدّ أن نبيّن الفرق بين الحوادث والأحداث لغةً:

الحوادث: جمع حادث وحادثة، جاء في لسان العرب «**الحَدَثُ: الأمرُ الحادِثُ المنكَرُ الذي ليس بمعتاد، ولا معروف في السُّنَّة... واستَحدَثتُ خبراً، أي: وجدتُ خبراً جَديدًا... حَدَثانُ الدَّهر وحَوادِثُه: نُوَبُه، وما يَحدث منه، واحدها حادِث؛ وكذلك أحْداثُه، واحدها حَدَثٌ. الأزهري: الحَدَثُ من أحداثِ الدَّهرِ: شِبْه النازلة**»[1].

والأحداث: مفردها حدث، و«**الحدث: الأمرُ الحادِثُ المُنكَرُ الذي ليس بمُعتادٍ، ولا معروف في السُّنّة**»[2]. ثمّ إنّ دلالة الأصل في (الحادثة) و(الحَدَث) هو ما يَجِدُّ من أُمور، ثمّ أُطلِق كلٌّ منهما على النائبة كما ذكر (الوسيط)، وقد ذكر (التاج): أنّ (الحدث) و(الحادثة) بمعنىً، وعلى هذا لا فرق بين الاستعمالين[3].

وخلاصة القول: أنّ الحوادث يقصد بها النوائب والكوارث والمصائب، أو الأُمور غير المرغوب فيها بشكل عامّ، والأحداث: يُقصد بها الأُمور العجيبة، أو غير المعتادة، ولها معانٍ أُخرى.

ويبقى أنّ ثمّة تساوياً بين المفردتين في المعنى الاستعمالي، إذ قد تستعمل إحداهما مكان الأُخرى دون النظر إلى الفروق الدقيقة بينهما.

تأكيد زيارة الإمام الحسين عليه السلام

يشترك الإمام الحسين عليه السلام مع سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام في العديد من الخصائص،

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٢، ص١٣١ـ١٣٢.
(٢) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج٣، ص١٩٣.
(٣) أُنظر: أحمد مختار، معجم الصواب اللغوي: ج١، ص٣٣٦.

كالعصمة، والعلم، والكمال، وغيرها، لكنّه تميّز منهم عليهم السلام بأُمور معيّنة، منها تأكيد زيارته عليه السلام في كلّ وقت ومناسبة، مضافاً إلى بيان ما فيها من الفضل والأجر والآثار المتنوّعة الأُخرى، فما تمرّ مناسبة دينية إلّا نجد زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مقدّمة الأعمال المذكورة لهذه المناسبة.

وقد أجاد مَن قال: «**الإسلام محمّدي الوجود، حسيني البقاء**»، فلولا الإمام الحسين عليه السلام لما بقي للدين باقية، فهو الذي نهض بوجه الظلم والانحراف والفساد، ووقف بوجه بني أُمية الذين جاؤوا متعمّدين للقضاء على الإسلام المحمّدي وتعاليمه، وهذا المعنى جسّده الإمام عليه السلام بقوله: «**إنّما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أُمّة جدّي**»[1]، وفي كتابه إلى أهل البصرة قال عليه السلام: «**أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)؛ فإنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد أُحييت**»[2]. وقال في كتابه إلى أهل الكوفة معرّضاً بالطغمة التي تحكّمت برقاب المسلمين من بني أُمية: «**فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله. والسلام**»[3]. وفي كربلاء خطب بأنصاره قائلًا: «**ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟!**»[4].

فالأهداف التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام هي إحياء عملي لدين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وبذل دمه الطاهر في سبيل تجسيد هذه المبادئ والقيم والأهداف وتحقيقها على أرض الواقع. ينقل الطبري في تاريخه النصّ التالي عن الإمام الحسين عليه السلام، قال: «...**ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[5].

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١.
(٢) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص ٢٦٢.
(٣) المصدر السابق: ج٥، ص ٣٥٣.
(٤) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٦.
(٥) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٤.

وفي نصّ آخر يوضّح الإمام الحسين عليه السلام تفاصيل نهضته المباركة من خلال بيان العلّة الباعثة على الانطلاق والنهوض، فيقول: «**مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألّا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر...**»[1].

أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يصوّب السهم نحو رأس الحاكمية، ويبيّن للملأ أنّها انحرفت عن جادّة الصواب، وخرقت الموازين والقيم، وتنكّرت لأُصول المعارف والسلوك السوي، فأقام عليه السلام الدين وأحكامه، فجزاه الله عن ذلك انشداد القلوب السليمة إليه؛ وذلك باعتباره يمثّل الصوت الذي لا يسمعه المترف، ولا ينصت إليه المتخم، ولا يرى وجوده ظالم مستبدّ تسنّم عرش السلطة من أجل سوق الناس نحو عبوديّته المطلقة، وحبس أنفاس العباد على تحقيق مطامحه الخاصّة، فزيارة الإمام الحسين عليه السلام هي إعلان الولاء والمحبّة، وكسب الفيض والبركة، وديمومة الإطاعة والاتّباع، والتحلّي بسيرته عليه السلام وأخلاقه، وتحصيل الأجر والثواب، وهذا ما نصّت عليه الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام:

منها: ما رُوي عن بشير الدهان أنّه قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربّما فاتني الحجّ فأُعَرِّفُ عند قبر الحسين عليه السلام؟ فقال: أحسنت يا بشير، أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجّة، وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، وعشرين حجّة وعمرة مع نبيّ مرسل أو إمام عدل، ومَن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجّة، ومئة عمرة، ومئة غزوة مع نبيّ مرسل أو إمام عدل. قال: قلت له: كيف لي بمثل الموقف؟ قال: فنظر إليّ شبه المغضب، ثمّ قال لي: يا بشير، إنّ المؤمن**

(١) المصدر السابق: ص٤٠٣. وأُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص١٥٩.

إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة، واغتسل من الفرات، ثمّ توجّه إليه، كتب الله له بكلّ خطوة حجّة بمناسكها، ولا أعْلَمُهُ إلّا قال: وغزوة»[1].

ومنها: ما ورد عن المعلّى أبي شهاب أنّه قال: «**قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه، ما لمَن زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنيّ، من زارني حيّاً أو ميّتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة، وأُخلّصه من ذنوبه**»[2].

ومنها: ما رواه زيد الشحّام، قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمَن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمَن زار الله في عرشه. قال: قلت: ما لمَن زار أحداً منكم؟ قال: كمَن زار رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3].

ومنها: ما عن الصادق عليه السلام أيضاً: «**أنّه سُئل عن زيارة الحسين عليه السلام، فقيل له: هل في ذلك وقت هو أفضل من وقت؟ فقال عليه السلام: زوروه (صلّى الله عليه) في كلّ وقت، وفي كلّ حين؛ فإنّ زيارته عليه السلام خير موضوع، فمَن أكثر منها فقد استكثر من الخير، ومن قلّل قُلّل له، وتحرّوا بزيارتكم الأوقات الشريفة؛ فإنّ الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، وهي أوقات مهبط الملائكة لزيارته...**»[4].

وأخيراً ورد في رواية محمّد بن مسلم أنّه قال: «**سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمّد صلى الله عليه وآله يقولان: إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرّيته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعدّ أيّام زائريه جائياً وراجعاً من عمره**»[5]. إلى غير ذلك من الروايات التي تؤكّد وتحثّ الناس على زيارته عليه السلام.

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص٥٨٠.
(٢) المصدر السابق: ص٥٤٨.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٧٨.
(٤) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج، ١٤، ص٤٧٣.
(٥) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص ٣١٧.

الشيعة بين الحثّ والمنع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام

بعد حادثة الطفّ وما جرى على الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، تحوّلت النهضة إلى رمز عند طلّاب الحرّية، وأصبح موضع القبر معلماً من معالم التسابق نحو الخلاص من العبودية والضيم والحيف الذي ألمّ ويلمّ بالمستضعفين والمحرومين.

ففي كتاب (كامل الزيارات) عن مَسْمَع بن عبد الملك كِرْدين البصري، قال: «**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مَسْمَع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان، فيمثّلون بي...**»[1]. وهذا ممّا يكشف عن أنّ السلطة الأُموية كانت تراقب القبر الشريف، وتمنع من زيارته، وإقامة المراسم عنده.

وعن ابن قولويه أيضاً، بإسناده عن الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي، قال: «**خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام مستخفياً من أهل الشام، حتّى انتهيت إلى كربلاء، فاختفيت في ناحية القرية، حتّى إذا ذهب من الليل نصفه، أقبلت نحو القبر، فلمّا دنوت منه أقبل نحوي رجل، فقال لي: انصرف مأجوراً؛ فإنّك لا تصل إليه. فرجعت فزعاً، حتّى إذا كاد يطلع الفجر أقبلت نحوه، حتّى إذا دنوت منه خرج إليّ الرجل، فقال لي: يا هذا، إنّك لا تصل إليه. فقلت له: عافاك الله، ولِمَ لا أصل إليه، وقد أقبلت من الكوفة أُريد زيارته؟ فلا تَحُلْ بيني وبينه، وأنا أخاف أن أُصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني ها هنا...**»[2].

فالخبر صريح في أنّ أهل الشام كانوا يراقبون القبر، ويتحيّنون الفرصة للانقضاض على زوّاره وقتلهم والتنكيل بهم، وإن حاول المروانيّون تجنّب التعدّي

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٠٣.
(٢) المصدر السابق: ص٢٢١، ب٣٨، ح٢.

عـلى القبر، وعلى بني هاشـم؛ معلّلين ذلـك بالاعتبار بالخطّ الأُموي السـفياني الذي ولع بسفك دماء الهاشميّين[1].

وفي مقابل هذا المنع من قبل السـلطة الأُموية نجد أئمّة أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون أهمّية زيارة القبر، والحثّ عليها، وعدم تركها، والاستمرار عليها بشتّى الطرق، وقد تقدّمت آنفاً مجموعة من الروايات الدالّة على المدّعى.

ونضيف إليها في المقام ما رواه ابن قولويه في (كامل الزيارات)، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله**»[2].

وكذلك ما أورده الشيخ الصدوق في (أماليه) عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقي، عن ابن فضّال، عن الخزّاز، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام؛ فإنّ زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على مَن أقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»[3].

وأخيراً ما رواه عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لو أنّ أحدكم حجّ دهره، ثمّ لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام، لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله، واجبة على كلّ مسلم**»[4].

ومـن هنـا؛ نقف على حقيقة مهمّة، وهي أنّ الشـيعة والموالين في امتثالهم للحثّ الـوارد عـن أئمّتهـم عليهم السلام على زيـارة المولى أبي عبـد الله عليه السلام، وعـدم اكتراثهـم بالمنع،

(١) اُنظر: قطب الدين الراوندي، سعيد بن عبد الله، الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٥٦، باب معجزات الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٨٤.

(٣) الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص١٤٣.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٣٧.

والأساليب القمعية المتّبعة من قبل السلطة الحاكمة، قد جعلوا زيارته عليه السلام رمزاً لمواجهة الطغاة، وعدّوها معلماً من معالم الكفاح ضدّ الظلم، ومناراً يستضيء به المضطهدون، ونهجاً يسير عليه الثائرون.

زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في العهد الأُموي

بعد الحادثة الأليمة والمصيبة العظيمة التي حلّت بالإسلام في واقعة كربلاء، حدثت انعطافة كبيرة في تاريخ الأُمّة، وجرت حوادث تاريخية في المجتمع الإسلامي، منها افتضاح الزيف الديني الذي كانت السلطة الأُموية تتظاهر به آنذاك، ومنها اندلاع الثورات والانتفاضات على الحاكم الظالم، ومنها التجمهر عند القبر الشريف.

وتمثّل هذه الحوادث مرحلة جديدة لزيارة القبر الشريف، والرثاء عنده؛ فقد روت كتب التاريخ أنّ أوّل مَن زار قبر الحسين عليه السلام هو عبيد الله بن الحرّ الجعفي؛ لقرب موضعه منه، فقد قصد الطفّ، ووقف على الأجداث، ونظر إلى مصارع القوم، فاستعبر باكياً، ورثى الحسين عليه السلام[1] بأشعار رائعة، تُنبئ عن ندامته على عدم نصرة الحسين عليه السلام.

ثمّ نجد أنّ أهل الكوفة قد سارعوا إلى القبر الشريف، يلتمسون التوبة، ويجدّدون العهد بالسير على نهجه، والأخذ بثأره، وهذا بالفعل ما قام به التوّابون، يذكر الطبري في تاريخه: «**لمّا انتهى سليمان بن صُرَد وأصحابه إلى قبر الحسين، نادوا صيحة واحدة: يا ربّ، إنّا قد خذلنا ابن بنت نبيّنا، فاغفر لنا ما مضى منّا، وتب علينا، إنّك أنت التوّاب الرحيم**»[2].

وهذا الدعاء عند القبر، وإعلان التوبة، وإظهار الندم، يُعدّ كلّ ذلك زيارة، كما يفهم من اللغة، وهذا ما ذكره الطريحي: «**زاره يزوره زيارة: قصده، فهو زائر**»[3].

وفي عصر الإمامين السجّاد والباقر عليهما السلام ندرك عظم المسؤولية التي تحمّلها هذان

(١) أُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٧١.
(٢) المصدر السابق: ج٤، ص٤٥٧.
(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٢١٦.

الإمامان وشيعتهما؛ إذ كانت الحوادث أكثر وحشية وإجراماً؛ فمَن عاصر تلك الحقبة شاهد عن كثب مجزرة كربلاء، وما رافقها من قتل وسبي وسلب ونهب وانتهاك للحرمات. وكذا بعد واقعة الطفّ، فقد عاشا عليهما السلام التضييق، والإقامة الجبرية، وملاحقة أصحابهما المخلصين، والتنكيل بشيعتهما، ومع هذا كلّه نجدهما يحثّان على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والحضور عند قبره، فعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام، أنّه قال: «**مَن زار الحسين ليلة النصف من شعبان صافحه روحُ أربعة وعشرين ألف نبي، كلّهم يسأل الله زيارة تلك الليلة**»[1]، إلى غير ذلك من الروايات التي ذكرنا العديد منها فيما تقدّم.

ونلاحظ من مجموع هذه الروايات أنّه كلّما اشتدّ المنع من الوصول إلى القبر الشريف من قبل السلطة الحاكمة، نجد التأكيد والترغيب في زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فالتعاهد على زيارة القبر الشريف بدأ منذ دفن الأجساد الطاهرة بعد واقعة الطفّ؛ فقد ورد في كتب التاريخ المعتبرة أنّ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد زار الحسين عليه السلام في عام (٦١) من الهجرة[2]، وهذا يدلّ على أنّ قبر الحسين عليه السلام كان واضحاً وبيّناً.

كما أنّ من الأحداث الأُخرى في زيارته عليه السلام خبر مجيء التوّابين عام (٦٣ أو ٦٤هـ)، وهذا دليل على كون القبر كان ظاهراً معروفاً في ذلك الوقت أيضاً.

أمّا في عام (٦٥ـ٦٦هـ)، فقد عمَّر المختار بن أبي عبيدة الثقفي القبر الشريف، وبنى عليه قبّة من الجصّ والآجر، وكانت على القبر سقيفةٌ، وحوله مسجد، ولهذا المسجد بابان، أحدهما نحو الجنوب، والآخر نحو الشرق، وكانت على مقربة منه شجرة السدرة التي كان المسلمون يتظلّلون بها عند قيامهم بزيارته الإمام عليه السلام[3].

(١) العلوي، محمّد بن علي، فضل زيارة الحسين: ص٧٦.
(٢) أُنظر: المفيد، محمّد بن محمّد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة: ص٤٦.
(٣) أُنظر: آل شبيب، تحسين، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢١.

زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في العهد العبّاسي

بعد القضاء على الحكم الأُموي بشقّه الثاني المرواني، جاءت الدولة العبّاسية التي كانت في بدايتها فسحة للعلويّين وشيعتهم، بالرغم من عدم الاختلاف بين الحكمين إلّا في الاسم، فهما وجهان لعملة واحدة، فسنحت الفرصة للإمام الصادق عليه السلام ليركّز كلّ جهده وحركته على تقوية الأُصول والجذور العقائدية والفكرية والعلمية.

عندما تولّى الإمام الصادق عليه السلام إمامة الشيعة، كان قد مرّ نصف قرن على حادثة كربلاء الأليمة، وطرأ على المجتمع تحوّل في غاية الوسع، وقد أفاد عليه السلام من تلك الفرصة، فجلس يحدّث أصحابه وخواصّه عن كربلاء، وعن أسرار زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ولم ترد مثل هذه التأكيدات والتوصيات بشأن زيارة أيّ إمام، حتّى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله.

فتارة تُذكر مصاحبة للإقرار بالإمامة، كما ورد عنه عليه السلام: «**زيارة الحسين عليه السلام واجبة على كلّ مَن يُقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»[1].

وتارة ثانية يُعبّر عنها بالفريضة الواجبة، كما ورد هذا التعبير في النصّ أعلاه مضافاً إلى ما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «**لو أنّ أحدكم حجّ دهره، ثمّ لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام، لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم**»[2].

وثالثة تُذكر لتعزيز الإيمان بالآخرة، وما يحصل عليه الزائر في ذلك اليوم، قال عليه السلام: «**ما من أحد يوم القيامة إلّا وهو يتمنّى أنّه من زوّار الحسين؛ لما يرى ممّا يصنع بزوّار الحسين عليه السلام من كرامتهم على الله تعالى**»[3].

وعنه عليه السلام في ذات الصدد: «**مَن أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة، وفي شفاعة**

(١) المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج٢، ص١٣٣.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٢.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٢٥٨.

محمّدﷺ، فليكن للحسين زائراً، ينالُ من الله الفضل والكرامة وحسن الثواب، ولا يسأله عن ذنب عمله في حياة الدنيا، ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج، وجبال تهامة، وزبد البحر. إنّ الحسينعليه السلام قُتل مظلوماً، مضطهداً نفسه، عطشاناً، هو وأهل بيته وأصحابه»[1].

إلى غير ذلك من الروايات التي وردت في زيارة الإمام الحسينعليه السلام، والتي ترسّخ المعارف، وتُنير العقول، وتمنح الزائر إيماناً صادقاً، وبصيرة نافذة، وسلوكاً قويماً.

وما إن استقرّ الحكم لبني العبّاس، وثبتت لهم السلطة، حتّى انقلبوا في محاربتهم للشيعة، وتشريدهم، وتقتيلهم، فكانوا أسوأ من أسلافهم بني أُمية. وتوالت الأحداث على القبر الشريف بين المنع والتعمير، ففي عهد المهدي العبّاسي أُعيد تشييد السقيفة، وكانت أُمّ المهدي تُسلّم الهبات الخيرية إلى خدم المشهد الحسيني، وتصرف المرتّبات لهم، كما جاء في (تاريخ الطبري):

«بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحير، فأُتي بهم، فنظر إليه الحسن بن راشد وقال: ما لك؟ قال: بعث إليّ هذا الرجل ـ يعني الرشيد ـ فأحضرني، ولستُ آمَنُه على نفسي. فقال له: إذا دخلت عليه فسألك، فقل له: الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع. فلمّا دخل عليه قال هذا القول، قال الرشيد: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن! أحضِرُوه، فلمّا حضر قال: ما حملك على أن صيّرت هذا الرجل في الحير؟ قال: رحم الله مَن صيّره في الحير، أمرتني أُمّ[2] موسى أن أُصيّره فيه، وأن أُجري عليه في كلّ شهر ثلاثين درهماً. فقال: ردّوه إلى الحير، وأجروا عليه ما أجرته أُمّ موسى»[3].

وفي أواخر حياة هارون أصدر أمراً بحرث الأرض التي تضمّ قبر الإمام الحسينعليه السلام، وقطع شجرة السدرة، وهدم المسجد الصغير الذي بناه المختار الثقفي، ووضع رجالاً يمنعون الناس من الوصول إلى المرقد المعظّم حتّى وفاته؛ فقد روى

(١) المصدر السابق: ص ٢٨٩.

(٢) وهي أُمّ المهدي العبّاسي.

(٣) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٢١، حوادث سنة (١٩٣هـ).

الشيخ الطوسي في (الأمالي) عن الوجيهي الجوزجاني نزيل (قومس)، وكان قاضيها، قال: «**حدّثني يحيى بن المغيرة الرازي، قال: كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين**عليه السلام**، وأمر أن تُقطع السدرة التي فيه، فقطعت. قال: فرفع جرير يديه، فقال: الله أكبر، جاءنا فيه حديث عن رسول الله**صلى الله عليه وآله**أنّه قال: لعن الله قاطع السدرة، ثلاثاً، فلم نقف على معناه حتّى الآن؛ لأنّ القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين**عليه السلام**، حتّى لا يقف الناس على قبره**»[1].

إلى أن تصل النوبة إلى عهد المتوكّل، وكان من أكثر العهود إرهاباً وقساوة على الشيعة، ففي (مقاتل الطالبيّين): «**وكان المتوكّل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتمّاً بأُمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظنّ والتهمة لهم، واتّفق له أنّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يُسيء الرأي فيهم، فحسّن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العبّاس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين**عليه السلام**، وعفّى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له، لا يجدون أحداً زاره إلّا أتوه به فقتله، أو أنهكه عقوبة**»[2].

وجاء في (تاريخ الطبري) ذكر خبر هدم القبر الشريف على يد هذا الخليفة المتهتّك، وذلك في نصّه: «**أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُحرث ويُبذر ويُسقى موضعُ قبره، وأن يُمنع الناسُ من إتيانه. فذُكِر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: مَن وجدناه عند قبره بعد ثلاثة، بعثنا به إلى المُطْبِق[3]، فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحُرِث ذلك الموضع، وزُرِع ما حواليه**»[4].

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٣٢٥.
(٢) أبو فرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيّين: ص٣٩٥.
(٣) سجن مظلم تحت الأرض.
(٤) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٩، ص١٨٥.

وجاء في كتاب (النجوم الزاهرة): «**أمر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه، وهدم ما حوله من الدور، وأن يُعمَل ذلك كلُّه مزارع، فتألّم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد شتم المتوكّل على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، دعبل وغيره**»[١].

وجاء في (تاريخ الخلفاء) للسيوطي: «**فتألّم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد**»[٢].

وقال ابن الأثير في تاريخه: «**في هذه السنة [٢٣٦هـ] أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُبذر ويُسقى موضعُ قبره، وأن يُمنع الناسُ من إتيانه، فنادى [عامل صاحب الشرطة] بالناس في تلك الناحية: مَن وجدناه عند قبره بعد ثلاثة، حبسناه في المُطْبِق، فهرب الناس، وتركوا زيارته، وخُرّب وزُرع**»[٣].

ولم يكن هذا الهدم هو الوحيد في عهد المتوكّل، بل أشارت المصادر إلى هدم القبر الشريف أربع مرّات في عهده ومدّة حكمه، كانت المرّة الأُولى عام (٢٣٣هـ)، وفي الهدم الثاني لم يطعه أحد على فعل ما يطلبه حتّى استعان باليهود، وتمّت ملاحقة الزائرين سنة (٢٣٦هـ)[٤]، أمّا المرّتان الثالثة والرابعة فقد كانتا عامي (٢٣٧هـ و٢٤٧هـ)، وقد تكرّر اسم (الديزج) اليهودي في ثلاث عمليات للهدم، لكن التخريب الثاني كان هو الأهمّ، حتّى قام أهل بغداد بكتابة عبارات على جدران مساجدها تُدين المتوكّل، وقام الشعراء بهجائه[٥]، وممّا كُتب في ذلك:[٦]

---

(١) ابن تغري بردي الأتابكي، يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج٢، ص٢٨٤.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء: ص٣٧٤.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٧، ص٥٥.

(٤) أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيّين: ص٤٧٩.

(٥) أُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء: ص ٢٥٣.

(٦) ابن شهرآشوب المازندراني، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص٢٢١. قيل: هذا الشعر لابن بسّام البغدادي، أبي الحسن علي بن محمّد بن نصر بن منصور، كاتب وأديب وشاعر عاش في العصر العبّاسي الأوّل، ولد (٢٣٠هـ)، وتوفّي (٣٠٢هـ).

تـالله إن كانـت أُميّـة قـد أتـت ... قتـلَ ابـن بنـت نبيّهـا مظلومـا
فلقـد أتـاهُ بنـو أبيـه بمثلهـا ... هـذا لعمـرك قـبره مهدومـا
أسـفوا عـلى ألّا يكونـوا شـايعوا ... في قتله فـتـتـبّـعـوه رمـيـمـا[٣]

فكانت زيارة القبر صعبة جدّاً، خصوصاً بعد هذا الهدم والتشديد، لكنّ الشيعة كانوا يقدّمون الغالي والنفيس من أجل الزيارة، ينقل أبو الفرج الإصفهاني أجواء الخوف هذه عن محمّد بن الحسين الأشناني قائلاً: «**بَعُدَ عهدي بالزيارة في تلك الأيّام خوفاً، ثمّ عَمِلت على المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجل من العطّارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكمن النهار ونسير الليل، حتّى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصفَ الليل، فسرنا بين مسلّحتين، وقد ناموا حتّى أتينا القبر، فخفي علينا، فجعلنا نشمّه، ونتحرّى جهته حتّى أتيناه، وقد قُلِع الصندوقُ الذي كان حواليه وأُحرق، وأُجري الماء عليه، فانخسف موضع اللبن، وصار كالخندق، فزرناه، وأكببنا عليه...**»[١].

وجاء في (أمالي الطوسي): «**بلغ المتوكّلَ جعفر بن المعتصم أنّ أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قوّاده، وضمّ إليه كتفاً[٢] من الجند كثيراً، ليشعب قبر الحسين عليه السلام، ويمنع الناس من زيارته، والاجتماع إلى قبره عليه السلام، فخرج القائد إلى الطفّ، وعمل بما أُمر، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومئتين، فثار أهل السواد به، واجتمعوا عليه، وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا، لما أمسك مَن بقي منّا عن زيارته. ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكّل إلى القائد بالكفّ عنهم، والمسير إلى الكوفة، مظهراً أنّ مسيره إليها في مصالح أهلها، والانكفاء إلى المصر.**

(١) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيّين: ص ٣٩٦.
(٢) هكذا في الأصل، وفي البحار: «كنفاً من الجند: أي جانباً، كناية عن الجماعة منهم». المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٩٧.

فمضى الأمر على ذلك حتّى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكّل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء؛ لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنّه قد كثر جمعهم كذلك، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمّة ممّن زار قبر الحسين، ونبش القبر، وحرث أرضه، وانقطع الناس عن الزيارة، وعمل على تتبّع آل أبي طالب والشيعة (رضي الله عنهم)، فقُتِلَ، ولم يتمّ له ما قَدّر»[1].

وعلى الرغم من بطش المتوكّل بزوّار قبر الإمام الحسين عليه السلام، وحبس الإمام الهادي عليه السلام في ثكنة بـ(سامراء)، كانت أجواء زيارة الإمام الحسين عليه السلام حاضرة؛ فقد انتدب الإمام الهادي عليه السلام داود أبا هاشم الجعفري[2] للدعاء له تحت قبّة الحسين عليه السلام، والذي يُفهم من إرسال الإمام الهادي عليه السلام لأبي هاشم الجعفري في هذا الجو المشحون بالمخاطر من قبل الدولة والسلطة، أنّ الإمام عليه السلام كان شديد الاهتمام بزيارة الإمام الحسين عليه السلام. وعندما استغرب داود أبو هاشم الجعفري من طلب الإمام المعصوم أن يدعو له، قال له الإمام الهادي عليه السلام: «**إنّ لله عزّ وجلّ بقاعاً من أرضه تسمّى المرحومات، أحبّ أن يُدعى فيها فيجيب...**»[3].

وقد بيّن ابن قولويه في (كامل الزيارات) المواضع التي يُحبّ الله تعالى أن يدعى فيها، فقد ورد عن أبي هاشم الجعفري أنّه قال: «**دخلت أنا ومحمّد بن حمزة عليه [أي: الإمام الهادي عليه السلام] نعوده وهو عليل، فقال لنا: وجّهوا قوماً إلى الحائر من مالي، فلمّا خرجنا من عنده قال لي محمّد بن حمزة: المشير يُوجّهنا إلى الحائر، وهو بمنزلة مَن في الحائر. قال: فعدت إليه فأخبرته، فقال لي: ليس هو هكذا؛ إنّ لله مواضع يُحبّ أن يُعبد فيها، وحائر الحسين عليه السلام من تلك المواضع**»[4].

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٣٢٨ـ٣٢٩.

(٢) هو أحد تلاميذ الإمام الهادي عليه السلام، وكان من تلاميذ الإمام الرضا والجواد عليهما السلام أيضاً، ومن كبار الفقهاء.

(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٥٣٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٤٥٩.

وعلى الرغم من التشديد والتنكيل بالإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وشيعتهما، كان الحثّ والاهتمام بزيارة الإمام الحسين عليه السلام واضحاً؛ ففي (المزار) للشيخ المفيد: «**قد أنفذ أبو الحسن العسكري عليه السلام زائراً عنه إلى مشهد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقال: إنّ لله تعالى مواطنَ يُحبّ أن يُدعى فيها...**»[1].

وهذا الحقبة وإن انتهت بعد قتل المتوكّل، فإنّ البديل لهذا النظام كان أشدّ عقماً؛ إذ صار أمر تعيين الخليفة منوطاً بيد الأتراك، لا بيد أهل الحلّ والعقد[2].

الخاتمة

اتّضح من خلال ما بيّناه المنزلةُ العظيمة والشرف الذي حاز عليه الإمام الحسين عليه السلام، والثواب الجزيل المترتّب على زيارته وتعاهد قبره، فصارت زيارته من أفضل الزيارات عند الشيعة وأقدسها، بعدما تحوّلت نهضته عليه السلام إلى رمز للحرّية وطلّابها، وأخذت تقضّ مضاجع الطواغيت والظلمة الذين سعوا بكلّ ما لديهم من سلطة إلى المنع من اجتماع محبّي أهل البيت عليهم السلام عند قبره؛ خوفاً من استلهام الدروس.

وقد اتّخذ منعهم هذا صوراً وأساليب وطرقاً متعدّدة، من قتل، وتنكيل، وتهجير، وقطع للطرق، وتهديم للقبر الشريف؛ فقد تناوبت السلطات والحكّام على هدمه وتخريبه، ومنع الناس من زيارته.

وفي مقابل ذلك كان موقف أهل البيت عليهم السلام يناسب تلك التحدّيات وصعوباتها، فكلّما اشتدّت الإجراءات التعسّفية المعادية، ازدادت الروايات الحاثّة على زيارة قبر المولى أبي عبد الله عليه السلام، والمبيّنة لفضيلتها بشكل أعمق وأدقّ وأوسع، بما يقوّي عزيمة شيعتهم، ويحفظ النهج الذي ضحّى من أجله أبو الأحرار؛ ليبقى عليه السلام على الرغم من كلّ المحاولات مناراً يهتدي به أنصار الحقّ والحقيقة، والمدافعون عن أهداف تلك النهضة الخالدة.

---

(١) المفيد، محمّد بن محمّد، المزار: ص ٢٠٩.

(٢) أُنظر: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٢٩.

المصادر والمراجع

١ . الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢ . الأمالي، أبو جعفر محمّد بن الحسن الشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٣ . الأمالي، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة (قم المقدّسة)، الناشر: مؤسّسة البعثة، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٤ . تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٥ . تاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبري)، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، نسخة مطبعة بريل بمدينة ليدن، ١٨٧٩م.

٦ . تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة نزار مصطفى، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ.

٧ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٨ . تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمّد بن الحسن الشيخ الطوسي، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤هـ.ش.

٩ . الخرائج والجرائح، سعيد بن هبة الله المعروف بقطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام المهدي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.
١٠ . الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
١١ . الكافي، الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ.ش.
١٢ . كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٣ . الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
١٤ . لسان العرب، أبو الفضل محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، نشر أدب الحوزة، قم المقدّسة، ١٤٠٥هـ.
١٥ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، الناشر: مرتضوي، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٢هـ.
١٦ . المزار، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: السيّد محمّد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
١٧ . معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب، القاهرة.
١٨ . مقاتل الطالبيّين، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمّد الإصفهاني، تقديم وإشراف: كاظم المظفّر، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
١٩ . مقتل الحسين عليه السلام، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي، تعليق: حسين الغفاري، المطبعة: مطبعة العلمية، قم المقدّسة.

٢٠ . مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي ابن شهرآشوب السروي المازندراني، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
٢١ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي الحنفي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

دراسات حسينية

- الإمام الحسين عليه السلام مصباح التكامل الروحي
- مفهوم القبّة المستجابّ تحتها الدعاء عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام
- قراءة في كتاب أنصار الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام مصباح التكامل الروحي والأخلاقي

الشيخ حسين أبو رويس البحراني

ماجستير في العلوم الإسلامية

أُستاذ في الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة، من البحرين

Imam al-Husayn (PBUH) - the Lantern of Spiritual Perfection

Shaykh Husayn Abu Ruwais al-Bahrani

Master's degree in Islamic Sciences

Lecturer at the Islamic Seminary, Holy City of Qom, from Bahrain

ملخّص البحث

يتناول البحث بيان الطرق التي يسلكها الإنسان من أجل الوصول إلى التكامل الروحي والأخلاقي، مبيّناً أنّ من أهمّ تلك الطرق هو طريق الإمام الحسين عليه السلام، فهو مصباح هدىً، وسفينة نجاة.

وبعد أن يتناول الباحث أهمّية البعد الروحي، بصفته الهدف الأساسي من بعثة الأنبياء والأوصياء، يستعرض النظريّات في تعاطي المسائل الروحية والأخلاقية، ثمّ يذكر عدّة مسالك لتهذيب النفس، مسلّطاً الضوء على المسلك الرابع الذي جاء بعنوان: (سفينة الحسين عليه السلام)، معدّاً إيّاه من أوضح الطرق وأسرعها في التكامل الروحي، والوصول الى الله تبارك وتعالى.

وفي نهاية المطاف يذكر بُعدين من أبعاد العلاقة بسيّد الشهداء عليه السلام، يوجبان القرب من الله تبارك وتعالى، وهما: زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والبكاء عليه، مشيراً إلى المقامات الرفيعة والدرجات العالية التي يحصل عليها الإنسان من خلال هذين البُعدين.

الكلمات المفتاحية: الزيارة، الإمام الحسين عليه السلام، التكامل الروحي، البكاء، تهذيب النفس، الأخلاق.

Abstract

The study explains the path a person takes to reach spiritual perfection, pointing out that one of the most important of these, is the path of Imam al-Husayn (PBUH), as he is a lantern of guidance and ark of salvation.

After discussing the importance of the spiritual dimension and that it is the main goal of the mission of the prophets and their successors, the researcher presents the theories in the spiritual and ethical fields. He then mentions several methods for refining the self, shedding light on the fourth method entitled "The ark of al-Husayn (PBUH)", considering it to be one of the clearest and fastest ways to achieve moral perfection and reach Allah, the Blessed, and Exalted.

At the end of the study, the researcher mentions two dimensions of the relationship with the Master of Martyrs (PBUH), which obligates closeness to Allah, the Blessed and Exalted. These are: visiting Imam al-Husayn (PBUH) and weeping for him. He then points out the high ranks and degrees a person acquires through these two dimensions.

Keywords: Ziyara, Imam al-Husayn (PBUH), spiritual perfection, crying, refining the self, ethics.

المقدّمة

من أهمّ الأسئلة الملحّة التي تراود الإنسان المؤمن هو السؤال الآتي: كيف أصل إلى الكمال المعنوي والروحي؟ وبعبارة أُخرى: كيف أصل إلى الله تبارك وتعالى؟

وفي هذا البحث نقف عند طريق يُعدّ من أهمّ طرق الوصول إلى الله تعالى، ألا وهو طريق الإمام الحسين عليه السلام؛ فهو مصباح هدىً، وسفينة نجاة، وقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: «**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده أُبي بن كعب، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً بك يا أبا عبد الله، يا زين السماوات والأرضين. قال له أُبي: وكيف يكون يا رسول الله صلى الله عليه وآله زين السماوات والأرضين أحد غيرك؟! قال: يا أُبي، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، وإنّه لمكتوب عن يمين عرش الله عزّ وجلّ: مصباح هدىً، وسفينة نجاة، وإمام خير ويمن وعزّ وفخر وعلم وذخر**»[1].

ومن هنا يرد السؤالان الآتيان: كيف نتكامل بالحسين عليه السلام؟ وما هو السبيل إلى القرب من الله تعالى عبر الاستضاءة بمصباح الهداية الحسيني؟

للإجابة عن ذلك نوقع الكلام في تمهيد ومحورين:

تمهيد في أهمّية البُعد الروحي والأخلاقي

إنّ الهدف الأساسي من بعثة الأنبياء والأوصياء هو هداية الإنسان وإرشاده إلى الحقّ عقلاً، وروحاً، وسلوكاً؛ ومن هنا جاء علم الكلام لبناء العقيدة الإلهية الصحيحة الراسخة، وجاءت الأحكام الشرعية التي تتمثّل في العبادات والمعاملات لتبيّن للإنسان ـ فرداً ومجتمعاً ـ كلّ ما يرتبط بتنظيم حياته، وجاء علم الأخلاق لتخلية الروح من الرذائل، وتحليتها بالفضائل، لتصبح نقية، صافية، متّجهة صوب الكمال الإلهي.

(١) الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٦٢.

وقد ذكر بعض علمائنا الأبرار أنّ أشرف العلوم وأفضلها هو علم الأخلاق؛ لأنّ شرف العلم يكون بشرف موضوعه، والنفس أفضل موجود أوجده الله عزّ وجلّ من بين الموجودات الأُخرى، يقول صاحب (جامع السعادات): «**لما عرفتَ أنّ الحياة الحقيقية للإنسان تتوقّف على تهذيب الأخلاق، الممكن بالمعالجات المقرّرة في هذه الصناعة، تعرف أنّها أشرف العلوم، وأنفعها؛ لأنّ شرف كلّ علم إنّما هو بشرف موضوعه أو غايته... وموضوع هذا العلم هو النفس الناطقة التي هي حقيقة الإنسان ولبّه**»[1].

وعلم الأخلاق ـ كما تقدّم ـ هو ذاك العلم الذي يجعل الفرد منّا متخلّياً عن الرذائل، ومتحلّياً بالفضائل، ولربّما تكون آية الكرسي مسندةً لهذا الكلام، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، فما لم تحصل التخلية لن تحصل التحلية؛ إذ إنّ الذي يقوم ببعض الواجبات الأخلاقية دون أن يُخلي نفسه من الرذائل، يكون كقبر باطنه جيفة عفنة، وظاهره زينة عطرة.

المحور الأوّل: النظريات في تعاطي المسائل الروحية والأخلاقية

هناك ثلاث نظريات في كيفية تعاطي المسائل الروحية والأخلاقية[3]:

النظرية الأُولى: جهاد النفس

إنّ تهذيب النفس نوع من الجهاد والمحاربة لأعدائها الذين يسعون إلى الإيقاع بالإنسان في الذنوب والمعاصي والموبقات، ولعلّ أصل هذه النظرية مستلّ من حديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عندما خاطب مجموعة من المجاهدين قد رجعوا من الغزو، قائلاً: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر. فقيل: يا رسول الله، ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس**»[4].

(١) النراقي، محمّد مهدي، جامع السعادات: ج١، ص٤٩.
(٢) البقرة: الآية ٢٥٦.
(٣) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأخلاق في القرآن: ج١، ص١٠٣.
(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٥، ص١٦٣.

النظرية الثانية: الطبّ الروحاني

مفادها: أنّ القلب كالجسم، قد يكون سليماً، وقد يكون عليلاً، فالقلب السليم هو القلب النقي المحلّى بالفضائل، والقلب السقيم هو القلب المبتلى بالذنوب والرذائل، فلا بدّ من علاجه بالتوبة النصوح. وهناك جملة من النصوص الدينية التي تدلّ على هذه النظرية، منها:

١. قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١]؛ وذلك بسبب إصرارهم على النفاق.

وفي قبال ذلك أشار القرآن الكريم إلى أصحاب القلوب السليمة التي لم يسكنها إلّا الله تعالى؛ حيث قال عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

٢. وما ورد في وصف الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في (نهج البلاغة): «**طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وآذان صمّ، وألسنة بكم، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة**»[٣].

٣. وما ورد عنه عليه السلام أيضاً: «**إنّ من البلاء الفاقة، وأشدّ من ذلك مرض البدن، وأشدّ من ذلك مرض القلب**»[٤].

النظرية الثالثة: السير والسلوك

إنّ الإنسان ـ وفقاً لهذه النظرية ـ مسافر، ينطلق من نقطة العدم، ويتحرّك في سلوكه إلى لقاء الله تعالى، والقرب من الذات المقدّسة اللامتناهية. وتدعم هذه النظرية جملة من الشواهد القرآنية والروائية، منها:

---

(١) البقرة: الآية ١٠.

(٢) الشعراء: الآية ٨٩.

(٣) محمّد عبده، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٠٨.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص١٤٦.

١. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[١].

٢. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾[٢].

٣. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[٣].

٤. وما جاء من خطبة الإمام علي عليه السلام في (نهج البلاغة): «...**فإنّ الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خُلقت لكم مجازاً؛ لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار**»[٤].

النظرية المختارة

بحسب النظر القاصر لا يوجد تنافٍ أو تباين بين هذه النظريات؛ فالعبد يسير في طريق القرب من الله (السير والسلوك)، وفي هذا الطريق لا بدّ من جهاد النفس، وجهاد النفس يتمّ عبر وقايتها، أو علاجها إن ابتُليت ببعض الأمراض الأخلاقية.

وهنا تساؤل يقول: هل يلزم وجود مرشد في هذا الطريق؟

وجوابه: أنّ هناك مَن يعتقد بأنّ السالك لن يصل إلى درجات القرب الإلهي إلّا مع وجود أُستاذ يأخذ بيده، ولكنّنا مع ذلك نجد أنّ بعض مَن سلك هذا الطريق قد ضلّ وابتعد كثيراً؛ ولذا يُوصي كثير من علمائنا ألّا يختار العبد طريقاً غير مأمون في السير والسلوك.

فهناك مَن يتلبّس بلباس العرفان، أو علم الطاقة، أو علم الجفر، فيلتفّ حوله جمع من الناس الذين يسعون إلى بناء أنفسهم، أو التخلّص من الضغوط النفسية، أو معالجة بعض القضايا الأخلاقية، وبينا هم كذلك إذ يجدون أنفسهم قد ضلّوا

(١) البقرة: الآية١٥٦.
(٢) العلق: الآية٨.
(٣) الانشقاق: الآية٦.
(٤) محمّد عبده، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص١٥.

الطريق، وسقطوا في وادٍ سحيق؛ من هنا حينما سُئل بعض علمائنا عن سبيل السير والسلوك، قال: «**عليكم بالرسالة العملية، ومفاتيح الجنان**»[1].

المحور الثاني: مسالك تهذيب النفس

المراد بمسلك تهذيب النفس: الطريقة والأُسلوب المتّبع في تطهير النفس من الذنوب والرذائل، وتحليتها بالمحاسن والفضائل، فهناك جملة من المسالك التي ذكرها الأعلام لتهذيب النفس[2]، تشترك في أنّها تهدف إلى وصول النفس إلى حالة التزكية، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، ومن تلك المسالك:

المسلك الأوّل: التهذيب لغاية دنيوية صالحة

ومعناه: أن يسعى الإنسان إلى ترك الرذائل والتحلّي بالفضائل؛ لأجل المكتسبات الدنيوية المحلّلة، كالجاه والمال والذكر الحسن، فهذه المكتسبات توجد في نفسه الدافع والحركة نحو الإصلاح والتزكية؛ ولذا ترى صاحب هذا المسلك يتواضع في سلوكه، ويكرم الفقراء، ويطعم المساكين، ويتحلّم عن الأدنين؛ لأجل تحقيق مكانة اجتماعية طيّبة، أو سمعة حسنة.

علماً بأنّ هذا المسلك هو أقلّ المسالك كمالاً وعلوّاً في السير إلى الله تعالى؛ وذلك لأنّ الجزاء والمكسب الذي سيحصل عليه الإنسان له خصوصيّتان:

الأُولى: أنّه جزاء دنيوي، منقطع، ومشتمل على نقص وضعف وقصور، إلّا أنّ الإنسان لا يلتفت إلى ذلك؛ لشدّة تعلّقه بالدنيا.

---

(١) المعروف عن الشيخ محمّد تقي بهجت أنّه كان يقول لطلاب السير والسلوك إلى الله تعالى: «عليكم بالرسالة العملية، ومفاتيح الجنان».

(٢) ممّن أشار إلى ذلك العلّامة الطباطبائي. اُنظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٣٥٥.

(٣) الشمس: الآية ٩.

الأُخرى: أنّ الجزاء الدنيوي اعتباري لا حقيقي، فالمال والسمعة والذكر الحسن، كلُّها أُمور اعتبارية، ليست لها قيمة حقيقية.

ولهذا يقول صاحب الميزان: «**وهذا هو المسلك المعهود الذي رُتّب عليه علمُ الأخلاق، والمأثور من بحث الأقدمين من يونان وغيرهم فيه. لم يستعمل القرآن هذا المسلك الذي بناؤه على انتخاب الممدوح عند عامّة الناس عن المذموم عندهم، والأخذ بما يستحسنه الاجتماع، وترك ما يستقبحه**»[1].

فالإسلام وإن كانت عنده عطاءات وفيوضات دنيوية، فإنّها لا تُقاس بحجم العطاءات والفيوضات الأُخروية؛ لأنّ ما في الدنيا زائل فانٍ، وما في الآخرة باقٍ مستمرّ، وما الدنيا إلّا محطّة يعبر منها الإنسان إلى دار الخلود والبقاء، بل العطاءات الدنيوية ـ بصفتها مرتبطة بعالم المادّة ـ هي عطاءات محدودة ناقصة من هذه الجهة، في حين العطاءات الأُخروية لا حدّ لها ولا حصر كمّاً وكيفاً.

من هنا؛ ركّز الإسلام تعاليمه وتشريعاته فيما يكون باقياً، وما له آثار في عالم الآخرة، ألا وهو باطن العمل وجوهره، فباطن الصلاة هو حضور القلب، وجوهر الصيام هو التقوى، وهكذا سائر التكاليف الإلهية؛ ولذا لا بدّ لنا أن نتوجّه إلى أنفسنا في مسيرنا إلى الله تعالى، فقد يعتقد الإنسان أنّه يسير على الطريق الصحيح، ولكنّه إنّما يعمل لأجل الدنيا، واكتشاف ذلك يحتاج إلى مراجعة دقيقة للنفس، ومحاسبة جادّة.

المسلك الثاني: التهذيب لغاية أُخروية

وهو المسلك القائم على تهذيب النفس وتصفيتها لأجل قطف الثمار الأُخروية، من دخول الجنّة، والابتعاد عن النار، قال العلّامة الطباطبائي: «**المسلك الثاني: الغايات الأُخروية، وقد كثر ذكرها في كلامه تعالى، كقوله سبحانه:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٣٥٥.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]، **وقوله تعالى**: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، **وقوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، **وقوله تعالى**: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[4]، **وأمثالها كثيرة على اختلاف فنونها**»[5].

وهذا المسلك وإن كان يبتعد كثيراً عن المسلك الأوّل في صلاح الهدف والغاية، فإنّه لا يبلغ بالعبد إلى أعلى مراتب الكمال والقرب الإلهي؛ إذ إنّه بمنزلة التجارة والعوض والمعوّض.

والجزاء في هذا المسلك له خصوصيّتان:

الأُولى: أنّه لا يُصلح ظاهر العمل فحسب، بل باطنه أيضاً، فالله (سبحانه) هو صاحب الجزاء، وهو الرقيب على عبده في كلّ صغيرة وكبيرة، قال تبارك وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[6].

الأُخرى: أنّ الجزاء المترقّب جزاء دائم لا زائل، فمن يعبد ربّه لأجل دخول الجنّة، يندفع ويتحرّك معتقداً أنّ الحياة في الجنّة خالدة، فهو يرجّح الخلود في الجنّة على الخلود في النار.

من هنا؛ اعتمد الأنبياء عليهم السلام هذا المسلك في هداية الناس وإرشادهم، قال العلّامة الطباطبائي قدس سره: «**وهذا المسلك ـ أعني: الطريقة الثانية في إصلاح الأخلاق ـ طريقة الأنبياء، ومنه شيء كثير في القرآن، وفيما ينقل إلينا من الكتب السماوية**»[7]. ويشهد على

(١) التوبة: الآية١١١.
(٢) الزمر: الآية١٠.
(٣) إبراهيم: الآية٢٢.
(٤) البقرة: الآية٢٥٧.
(٥) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٣٥٦.
(٦) سورة (ق): الآية١٨.
(٧) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٣٥٨.

ذلك قوله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾[1]، وكذلك ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنّه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلّا الجنّة، فلا تبيعوها إلّا بها**»[2].

المسلك الثالث: التهذيب لذات الحبّ الإلهي

من أهمّ مسالك السير إلى الله مسلك (الحبّ الإلهي)، فحبّ الله حالة شعورية وجدانية يعيشها العبد تجاه ربّه. ولهذه الحالة عدّة آثار:

منها: التعلّق بالمحبوب والانجذاب إليه، بحيث تجد العبد لا يفكّر إلّا فيه، ولا يميل إلى سواه، ولا يلهج إلّا بذكره، كما جاء في دعاء كميل: «**واجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي بحبّك متيّماً**»[3].

ومنها: القيام بكلّ ما يرضي المحبوب؛ ولذا يسعى المحبّ ألّا يُسخط محبوبه؛ فقد جاء في مناجاة مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إلهي، لا تغضب عليّ؛ فلست أقوى لغضبك، ولا تسخط عليّ؛ فلست أقوم لسخطك**»[4].

ومنها: الرضا بكلّ ما يصدر عن المحبوب، وهذا من أرفع المقامات؛ فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه سأل جبرئيل قائلاً: «...**فما تفسير الرضا؟ قال: الراضي لا يسخط على سيّده، أصاب من الدنيا أم لم يُصب، ولا يرضى لنفسه باليسير من العمل**»[5].

وبذلك تعرف أنّ الحبّ الإلهي من أهمّ ما على العبد أن يسعى إلى بنائه في علاقته بالله تعالى؛ لأنّه يوصل إلى مقام القرب الإلهي، وقد جاء في دعاء عرفة: «**عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً**»[6].

---

(١) التوبة: الآية ١١١.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٣.
(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٨٥٠.
(٤) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩١، ص١٠٨.
(٥) المصدر السابق: ج٧٦، ص٣٧٣.
(٦) المصدر السابق: ج٩٥، ص٢٢٦.

المسلك الرابع: سفينة الحسين عليه السلام

لا ريب في أنّ من أهمّ الطرق وأفضلها وأوضحها وأسرعها في الارتقاء بالمستوى الأخلاقي، والسير إلى الله تعالى، هو طريق أهل البيت عليهم السلام، فهم الأدلّاء على الله، وبهم يُعرف (سبحانه)، وهم المنهج القويم في السلوك والسير؛ فقد ورد في الزيارة الجامعة: «**مَن أراد الله بدأ بكم**»(١)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا**»(٢).

إنّ من أهمّ المراحل التي يجب على السالك إلى الله أن يبلغها هو التسليم والعبودية لله تبارك وتعالى، وذلك بأن تكون كلّ حركاته وكلّ كدحه خاضعاً للربوبية الإلهية، وهذا لا يحصل إلّا بعد التسليم لأولياء الله والأدلّاء عليه، وهذه مرتبة عظيمة أخفق فيها جملة من السالكين، فها هو ذا إبليس قد أخفق حين امتُحِن في هذا المقام، على الرغم من إيمانه بالله وبالمعاد؛ إذ ورد في القرآن الكريم: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٣).

وممّا يدلّ على أنّ معرفة الله والوصول إليه لا تتمّ إلّا بالاتّصال بأولياء الله ما نقله الشيخ الكليني بسنده عن أبي حمزة، قال: «**قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنّما يعبد الله مَن يعرف الله، فأمّا مَن لا يعرف الله، فإنّما يعبده هكذا ضلالاً، قلتُ: جعلت فداك، فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عزّ وجلّ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة علي عليه السلام، والائتمام به وبأئمّة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم. هكذا يعرف الله عزّ وجلّ**»(٤).

نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام جعل موالاة المعصوم واتّباعه جزءاً وركناً من معرفة الله؛ لأنّ الوصول إلى معرفة الله تعالى لا يتمّ إلّا عبر هذا الاتّصال، والاتّباع، والموالاة،

(١) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٠٩.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٨، ص٣٨٨.
(٣) الأعراف: الآية ١٤.
(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٨٠.

إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد حُبي بدرجة خاصّة في سير السالك إلى الله؛ كرامةً له مِن الله، وهذا ما يشير إليه العالم الجليل الشيخ جعفر التستري رحمه الله بقوله: «**إنّي أمعنت النظر في الوسائل المتعلّقة بالأئمّة عليهم السلام، فرأيت أجلّها فائدة، وأعظمها مثوبة، وأعمّها نفعاً، وأرفعها درجة، وأسهلها حصولاً، وأكثرها طرقاً، وأيسرها شروطاً، وأخفّها مؤونة، وأعمّها معونة، ما يتعلّق بسيّد شباب أهل الجنّة، ووالد الأئمّة، السيّد المظلوم، أبي عبد الله الحسين عليه السلام.**

فرأيت له خصوصية في التوسّل إلى الله قد تفرّد بها، وامتاز في ذلك حتّى عمّن هو أفضل منه؛ فإنّ للتفاوت في الفضيلة مقاماً، ولوحدتهم مقاماً، نورهم وطينتهم مقام، والخصوصيات مقامٌ آخر. فرأيت في الحسين عليه السلام خصوصية في الوسيلة إلى الله اتّصف بسببها بأنّه بالخصوص باب من أبواب الجنّة، وسفينة للنجاة، ومصباح للهدى.

فالنبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام كلّهم أبواب الجنان، لكنّ باب الحسين أوسع، وكلّهم سفن النجاة، ولكنّ سفينة الحسين مجراها في اللّجج الغامرة أسرع، ومرساها على السواحل المنجية أيسر، وكلّهم مصابيح الهدى، لكنّ الاستضاءة بنور الحسين أكثر وأوسع، وكلّهم كهوف حصينة، لكنّ منهاج كهف الحسين أسمح وأسهل، فعند ذلك خاطبت النفس وشركاءها، فقلت: هلمّوا إلى هذه الأبواب الحسينية، فـ ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[1]، وإلى مرساة هذه السفينة الحسينية، فـ ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2]»[3].

وهذا الكلام له شواهد روائية كثيرة تدلّل على أنّ اتّخاذ الحسين عليه السلام سبيلاً وطريقاً إلى الله من أسرع الطرق، وفي المقام سأذكر بُعدين من أبعاد العلاقة بسيّد الشهداء عليه السلام، تلك العلاقة التي توجب القرب من الله تبارك تعالى:

---

(١) الحجر: الآية ٤٦.

(٢) هود: الآية ٤١.

(٣) التستري، جعفر، الخصائص الحسينية: ص١٠.

البعد الأوّل: التقرّب إلى الله سبحانه بزيارة الإمام الحسينعليه السلام

إذا تأمّلنا في روايات زيارة سيّد الشهداءعليه السلام، فسنجد أنّ فيها مقامات رفيعة للزائرين في ارتقاء أقصى درجات الكمال، والعروج إلى أعلى الرتب القدسية، كما يعبّر بعض العلماء: (الزيارة باب معراج للأولياء والصالحين)، فالزيارة كالصلاة في كونها معراج المؤمنين والسالكين إلى الله تبارك وتعالى. ولنقف هنا على بعض تلكم المقامات ممّا جاء في كتاب (كامل الزيارات):

المقام الأوّل: مَن زارهعليه السلام **كمَن زار الله في عرشه**

ورد عن زيد الشحّام أنّه قال: «**قلت لأبي عبد الله**عليه السلام: **ما لمَن زار قبر الحسين**عليه السلام؟ **قال: كان كمَن زار الله في عرشه**»[1]. فما معنى زيارة الله في عرشه؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال نذكر مقدّمتين:

المقدّمة الأُولى: عدم تجسيد الذات الإلهية

من الثوابت العقائدية نفي الجسمية عن الذات الإلهية المقدّسة، وبناء على ذلك لا يمكن حمل (زيارة الله) على المعنى المادّي، حالها كحال قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[3]؛ إذ لا يراد باليد والوجه معناهما الحسّي، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

المقدّمة الثانية: المراد بالعرش

أمّا في اللغة، فقد ذكر بعض اللغويّين أنّه سرير الملك[4]، وذكر بعضهم أنّه ما

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٥٩.
(٢) الفتح: الآية١٠.
(٣) القصص: الآية٨٨.
(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ص٢٤٩.

يُستظلّ به، والعزّ، وقوام الأمر، وركن الشيء[1]، قال الراغب في مفرداته: «**العرش في الأصل: شيء مسقّف، وجمعه عروش، قال تعالى:** ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[2]... **والعرش: شبه هودج للمرأة، شبيهاً في الهيئة بعرش الكَرْم، وعرّشتُ البئر: جعلت له عريشاً، وسُمّي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوّه... وعرش الله ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامّة؛ فإنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له ـ تعالى عن ذلك ـ لا محمولاً، والله تعالى يقول:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[3]. **وقال قوم: هو الفلك الأعلى، والكرسي: فلك الكواكب، واستدلّ بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ما السماوات السبع والأرضون السبع في جنب الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي عند العرش كذلك**»[4].

بينما استظهر بعض الأعاظم أنّ المعنى اللغوي للعرش هو: ما له سقف، وللعرش إطلاقات أُخرى قريبة من هذا المعنى[5]؛ فقد أُطلق على:

١. السقف نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[6].

٢. وعلى الأسرّة الكبيرة المرتفعة، كأسرّة الملوك، ومنه قوله تعالى في قصّة سليمان: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾[7].

---

(١) الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص٢٧٨.
(٢) البقرة: الآية٢٥٩.
(٣) فاطر: الآية٤١.
(٤) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن: ص٥٥٨.
(٥) اُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٥، ص٧٣.
(٦) البقرة: الآية٢٥٩.
(٧) النمل: الآية٣٨.

٣. وعلى الأسقف التي يقيمها المزارعون لحفظ بعض الأشجار، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ﴾[١].

وقد استُعمل العرش أيضاً بمعنى الملك، بل يظهر من بعض أنّه موضوع لذلك[٢]، وفي بيان سبب هذا الاستعمال قال صاحب الميزان: «**وقد استقرّت العادة منذ القديم أن يختصّ العظماء من ولاة الناس وحكّامهم ومصادر أُمورهم من المجلس بما يختصّ بهم، ويتميّزون به عن غيرهم، كالبساط والمتّكأ، حتّى آل الأمر إلى إيجاد السرر والتخوت، فاتُّخِذ للملك ما يُسمّى عرشاً، وهو أعظم وأرفع وأخصّ بالملك، والكرسي يعمّه وغيره. واستدعى التداول والتلازم أن يعرف الملك بالعرش، كما كان العرش يعرف بالملك في أوّل الأمر، فصار العرش حاملاً لمعنى الملك، ممثّلاً لمقام السلطنة، إليه يرجع وينتهي، وفيه تتوحّد أزمّة المملكة في تدبير أُمورها، وإدارة شؤونها**»[٣].

هذا في اللغة والاستعمالات العرفية، وأمّا (عرش الله) فمن معانيه:

١ـ الملك، «**فعرش الله تعالى هو ملكه، واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك**»[٤].

٢ـ «**بعض الملك، وهو عرشٌ خلَقَه اللهُ تعالى في السماء السابعة، وتعبّد الملائكة عليهم السلام بحمله وتعظيمه، كما خلق (سبحانه) بيتاً في الأرض، وأمر البشر بقصده وزيارته، والحجّ إليه، وتعظيمه**»[٥].

وبعد هاتين المقدّمتين نرجع إلى السؤال: ما معنى أنّ زائر الحسين عليه السلام يزور الله في عرشه؟ وفي مقام الجواب ذكر علماؤنا الأبرار عدّة وجوه، نذكر منها:

أوّلاً: ما يظهر من الشيخ الصدوق رحمه الله، من أنّ هذا التعبير لا يُراد به معناه

(١) الأنعام: الآية١٤١.
(٢) أُنظر: المفيد، محمّد بن محمّد، تصحيح الاعتقادات: ص٧٥.
(٣) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٨، ص١٤٨.
(٤) المفيد، محمّد بن محمّد، تصحيح الاعتقادات: ص٧٦.
(٥) المصدر السابق: ص٧٧.

الجسمي الحسّي، بل هو من قبيل قولنا: نحجّ بيت الله، ونزور الله، قال رحمه الله: «**معنى قوله عليه السلام: كان كمَن زار الله تعالى في عرشه: ليس بتشبيه؛ لأنّ الملائكة تزور العرش، وتلوذ به، وتطوف حوله، وتقول: نزور الله في عرشه كما يقول الناس: نحجّ بيت الله، ونزور الله؛ لأنّ الله تعالى ليس بموصوف بمكان، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً**»[1].

فلعلّ مراده رحمه الله أنّ موضع قبر الإمام الحسين عليه السلام له قدسية خاصّة، ومنزلة رفيعة، بحيث إنّ زائره يُنسب إلى الله تعالى نسبة إضافية تشريفية، كما ينسب إليه حجّاج البيت الحرام، والطائفون بالعرش، فالمحضر الحسيني المبارك محلّ لتكامل الأرواح، وموضع من مواضع التقرّب إلى الله تعالى.

ثانياً: ما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في (التهذيب) من أنّ المراد هو: المماثلة في الأجر والثواب، فأجر زائر الإمام الحسين عليه السلام في يوم القيامة كأجر مَن رفعه الله إلى العرش الذي تحفّه الملائكة، قال: «...**وهو أنّ لزائره عليه السلام من المثوبة والأجر العظيم، والتبجيل في يوم القيامة، كمَن رفعه الله إلى سمائه، وأدناه من عرشه الذي تحمله الملائكة، وأراه من خاصّة ملائكته ما يكون به توكيد كرامته، وليس على ما تظنّه العامّة من مقتضى التشبيه**»[2].

ويقرب منه ما ذكر العلّامة المجلسي رحمه الله في (البحار): «**أي: عبد الله هناك، أو لاقى الأنبياء والأوصياء هناك؛ فإنّ زيارتهم كزيارة الله، أو يحصل له مرتبة من القرب كمَن صعد عرش ملك وزاره**»[3].

المقام الثاني: تدوين اسم الزائر في علّيين

من المقامات التي ذُكرت لزائر الإمام الحسين عليه السلام في الروايات أنّ الله تعالى يكتبه

(١) الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٩١.
(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤ـ٥. وأُنظر: الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٤١، ص٣٣٥.
(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٣٨، ص٧٠.

في أعلى علّيين؛ فقد ورد عن عُيَيْنة بيّاع القصب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه، كتبه الله في أعلى علّيين**»[1]، فما هو المقصود بهذا المقام؟ وما هو ارتباطه بالتكامل الروحي؟

(عِلّيّون) جمع (عِلّي)، وهو مشتقّ من العلو، يُقال: «**علا في المكان يعلو علوّاً**»[2]، وهو علوّ على علوّ مضاعف، والمقصود به في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[3]: الدرجات العالية، ومنازل القرب من الله تعالى.

وفي بعض الروايات أنّ (علّيين) موضعٌ خاصّ، منه خُلِق أهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك ما روي عن أبي حمزة الثمالي، قال: «**سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله خلقنا من أعلى علّيين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا؛ لأنّها خلقت ممّا خلقنا، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ * يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[4]، وخلق عدوّنا من سجّين**»[5].

فالمتحصّل: أنّ علّيين موضع لا يكون فيه إلّا أصحاب الدرجات العالية، والمقامات الرفيعة، وزائر الإمام الحسين عليه السلام عنده المقتضي لبلوغ هذا المقام العظيم؛ بإخلاصه وصدقه.

المقام الثالث: حطّ الذنوب

إنّ أوّل خطوة من خطوات السير والسلوك هي (التخلية)، وذلك بأن يصفّي الإنسان نفسه من الذنوب والمعاصي والرذائل، وهي مرحلة صعبة، خصوصاً عند مَن تكاثرت ذنوبه، وتزايدت عيوبه.

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٧٩.
(٢) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٦، ص٢٤٣٤.
(٣) المطفّفين: الآية ١٨.
(٤) المطفّفين: الآيات ١٨ـ٢١.
(٥) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٩٠.

ومن أبرز الطرق وأسرعها مساهمة في تحقيق هذا الهدف الكبير، هي زيارة الحسين عليه السلام؛ فالزائر حينما يتوجّه بعقله وقلبه ومشاعره إلى الإمام الحسين عليه السلام، معلناً توبته النصوح، وأوبته الحقيقية، يضع وراءه الذنوب والمعاصي، وهو يتّجه إلى زيارة سفينة النجاة، ومصباح الهدى عليه السلام، ومن شواهد ذلك ما جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنّ زائر الحسين (صلوات الله عليه) جعل ذنوبه جسراً على باب داره، ثمّ عبرها، كما يُخلّف أحدُكم الجسرَ وراءه إذا عبر**»[1].

المقام الرابع: مناجاة الله سبحانه

ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوة مغفرة من ذنوبه، ثمّ لم يزل يُقدّس بكلّ خطوة حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله تعالى، فقال: عبدي، سلني أعطِك، أُدعني أجبك، اطلب منّي أعطِك، سلني حاجة أقضِها لك، قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: وحقّ على الله أن يعطي ما بذل**»[2].

يذكر العلماء أنّ المناجاة تعني نوعاً خاصّاً من التكلّم، وهو التكلّم الذي لا يسمعه غير المخاطَب، فناجيته بمعنى: سارَرْته[3]، فمعنى مناجاة الله لعبده: أنّه يكلّمه بكلام خاصّ به، لا بنحو الكلام المعهود، بل من قبيل الإلهام والتحديث القلبي؛ ولهذا نقرأ في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم**»[4]، وهذا الحديث الإلهي لا يكون إلاّ لمَن جعل الله تعالى غايته ومقصده وهدفه، دون مَن سواه.

ومن كرم الله عزّ وجلّ ولطفه وعنايته بزائر الحسين عليه السلام أنّه (يناجيه)، وهذا يدلّ على

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٨٦.
(٢) المصدر السابق: ص٢٥٤.
(٣) أُنظر: الفيّومي، أحمد بن محمّد، المصباح المنير: ج٢، ص٥٩٥.
(٤) نهج البلاغة: ج٢، ص٢١١.

أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو وسيلة للزائر في القرب من الله تعالى، ويمثّل هذا القرب من الذات الإلهية هدفاً للزائر وغاية ومقصداً، ممّا يؤهّله لمناجاة الله تعالى الخاصّة.

المقام الخامس: العروج إلى الله

نقف في هذا المقام عند واحدة من أهمّ روايات زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، تُبرز جانب العروج إلى الله، والوصول إلى مقام القرب الإلهي، فعن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنّ لله ملائكة موكّلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرجل بزيارته، أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطا محوها، ثمّ إذا خطا ضاعفوا حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتّى توجب له الجنّة، ثمّ اكتنفوه وقدّسوه، وينادون ملائكةَ السماء: أن قدّسوا زوّار حبيب حبيب الله، فإذا اغتسلوا ناداهم محمّد صلى الله عليه وآله: يا وفد الله، أبشروا بمرافقتي في الجنّة، ثمّ ناداهم أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ضامن لقضاء حوائجكم، ودفع البلاء عنكم في الدنيا والآخرة. ثمّ اكتنفوهم عن أيمانهم وعن شمائلهم، حتّى ينصرفوا إلى أهاليهم**»[1].

هذه الرواية تكشف عن عدّة محطّات لزائر الحسين عليه السلام في سيره إلى الله تعالى:

المحطّة الأُولى: التخلية؛ فزائر الحسين عليه السلام عندما يعزم على الزيارة يعطي الله الملائكةَ ذنوبَه، وما إن يبدأ بخطواته حتى يمسحوها من سجلّه، «**إنّ لله ملائكة موكّلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرجل بزيارته أعطاهم ذنوبه، فإذا خطا محوها**».

تنبيه: من المهمّ الإشارة إلى ما يذكره علماؤنا الأبرار من أنّ هذه المحطّة وما سيأتي من المحطّات كلّها بنحو المقتضي، وتحتاج من العبد إلى رفع الموانع، وتحقيق الشروط؛ لكي يتحصّل هذا الأثر.

المحطّة الثانية: التحلية، فكلّما خطا الزائر نحو قبر سيّد الشهداء عليه السلام، وهو على حسن نيّة، وطهارة قلب، ضاعفت الملائكة حسناته، إلى أن توجب له الجنّة؛ إذ قال

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٨٧.

الإمام عليه السلام: «**فما تزال حسناته تضاعف حتّى توجب له الجنّة**»، وهل هناك أعظم من الجنّة جزاءً؟! فقد جاء في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الجنّة أفضل غاية**»[1].

المحطّة الثالثة: الاكتناف والتقديس، فكلّما تقدّم الزائر في خطواته نحو قبر سيّده ومولاه عليه السلام، ازداد قرباً من الله تعالى، فبعد أن تُوجَب له الجنّة تتوقّف درجات الكمال، فتحيط به الملائكة، ويظلّلونه برحمة الله، ويقدّسونه، والتقديس له درجتان كما أفاد بعض الأعلام:

الأُولى: التطهير ومحو الذنوب، وقد تقدّمت في المحطّة الأُولى.

والأُخرى: إفاضة نوريّة، يزداد من خلالها العبد قرباً من الله (سبحانه)، وتتجلّى أنواره، وهذا المعنى هو المقصود في هذا المقطع: «**ثمّ اكتنفوه وقدّسوه، وينادون ملائكة السماء: أن قدّسوا زوّار حبيب حبيب الله**».

المحطّة الرابعة: مرافقة النبي صلى الله عليه وآله في الجنّة؛ فما زال الزائر محاطاً بالعناية الإلهية، متدرّجاً في مدارج الكمال، حتّى يغتسل، فيصل إلى مقام يكون فيه مرافقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، فيخاطبه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا وفد الله، أبشروا بمرافقتي في الجنّة**».

يا لها من منزلة رفيعة! ويا له من مقام عظيم! أن يرافق العبد في الجنّة أعظم مخلوق، وأقرب عبد إلى الله، وأشرف كائن أوجده الله؛ فإنّنا نخاطب في دعاء الندبة المبارك إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف: «**يابن مَن دنا فتدلّى، فكان قاب قوسين أو أدنى، دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى**»[2]. وهناك رواية أُخرى عن أبي عبد الله عليه السلام تؤيّد هذا المعنى، قال: «**مَن أراد أن يكون في جوار نبيّه وجوار علي وفاطمة، فلا يدع زيارة الحسين عليهم السلام**»[3].

المحطّة الخامسة: أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام ضامناً لقضاء الحوائج، فالزائر يستمرّ في قربه من باب الله حتّى يأتيه النداء من أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أنا ضامن**

(١) الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٥١٠.
(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٢٥.

لقضاء حوائجكم، ودفع البلاء عنكم في الدنيا والآخرة»، وهنا عدّة مقامات يحظى بها الزائر:

أوّلها: أن يكون محلاً لنداء أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانيها: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يضمن له قضاء الحوائج.

ثالثها: أنّ أمير المؤمنين يضمن له دفع البلاء عنه في الدنيا والآخرة.

المحطّة السادسة: إحاطة الرحمة؛ حيث يبقى الزائر في كنف الرحمة الإلهية، والرعاية الربّانية، حتّى يرجع إلى داره: «**ثمّ اكتنفوهم عن أيمانهم وعن شمائلهم، حتّى ينصرفوا إلى أهاليهم**».

البُعد الآخر: التقرّب إلى الله سبحانه بالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام

لا شكّ أنّ البكاء على الحسين عليه السلام سبب لبلوغ المقامات العالية في القرب من الله سبحانه وتعالى، ولكنّنا سنركّز الكلام في بُعد مهمّ، ألا وهو أنّ البكاء على الحسين عليه السلام من أفضل العبادات التي تقرّب العبد من الله، وتوصله إلى مقامات إلهية عالية، وممّا يدلّ على ذلك ما نقل من أحوال إمامنا السجّاد عليه السلام في بكائه على أبيه الحسين عليه السلام، ومنها ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

«**بكى علي بن الحسين على أبيه حسين[1] بن علي عليهما السلام عشرين سنة، أو أربعين سنة[2]، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين، حتّى قال له مولى له: جُعلت فداك، يابن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون مِن الهالِكين. قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3]، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة لذلك**»[4].

(١) وفي بعض نسخ الكتاب (الحسين).

(٢) الظاهر أنّ الترديد من الراوي.

(٣) يوسف: الآية٨٦.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢١٣.

فإن قلت: كيف دلّت هذه الرواية ـ وما في معناها ـ على أنّ البكاء من أسباب القرب من الله تعالى؟ قلتُ في الجواب: يمكن ذكر منبّهين على ذلك:

المنبّه الأوّل: أنّ المعصومين عليهم السلام لا يشغلهم شيء عن ذكر الله، فكلّ حياتهم ذكر في ذكر؛ ولهذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه**»(١)، فإذا كان الحال كذلك، فإنّ انشغال المعصومين عليهم السلام بالبكاء على الحسين عليه السلام إنّما هو في سبيل الله، وهو عبادة من العبادات، فبكاء الأنبياء، وبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة عليها السلام، وبقيّة المعصومين كإمامنا زين العابدين عليه السلام، كلّه من موجبات التقرّب إلى الله تعالى.

المنبّه الثاني: أنّ بكاء إمامنا السجّاد عليه السلام على أبيه الحسين عليه السلام كان أحياناً في حال السجود، وهو من أفضل المواضع التي يحبّ الله أن يرى عبده فيها؛ فقد جاء في الرواية عن إمامنا الرضا عليه السلام: «**أقرب ما يكون العبد من الله عزّ وجلّ وهو ساجد**»(٢)؛ ويشير إلى ذلك ما رواه ابن قولويه، عن إسماعيل بن منصور، عن بعض أصحابنا، قال: «**أشرف مولى لعلي بن الحسين عليهما السلام، وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي، يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي؟! فرفع رأسه إليه، وقال: ويلك، أو ثكلتك أُمّك! والله، شكى يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت، حتّى قال: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(٣)، إنّه فقَد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي**»(٤).

فإذا كان إمامنا السجّاد عليه السلام يبكي على أبيه الحسين عليه السلام في أقرب محلّ للاتّصال بالله تبارك وتعالى، فلا شكّ أنّ هذا البكاء من أعظم القربات.

(١) القبانجي، حسن، مسند الإمام علي عليه السلام: ج١، ص١٥٠.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٨٢، ص١٦٢.
(٣) يوسف: الآية ٨٤.
(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٣ـ١٤.

الخاتمة

١. يمكن الجمع بين أبرز النظريات التي تتناول المسائل الروحية والأخلاقية، ولكي يصل الإنسان إلى الكمال الروحي والأخلاقي يحتاج إلى:

أ) جهاد النفس، وهو ما أكّدته النظرية الأُولى.

ب) الطبّ الروحاني، أي: وقاية النفس، وعلاجها إن ابتُليت بالأمراض الروحية والأخلاقية، وهو ما أكّدته النظرية الثانية.

ج) السير والسلوك إلى الله تعالى، وهو ما أكّدته النظرية الثالثة.

٢. هناك عدّة مسالك لتهذيب النفس، وأكملها هو مسلك الحبّ الإلهي، وهو قائم على الرضا بكلّ ما يصدر عن الله سبحانه وتعالى، والقيام بكلّ ما يحبّه.

٣. إنّ أوضح طريق وأسرعه في الوصول إلى الحبّ الإلهي هو طريق أهل البيت عليهم السلام، وقد حظي الإمام الحسين عليه السلام بدرجة خاصّة من بينهم.

٤. يمكن تلخيص طريق الإمام الحسين عليه السلام للسير إلى الله تعالى في مقامين:

أ) مقام زيارته عليه السلام.

ب) مقام البكاء عليه عليه السلام.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الآمالي، أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، نشر وتحقيق: مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، الشيخ محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الطور للنشر، طهران ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.

٤ . تـاج اللغـة وصحاح العربيـة، أبو نصر إسـماعيل بن حمّـاد الجوهـري الفارابي، تحقيـق: أحمد عبد الغفور العطّـار، دار العلم للملايين، بـيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٥ . تصحيح الاعتقاد، الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: حسين دركاهي، دار المفيد، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٦ . تهذيـب الأحكام في شرح المقنعة، أبو جعفر محمّد بن الحسـن المعروف بالشـيخ الطوسي، تحقيق: حسـن الموسـوي الخرسـان، دار الكتب الإسـلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤ش.
٧ . جامع السـعادات، المولى محمّد مهدي النراقي، تحقيق: محمّد كلانتر، دار النعمان للطباعة والنشر.
٨ . الخصائص الحسـينية، الشـيخ جعفر التستري، انتشـارات الشريف الرضي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.
٩ . عيـون أخبـار الرضا، الشـيخ محمّد بـن علي بن بابويـه القمّي المعروف بالشـيخ الصـدوق، تحقيـق: حسـين الأعلمـي، مؤسّسـة الأعلمـي، بـيروت ـ لبنـان، ١٤٠٤هـ.
١٠ . غـرر الحكم ودرر الكلم، عبـد الواحد بن محمّد التميمي الآمدي، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١١ . القامـوس المحيـط، محمّـد بن يعقـوب الفيروزآبـادي، تحقيق ونشر: مؤسّسـة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
١٢ . الـكافي، الشـيخ محمّـد بـن يعقوب الكلينـي، تحقيق: عـلي أكبر الغفـاري، دار الكتب الإسلامية، إيران ـ طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.
١٣ . كامـل الزيارات، جعفر بـن محمّد بن قولويـه القمّي، تحقيق: جـواد القيّومي، تحقيق: نشر الفقاهة، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

١٤ . كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
١٥ . مسند الإمام علي عليه السلام، السيّد حسن القبانجي، تحقيق: طاهر السلامي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
١٦ . مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٧ . المصباح المنير، أحمد بن محمّد بن علي الفيّومي، دار الفكر للطباعة والنشر.
١٨ . المفردات في غريب القرآن، الراغب الإصفهاني، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
١٩ . مَن لا يحضره الفقيه، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية.
٢٠ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران.
٢١ . نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، الشريف الرضي، تحقيق وشرح: محمّد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٢.
٢٢ . وسائل الشيعة، الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ.

مفهوم القبّة المستجاب تحتها الدعاء عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ عبّاس علي الصائغ البحراني

ماجستير في الفقه والأُصول ـ جامعة المصطفى العالمية

أُستاذ في الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة/ إيران

The Concept of the Dome under which Supplications Supplications are Answered when Visiting Imam al-Husayn (PBUH)

Shaykh Abbas Ali al-Saigh al-Bahrani

Master's degree in Jurisprudence and Principles of Islamic Jurisprudence, al-Mustafa International University

Lecturer at the Islamic Seminary – Qom, Iran

ملخّص البحث

يتناول هذا البحث تحديد معنى القبّة بشكل عامّ من الناحية اللغوية، كما يستعرض تاريخ بناء القبب على المساجد والمعابد الدينية، كـ(قبّة الصخرة)، و(قبّة الجامع الأُموي)، و(قبّة قبر النبي صلى الله عليه وآله)، و(قُبب البقيع)، ثم يذكر الغايات من بناء القُبب. وبعد ذلك يسلّط الضوء على تاريخ بناء القبّة الحسينية، والتخريب والهدم الذي طالها من أعداء أهل البيت عليهم السلام. كما يتناول البحث تحديد المعنى المراد من القبّة الحسينية، وذلك بعد استعراض روايات استجابة الدعاء تحتها.

الكلمات المفتاحية: القبّة الحسينية، الحائر، قبّة السماء، استجابة الدعاء، تاريخ بناء القبب.

Abstract

This study deals with defining the meaning of dome from a linguistic perspective, as well as presenting the history of the construction of domes above mosques and religious temples, such as the Dome of the Rock, the dome of the Umayyad Mosque, the dome of the Grave of the Prophet (PBUH&HF) and the domes of al-Baqi Cemetery. It then mentions the purpose behind the construction of domes and sheds light on the history of the construction of the Husayni Dome and the vandalism and demolition that befell it by the enemies of the Household (PBUT). Moreover, the research also deals with defining the intended meaning of Husayni Dome after presenting narrations on the acceptance of supplications under it.

Keywords: Husayni Dome, shrine area, Dome of Heaven, acceptance of supplications, history of the construction of domes.

مقدّمة

للقبّة الحسينية مكانتها الخاصّة في قلوب المؤمنين الموالين، وفي أفئدة العاشقين للمولى الحسين عليه السلام؛ لما ورد في الروايات من أنّ الدعاء يُستجاب تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام، فهناك خصوصية لهذه القبّة لا توجد في غيرها من القبب، وهذا الأمر غدا من الأُمور المذهبية المسلّمة عند الشيعة الإمامية أعزّهم الله تعالى.

ولأهمّية هذه المسألة ينبغي التعرّف أكثر على حقيقة هذه القبّة الحسينية وخصائصها، فما هو المراد من هذه القبّة التي يُستجاب تحتها الدعاء؟ هل المراد منها هو هذه القبّة المبنية الموجودة والمعروفة، أو يُراد بها شيء آخر؟

هذا ما نريد أن نصل إليه من خلال هذا البحث بشكل موضوعي، ولكي نصل إلى نتيجة حاسمة نحتاج إلى التعرّف على مجموعة من الأُمور، كمعنى القبّة لغةً، وتاريخ بناء القبب في الإسلام، والغايات من بنائها، وغير ذلك من الأُمور التي توضّح لنا المراد من القبّة عند استعراض روايات استجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام.

ومن هنا يتوزّع حديثنا في هذا المقال على مبحثين وخاتمة.

المبحث الأوّل: بيان المراد من القبّة بشكل عام

قبل الخوض في بحث مفهوم القبّة الحسينية لا بُدّ أن تكون لنا إطلالة على معنى القبّة بشكل عامّ، وتاريخ بناء القبب على المساجد والقبور في الإسلام، والغايات المتوخّاة من ذلك، فالكلام فعلاً يقع في عدّة مواضيع:

الموضوع الأوّل: معنى القبّة لغةً

القُبّة: لفظ يُستعمل تارة في معناه الحقيقي، وأُخرى في معناه المجازي، وسنشير إلى كلا الاستعمالين:

١. الاستعمال الحقيقي للفظ القبّة

إذا رجعنا إلى المعاجم اللّغوية نجد أنّ لفظ القُبّة يُطلق على معنيين رئيسين:

المعنى الأوّل: القُبَّة من البناء، والجمع (قُبَبٌ) و(قِباب)، وبيت مُقبَّب: جُعل فوقه قبّة.

واللغويّون في بيان هذا المعنى إمّا أنّهم اكتفوا بالقول بأنّ القُبّة معروفة، بمعنى أنّها أمر معروف وواضح لدى الناس، فلا تحتاج إلى تعريف أو توضيح[١]، وإمّا أنّهم اكتفوا بذكر صيغ الجمع لها من دون أن يبيّنوا معناها؛ وذلك اكتفاءً بوضوح معناها[٢]، وإمّا أنهّم صرّحوا بمعناها، ولكن في المعاجم المتأخّرة زماناً[٣].

والذي يظهر من مجموع كلماتهم أنّ القُبّة بهذا المعنى الأوّل تُطلَق على كلّ ما يُضرب ويُرفع من الأعلى بحيث يُغطّي ما تحته وإن لم يكن من البناء، كما لو كانت القبّة معلّقة على ألواح، وما شابه ذلك، ويشهد لذلك أمران:

الأوّل: أنّ اللّغويين ينصّون على أنّ «**الهوادج تُقبَّب**»[٤]، بمعنى أنّه يُرفع فوقها ما يغطّي تحتها، والهوادج ـ كما هو واضح ـ ليست من البناء الذي يكون من الأحجار والأخشاب وما شابه ذلك، بل قد تكون من القماش والثياب.

---

(١) أُنظر: الصاحب بن عبّاد، إسماعيل، المحيط في اللغة: ج٥، ص٢٢٠. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٦٥٩. الفيّومي، أحمد بن محمّد، المصباح المنير: ج٢، ص٤٨٧. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٢، ص٣٠١.

(٢) أُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج١، ص١٩٧. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٢، ص١٣٨.

(٣) لويس معلوف، المنجد في اللغة: ص٦٠٤، قال: «قِبَاب وقُبَب (ب): بناءٌ سقفُهُ مستدير مُقَعَّر».

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج١، ص١٩٧. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج١، ص٤٧٠. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٦٥٩. وللمزيد لاحظ أيضاً: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٢، ص١٣٨. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٣، ص٥١٥.

الثاني: أنّ اللّغويين أيضاً يُطلقون لفظ القبّة على ما يغطّي المكان من الأعلى وإن لم يكن من البناء[1].

والنتيجة: أنّ القبّة هي: كلّ ما يُرفع للدخول فيه، ولتغطية ما تحته، بحيث تكون حاويةً لما تحتها، سواء كانت بناءً أم غيره، وسواء كانت من الحجارة أم غيرها.

وأمّا من ناحية الشكل، فالقبّة نوع من البناء المحدودب الذي له شكل كرة مشطورة عند وسطها، كما قد تكون القبّة على شكل بيضاوي مشطور عند وسطه، أو شكل مخروطي، أو حلزوني[2].

وهذا المعنى هو المعنى المتبادر عند العرب من لفظ القبّة حين إطلاقه؛ ويشير إلى هذا التبادر معروفية هذا المعنى عند العرب كما نقل اللغويّون.

المعنى الثاني: القبّة من الخيام، وهي ـ على ما صرّح به اللغويّون ـ بيت صغير مستدير[3]، أو البيت المدوّر[4]، وهو من بيوت العرب. والقبّة بهذا المعنى أُخذت فيها حيثيتان، الأُولى: حيثية إطلاقها على الخيمة نفسها، أو الخباء، أو البيت. والثانية: حيثية الاستدارة في شكلها.

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج٦، ص٢٢٨٦، قال: «والعامّة تقول: بَنى بأهله، وهو خطأ، وكان الأصل فيه أنّ الداخل بأهله كان يضرب عليها قبّة ليلة دخوله بها، فقيل لكلّ داخل بأهله بانٍ». الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٢، ص٣٠١، قال: «وفي العناية: القبّة: ما يُرفع للدخول فيه، ولا يختصّ بالبناء».

(٢) أُنظر: الولي، الشيخ طه، المساجد في الإسلام: ص٢٧٤.

(٣) أُنظر: ابن الأثير، مبارك بن محمّد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٤، ص٣. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٦٥٩. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٢، ص٣٠١.

(٤) الفيّومي، أحمد بن محمّد، المصباح المنير: ج٢، ص٤٨٧، قال: «القبّة: من البنيان معروفة، وتُطلق على البيت المدوّر، وهو معروف عند التركمان والأكراد، ويُسمّى الخرقاهة، والجمع (قِباب)، مثل بُرمة وبِرام».

ولعلّ السبب في أخذ حيثية الاستدارة في إطلاق لفظ القبّة على الخيمة وما شابهها هو أنّ المتعارف في شكل القبّة بالمعنى الأوّل أن تكون مستديرة الشكل، فيكون هذا من المعاني المجازية للفظ القبّة؛ إذ إنّ اللغوي إنّما ينقل موارد استعمال اللفظ عند العرب، الأعمّ من كونه استعمالاً حقيقياً أو مجازياً. وهناك معانٍ مجازية أُخرى سنشير إليها في العنوان التالي:

٢. الاستعمال المجازي للفظ القبّة

ويمكن أن نذكر نموذجين لهذا الاستعمال المجازي:

النموذج الأوّل: قُبّة الإسلام

فإضافة لفظ القبّة إلى الإسلام يعني: ظلّ الإسلام، ومستقرّ سلطانه، وقد أُطلق هذا الاسم والعنوان مجازاً على مجموعة من الأُمور:

منها: المدينة المنوّرة؛ وذلك لما ورد في بعض المرويّات عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**المدينة قبّة الإسلام، ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومثوى الحلال والحرام**»[١]؛ ولعلّ الوجه في هذه التسمية هو ما ذُكر في هذه الرواية من كونها: دار الإيمان، وأرض الهجرة.

ومنها: الكوفة؛ إمّا لأنّ النبي نوح عليه السلام نصب قبّة في وسطها[٢]، وإمّا لاستدارة شكلها[٣].

---

(١) ابن عساكر، علي بن الحسين، تاريخ مدينة دمشق: ج٧١، ص٥٠.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية: ص٣١ـ٣٢، عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «وعقد نوح في وسط المسجد قبّة، فأدخل إليها أهله وولده والمؤمنين... فسُمّيت الكوفة قبّة الإسلام بسبب تلك القبّة».

(٣) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج١٢، ص٤٦٩، قال: «واخْتُلِفَ في سبَب تَسْمتِها، فقِيل: سُمِّي هكذا في النُّسخ، وصوابُه سُمِّيَت لاسْتِدارتِها».

ومنها: البصرة؛ إمّا لاشتداد الإسلام بها[١]، وإمّا لهجرة المسلمين إليها، واتّخاذها وطناً[٢]، وإمّا لأنّه لم يُعبد على ظهرها صنم قطّ[٣].

ومنها: بغداد؛ إمّا لأنّها دار الخلافة، ومصبّ أموال الدنيا[٤]، وإمّا لاستدارة شكلها[٥].

ومنها: كربلاء؛ للرواية عن أبي سعيد العصفري، عن حمّاد بن أيوب، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يقبر ابني بأرض يقال لها كربلاء، هي البقعة التي كانت فيها قبّة الإسلام التي نجّى الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان**»[٦].

ومنها: جماعة المسلمين؛ وذلك لما جاء في حديث كعب: «**مَن دخل في ديوان المسلمين ثم تَلَجَّأَ منهم، فقد خرج من قبّة الإسلام... كأنّه إشارة إلى الخروج والانفراد عن جماعة المسلمين**»[٧].

---

(١) أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمّد، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ج١، ص١٦٣، قال: «لمّا مصّر عمر رضي الله عنه البصرة، وانتقلت قبائل العرب إليها، وكثرت الأبنية فيها، واشتدّت شوكة الإسلام بها، سُمّيت: قبّة الإسلام».

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ج١، ص٢٦٠، قال: «كان يقال للبصرة خزانة العرب، وقبّة الإسلام؛ لانتقال قبائل العرب إليها، واتّخاذ المسلمين لها وطناً ومركزاً».

(٣) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج٦، ص٩٣، قال: «ولم يُعبد الصنم قطّ على ظهر أرضها».

(٤) أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمّد، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ج١، ص١٦٣، قال: «ثمّ لمّا بنى المنصور بغداد، وسمّاها مدينة السلام، وصارت دار الخلافة، ومصبّ أموال الدنيا، قال الناس: هذه الآن أولى بأن تُسمّى قبّة الإسلام».

(٥) الغروي العلي ياري، المولى علي، منهاج الملّة في بيان الوقت والقبلة: ص٢٨٧، قال: «وليست في الدنيا مدينة مدوّرة غيرها، وهي أُمّ الدنيا، وسيّدة البلاد، ومدينة السلام، وقبّة الإسلام».

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٦٩.

(٧) ابن الأثير، مبارك بن محمّد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٤، ص٢٣٢.

النموذج الثاني: قبّة السماء

يُطلق عنوان (قبّة السماء) على معنيين:

المعنى الأوّل: السماء نفسها؛ والوجه في ذلك أنّها ـ كما في بعض الروايات ـ مُقبّبة، بمعنى أنّها تغطّي الأرض، وسنذكر هنا بعض هذه الروايات:

الرواية الأُولى: ما جاء في (تفسير القمّي) عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾[1]، قال: «**فإنّه حدّثني أبي عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن قول الله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾، فقال: هي محبوكة إلى الأرض، وشبك بين أصابعه...**»[2].

الرواية الثانية: ما أخرجه عبد بن حميد، وأبو الشيخ في العظمة، عن إياس بن معاوية، قال: «**السماء مقبّبة على الأرض مثل القبّة**»[3].

الرواية الثالثة: ما أخرجه ابن أبي حاتم، عن القاسم بن أبي برّة، قال: «**ليست السماء مربّعة، ولكنّها مُقَبَّوة، يراها الناس خضراء**»[4]؛ ولذا قبّة السماء يقال لها في اللّغة: القبّة الخضراء[5].

المعنى الثاني: دائرة نصف النهار، أي: الدائرة التي تكون فوقنا بالخصوص؛ ولذا قالوا في وجه تسمية الحرباء بالحرباء ما يلي: «والحرباء: دويبة ترقب الشمس، وتدور معها كيف دارت، فإذا صارت في قبّة السماء، شخصت إليها وقلعت، وضربت بلسانها حنكها الأعلى، فإذا جاء الليل ذهبت ترعى، سُمّيت بذلك لأنّها كالمحاربة للشمس»[6].

---

(١) الذاريات: الآية٧.

(٢) القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج٢، ص٣٢٨ـ٣٢٩.

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: ج١، ص٣٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) لويس معلوف، المنجد في اللغة: ص٦٠٤.

(٦) السمين، أحمد بن يوسف، عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ج١، ص٤٤٥.

الموضوع الثاني: تاريخ بناء القبب

كان بناء القبب على الكنائس ودور العبادة متعارفاً عند النصارى وغيرهم قبل الإسلام وبعده، ولا يُعرف على وجه التحديد متى أو كيف دخلت القبّة في الأبنية والمعابد الدينية، وإنّما تُشير المصادر إلى أنّ هذا الشكل الهندسي الفريد كان يُبنى قديماً فوق المعابد غالباً، ومنها انتقل إلى معابد الأديان السماوية المعروفة: اليهودية، والنصرانية، والإسلام[1].

ويشهد لوجود القبّة قبل الإسلام ما ذُكر عن (قبّة نجران) المعروفة التي يُضرب بها المثل، «**وكعبة نجران هذه يقال: بيعة بناها بنو عبد الملك بن الديّان الحارثي على بناء الكعبة، وعظّموها مضاهاةً للكعبة، وسمّوها كعبة نجران، وكان فيها أساقفة معتمّون، وهم الذين جاؤوا إلى النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ودعاهم إلى المباهلة.**

وذكر هشام بن الكلبي أنّها كانت قبّة من أدم، من ثلاثمئة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قُضيت، أو مسترفد أُرفد، وكان لعظمها عندهم يسمّونها كعبة نجران، وكانت على نهر بنجران، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل، وكان يستغلّ من ذلك النهر عشرة آلاف دينار، وكانت القبّة تستغرقها»[2].

بل إنّ (السمهودي) ينقل عن ابن أبي داود في (سننه) أنّ رجلاً من الأنصار في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد بنى له قبّة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، فرجع الرجل إلى قبّته فهدمها، حتى سوّاها بالأرض[3]، وهذا يعني أنّ المسلمين كانوا على اطّلاع على بناء القبب.

ولعلّ الوجه في إنكار رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك هو أنّ هذا الفعل قد يؤسّس للطبقية الاجتماعية؛ إذ يظهر أنّ هذا الرجل كان وجيهاً بين قومه، فبنى له قبّة لتكون له الوجاهة

(١) الولي، الشيخ طه، المساجد في الإسلام: ص٣٧٤.

(٢) ياقوت الحموي، عبد الله، معجم البلدان: ج٥، ص٢٦٨ـ ٢٦٩.

(٣) اُنظر: السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: ج٢، ص١٥٨.

والرفعة وما شابه ذلك، ولكنّ هذا لا يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله يُنكر بناء القبب على المساجد وأماكن العبادة، فهذا مسكوت عنه من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله إن صحّ هذا النقل.

وعلى أيّ حال؛ فإنّه لم يُعرف بناء القبب على المساجد في بدايات الإسلام، ولذا لا بأس أن نتحدّث عن تاريخ بناء بعض القبب في الإسلام بشكل موجز:

القبّة الأُولى: قبّة الصخرة

المعروف تاريخياً أنّ عبد الملك بن مروان هو الذي بنى القبّة فوق الصخرة المقدّسة في عام (٦٩ـ٧٢ هـ)، وقيل: إنّها أوّل قبّة بُنيت في الإسلام[١].

وقد اختُلف في بيان سبب بنائه لهذه القبّة:

الأوّل: السبب السياسي

إنّ عبد الملك بن مروان كانت بينه وبين عبد الله بن الزبير صراعات سياسية، وكان عبد الله بن الزبير مسيطراً على مكّة والمدينة، فخشي عبد الملك بن مروان أن يذهب رعاياه الفلسطينيّون والشاميّون إلى الحجّ، فيتأثّروا بعبد الله بن الزبير، فيتّبعوه، وكذلك خشي أن يتقوّى ابن الزبير من ناحية اقتصادية، فلذا عزم على بناء قبّة الصخرة؛ لتكون بديلاً من الكعبة، وبالتالي يصرف الناس عن الحجّ[٢].

الثاني: السبب الديني

لمّا شاهد عبد الملك بن مروان قبّة كنيسة القيامة، ورأى بهاءها وجمالها ـ وقد كانت القبب تُبنى فوق الكنائس ـ خشي أن يؤثّر ذلك في نفوس المسلمين وأنظارهم، فأمر أن تُشيّد القبّة فوق الصخرة المقدّسة؛ لتضاهي قبّة كنيسة القيامة، وتكون معلماً عظيماً من معالم الإسلام[٣].

(١) أُنظر: الولي، الشيخ طه، المساجد في الإسلام: ص٢٧٧، ولكن سيتّضح فيما بعد عدم صحّة هذا القول.

(٢) أُنظر: الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدّسة: ج٥، قسم القدس٢، ص١١٥.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١١٦.

القبّة الثانية: قبّة الجامع الأُموي

ينقل لنا الرحّالة ابن جبير ما رآه في المسجد الجامع، حينما انطلق في رحلته ابتداءً من عام (٥٧٨هـ) إلى عام (٥٨١ هـ)، فيصف لنا ـ في كلام طويل ـ كيفية بناء القبب على المسجد الجامع آنذاك، وهذا يعني أنّ القبب كانت موجودة قبل مجيئه.

يقول: «**ومن أعظم ما شاهدناه من مناظر الدنيا الغريبة الشأن، وهياكلها الهائلة البنيان... المعترف لوصفها بالتقصير لسان كلّ بيان: الصعود إلى أعلى قبّة الرصاص المذكورة في هذا التقييد، القائمة وسط الجامع المكرّم، والدخول في جوفها، وإجالة لحظ الاعتبار في بديع وضعها، مع القبّة التي في وسطها، كأنّها كرة مجوّفة داخلة وسط كرة أُخرى أعظم منها...**»[1].

القبّة الثالثة: القبّة الخضراء

من المعلوم أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر بأن يُدفن في حجرته، وهي مكان مُسقّف، وقد تمّ ترميم تلك الحجرة مرّات عديدة على أيدي التابعين، ومَن جاء بعدهم من المسلمين، ولم تكن على الحجرة الشريفة هذه القبّة المعروفة قبل حريق المسجد الشريف، وإنّما كان يوضع عليها الآجر بلون مختلف؛ لتتميّز من غيرها، واستمرّ ذلك إلى عام (٦٧٨هـ)، حيث بُنيت قبّة على قبر النبي صلى الله عليه وآله بعد احتراق المسجد النبوي.

ونذكر هنا كلام الإمام السمهودي، نقلاً عن المؤرّخين، فقد قال: «**أمّا القبّة المذكورة، فاعلم أنّه لم يكن قبل حريق المسجد الشريف الأوّل وما بعده على الحجرة الشريفة قبّة... واستمرّ ذلك إلى سنة ثمانٍ وسبعين وستمئة في أيّام الملك المنصور قلاوون الصالحي، فعُملت تلك القبّة...**»[2].

نعم، كانت قبل ذلك قبّة مبنية في وسط المسجد النبوي لحفظ ذخائر الحرم، بناها الناصر لدين الله سنة (٥٧٦ هـ) كما ذكر السمهودي في المصدر المتقدّم، وهي لم

(١) ابن جبير، محمّد بن أحمد، رحلة ابن جبير: ج١، ص٢٣٨ـ ٢٣٩.

(٢) السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: ج٢، ص١٥٧.

تحترق؛ لوقوعها في وسط المسجد، فلم تصل إليها النار، وهذا يعني أنّه كانت هناك قبّة في المسجد النبوي قبل احتراق المسجد، وهي غير القبّة التي أُحدثت على قبر النبي صلى الله عليه وآله.

القبّة الرابعة: قبب البقيع

كانت قُبب البقيع مبنية قديماً، يقول الشيخ السبحاني (حفظه الله): «**ويقول الحافظ محمّد بن محمّد بن النجّار (المتوفّى عام ٦٤٣هـ) في أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله [واصفاً قبر الإمام الحسن ومَن معه عليهم السلام]: في قُبّة كبيرة عالية قديمة البناء في أوّل البقيع، وعليها بابان، يفتح أحدهما في كلّ يوم للزيارة، رضي الله عنهم.**

ويقول ابن جبير الرحّالة الطائر الصيت (المتوفّى عام ٦١٤هـ) في رحلته في وصف بقيع الغرقد: يقع في مقابل قبر مالك قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبي، عليها قبّة بيضاء»[1].

الموضوع الثالث: غايات بناء القبب

ذُكرت مجموعة من الغايات لبناء القبب على المساجد والمعابد الدينية، نذكر بعضاً منها، وإن كان في بعضها تكلّف[2]:

الغاية الأُولى: إيحاء المعاني الروحية

فالقبّة تمثّل الفضاء الرحب، والسماء الواسعة، بما فيهما من الروعة والجلال، فهي توحي بالمعاني الروحية التي جاءت بها الأديان المختلفة، لا سيّما الأديان السماوية.

الغاية الثانية: تجميع أصوات المصلّين

فالقبّة بشكلها المقوّس الأجوف تُساعد على تجميع أصوات المصلّين عند

(١) السبحاني، جعفر، في ظل أُصول الإسلام: ص١٠٠.

(٢) ذكر بعضها: الولي، الشيخ طه، المساجد في الإسلام: ص٢٧٥.

التلاوة، وتعمل على ترديد رجع صدى هذه الأصوات بشكل إيحائي، ممّا يزيد في روعة الصلاة والخشوع والانفعال الوجداني للمصلّين.

الغاية الثالثة: إشاعة الهواء في المكان

فالقبّة قديماً كانت قد صُمّمت بالشكل الذي هي عليه من أجل أن تُساعد على إشاعة الهواء في المكان العبادي؛ إذ كانت المعابد قديماً تخلو من النوافذ؛ وذلك ـ كما قيل ـ لاعتبارات دينية، ثمّ بقيت بعد ذلك على شكلها دون تغيير؛ لما جرت عليه عادة الناس من الحفاظ على تراثهم الروحي والديني.

الغاية الرابعة: تعظيم الشعائر

وهذه الغاية هي الأهمّ؛ وذلك باعتبار أنّنا مأمورون بتعظيم الشعائر، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]، ومن المعلوم أنّ المساجد من شعائر الله والإسلام التي لا بُدّ أن تُعظّم، وكذلك قبور الأنبياء والأولياء، فتشييدها وعمارتها هو تعظيم للشعائر، ولا شكّ أنّ بناء القبب هو من تعظيم شعائر الله كما نعتقد، وليس بحثنا الآن عن دليل ذلك، فهو مبحوث في محلّه.

وفي هذا السياق؛ يقول السيّد محسن الأمين: «**فتحصّل من مجموع ما ذكرناه: أنّ تعظيم قبر النبي صلى الله عليه وآله، وقبور سائر الأنبياء، ببناء القباب عليها، وعمل الشبّاك والكسوة، وغير ذلك ممّا يأتي، راجح شرعاً، لا مانع منه، ولا يُعدّ عبادة لها كما توهّمه الوهّابية؛ لأنّها ممّا أمر الله بتعظيمه، فتعظيمها عبادة لله، وطاعة له، كما بيّناه في فصل مطلق تعظيم القبور**»[2].

المبحث الثاني: المراد من القبّة الحسينية

سنقصر الكلام في هذا المبحث على القبّة الحسينية التي ورد في الروايات أنّ الدعاء يُستجاب تحتها، وذلك في إطار العناوين الآتية:

---

(١) الحجّ: الآية ٣٢.

(٢) الأمين، السيّد محسن، أعيان الشيعة: ج١١، ص١٣٨.

الأوّل: تاريخ بناء القبّة الحسينية

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عام (٦١هـ)، قيل: إنّ بني أسد بنوا سقيفة على قبر الإمام الحسين عليه السلام بعدما دفنوا الأجساد الطاهرة، فيكونون هم أوّل مَن قَبَّبَ قبر الإمام الحسين عليه السلام.

وقيل: إنّ أوّل مَن بنى القبّة على قبر الإمام الحسين عليه السلام هو المختار بن أبي عبيدة الثقفي عندما تولّى الكوفة في عام (٦٦هـ)، وكان البناء على يد إبراهيم بن مالك الأشتر، قائد قوّات المختار، وقد صنعها من الجصّ والآجر.

ولعلّ المختار وابن الأشتر أخذا فكرة بناء القبّة من المدائن، أو الحيرة؛ فقد كان فيها قصر المناذرة، وكان مقبّباً، أو من منطقة بابل؛ فإنّ فيها آثار البابليين.

بل نلاحظ في التاريخ أنّه قد تمّ بناء مسجد أيضاً عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، وكان بجانبه شجرة سدرة يُستظلّ بفيئها، ويُستدلّ بها على قبر الإمام الحسين عليه السلام، والآن يوجد باب معروف في الحرم الحسيني يسمّى (باب السدرة)، وكان هذا المسجد موجوداً في زمن بني أُمية، إلى زمن بني العبّاس، الذين توالوا على تخريب قبر الإمام الحسين عليه السلام، كما سيأتي[1]. إلاّ أنّ بعض الباحثين يرى أنّه من الصعب ـ من الناحية السياسية ـ أن نقبل بوجود أبنية ولو بسيطة في عصر الأُمويين، وإن اعترف بعد ذلك بوجود بعضها في زمن الإمام الصادق عليه السلام[2].

فالقبّة الحسينية ـ على بعض النقولات ـ كانت منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على شكل سقيفة، أو في زمن المختار الثقفي الذي بنى القبّة بشكلها المعروف، واستمرّ وجود البناء والقبّة إلى زمن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وبهذا تعرف

(١) أُنظر: الكرباسي، محمّد صادق، دائرة المعارف الحسينية (تاريخ المراقد): ج١، ص٨٤ـ٨٥، وص٢٤٨ـ٢٥١.

(٢) أُنظر: الريشهري، محمّد، موسوعة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج٨، ص٢٨٩.

وجه عدم صحّة القول بأنّ أوّل قبّة بُنيت في الإسلام هي قبّة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان.

وممّا يشهد على وجود القبّة في زمن الصادقين عليهما السلام بعض الروايات التي تفيد هذا المعنى، وسنذكر بعضاً منها:

الرواية الأُولى: رواية أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عليه السلام، وقد جاء فيها: «**فإذا أتيتَ الباب الذي يلي المشرق، فقف على الباب... ثمّ تخرج من السقيفة، وتقف بحذاء قبور الشهداء، وتومئ إليهم أجمعين، وتقول...**»[1]. فهذه الرواية تدلّ على وجود بناء وحائر وسقيفة وأبواب على قبر الإمام الحسين عليه السلام، والسقيفة نحو من أنحاء القباب.

الرواية الثانية: رواية صفوان الجمّال، عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيها: «**فتوجّه نحو الحائر، وعليك السكينة والوقار...ثمّ تأتي باب القبّة، وقف من حيث يلي الرأس...**»[2].

الرواية الثالثة: رواية صفوان أيضاً، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**فإذا توجّهت إلى الحائر فقل... فإذا أتيتَ الباب فقف خارج القبّة، وارْمِ بطرفك نحو القبر...**»[3].

فهاتان الروايتان تصرّحان بوجود الحائر، وأنّه كان عبارة عن سور مبني، وكان له باب، وأنّ هناك قبّة، وكان لها باب يُدخل منه، إلّا أنّه في زمن بني العبّاس حصلت محاولات عديدة لتخريب القبر الشريف، والأبنية المحيطة به، فقد قام المنصور الدوانيقي العبّاسي الذي حكم بين عامي (١٣٦ـ١٥٨هـ) بأوّل عملية تخريب، فهدم السقيفة، وتطاول على القبر الشريف[4].

ثمّ في عهد المهدي العبّاسي أُعيد تشييد السقيفة، وشُيّد المشهد الحسيني من جديد،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٢٨ـ٢٤٢.
(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١٩ـ٧٢٠.
(٣) ابن المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٢٩.
(٤) أُنظر: الكرباسي، محمّد صادق، دائرة المعارف الحسينية (تاريخ المراقد): ج١، ص٢٦٣.

وكان خدم المشهد الحسيني يتسلّمون الهبات الخيرية من أُمّ موسى والدة المهدي العبّاسي[1]، واستمرّ ذلك إلى زمن الإمام الكاظم عليه السلام، ويشهد لذلك رواية الحسن بن راشد، عن الإمام الكاظم عليه السلام، التي جاء فيها: «...**حتى يرد الحائر، فإذا خرج من باب الحائر وضع كفّه...**»[2]، فهذه الرواية تفيد أنّ سور الحائر وبابه كانا موجودين في زمن الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً، ولكنّها لم تُشر إلى القُبّة، فهي ساكتة عن ذلك.

إلى أن جاء هارون الرشيد العبّاسي، الذي تولّى الحكم في (عام ١٨٧هـ)، فضيّق على خدم المشهد الحسيني، وفي (عام ١٩٣هـ) ضيّق الخناق على زائري الإمام الحسين عليه السلام، وقطع شجرة السدرة، وكرب القبر الشريف، وحاول أن يطمس آثاره، وهدم الأبنية التي كانت تحيط بتلك الأضرحة المقدّسة، وقام بزرع الأرض حتى يُخفي أثر القبر[3].

وفي عهد المأمون العبّاسي (عام ١٩٨هـ) ـ عندما اقتضت سياسته أن يتقرّب من العلويّين ـ فسح المجال لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام وتعميره، وبنى على القبر قبّة شامخة، وحرماً، وروضة، وقام بتوسعة الحائر[4].

ثمّ حينما جاء المتوكّل العبّاسي عام (٢٣٢هـ) عمد إلى هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وحرثه، وزرع الأرض، وأجرى الماء عليه من نهر العلقمي، حتى حار الماء حول قبر الإمام الحسين عليه السلام، وتوعّد الناس بقتل مَن زار قبره عليه السلام، ووضع يده على أوقاف الحائر، وصادر أموال خزينة الحسين عليه السلام، ووزّعها على جنوده، وقيل: إنّه هدم المرقد أربع مرّات؛ إذ كلّما هدمه قام الشيعة الموالون ببنائه على الرغم من خطورة الموقف.

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٦٥، نقلاً عن: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٥٤.
(٣) أُنظر: الكرباسي، محمّد صادق، دائرة المعارف الحسينية (تاريخ المراقد): ج١، ص٢٥٦ـ٢٦٦.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٦٧، وفيه: أنّه عمّره مرّتين.

ثم في عهد المنتصر العبّاسي عام (٢٤٨هـ)، أمر المنتصر ببناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وإعادته إلى ما كان عليه[١].

وهكذا توالى الشيعة والحكّام والملوك على بناء القبّة الحسينية وتعميرها، خصوصاً في زمن الدولة البويهية (٣٣٤هـ ـ ٤٤٧هـ)، والدولة الصفوية (٩٠٧هـ ـ ١١٤٨هـ)، والدولة القاجارية (١٢٠٥هـ)؛ فقد حصل في هذه الأزمنة أفضل إعمار للمراقد المطهّرة[٢]، إلى أن تطوّر شكلها حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم.

الثاني: استعراض روايات إجابة الدعاء تحت قبّة الحسين عليه السلام

قبل الخوض في بحث معنى القبّة الحسينية ومفهومها، لا بُدّ أن نستعرض الروايات التي ذكرت أنّ الدعاء مستجاب تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام، والأئمّة عليهم السلام الذين رويت عنهم؛ لنتمكّن بعد ذلك من تحديد معنى القبّة الظاهر من تلك الروايات، مع قطع النظر عن البحث في أسانيدها.

الرواية الأُولى: ما رواه ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله، حينما دخل عليه وكان يلثم الحسن والحسين عليهما السلام، فقد قال له النبي صلى الله عليه وآله في ضمن ما قال: «**مَن زاره عارفاً بحقّه كتب الله له ثواب ألف حجّة، وألف عمرة، ألا ومَن زاره فقد زارني، ومَن زارني فكأنّما زار الله، وحقّ على الله ألّا يعذّبه بالنار، ألا وإنّ الإجابة تحت قبّته، والشفاء في تربته، والأئمّة من ولده**»[٣]. هذا مع أنّ القبّة لم تُبْنَ بعدُ، بل ولم يكن متعارفاً بناء القبب في عهد النبي صلى الله عليه وآله، كما ذكرنا ذلك سابقاً.

الرواية الثانية: ما رواه محمّد بن مسلم، عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، أنّهما

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٦٩ـ٢٨٤.

(٢) راجع: الريشهري، محمّد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٨، ص٢٩٣ـ٢٩٤، وص٢٩٨، وص٣٠١.

(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٥٢.

قالا: «**إنّ الله (تعالى) عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرّيته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعدّ أيّام زائريه جائياً وراجعاً من عمره**»[1].

هـذه الروايـة ذكرت اسـتجابة الدعـاء عند قـبر الإمام الحسـين عليه السلام، ولم تذكر استجابة الدعاء تحت القبّة، إلّا أنّ ابن شهر آشوب في (المناقب)، وابن فهد الحلّي في (عدّة الداعي) ذكرا رواية مرسـلة بنفس المضمون قد صُرّح فيها باسـتجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام.

قال ابن شهر آشوب: «**ويُروى الشفاء في تربته، والإجابة تحت قبّته، والأئمّة من ذرّيته**»[2].

وقال ابن فهد الحلّي: «**إنّ الله سبحانه وتعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله بأربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبّته، والأئمّة من ذرّيته، وألّا يُعدّ أيّام زائريه من أعمارهم**»[3].

الرواية الثالثة: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن كان له حاجة إلى الله عزّ وجلّ فليقف عند رأس الحسين عليه السلام، وليقل: (يا أبا عبد الله، أشهد أنّك تشهد مقامي، وتسمع كلامي، وأنّك حيّ عند ربّك تُرزق، فاسأل ربّك وربّي في قضاء حوائجي)، فإنّها تُقضى إن شاء الله تعالى**»[4]. والوقوف عند رأس الإمام الحسين عليه السلام هو قطعاً وقوف تحت قبّته عليه السلام، مهما فسّرنا معنى القُبّة.

الرواية الرابعة: ما ورد عن الناحية المقدّسة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «**السلام على مَن جُعل الشفاء في تربته، السلام على مَن الإجابة تحت قبّته، السلام على مَن الأئمّة من ذرّيته**»[5].

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٣١٧.

(٢) ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٨٢.

(٣) ابن فهد الحلّي، أحمد بن محمّد، عدّة الداعي ونجاح الساعي: ص٥٧.

(٤) المصدر السابق: ص٦٤ـ٦٥.

(٥) ابن المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٩٧. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨،

الثالث: معنى القبّة الحسينية

بعد أن استعرضنا الروايات التي ذكرت أنّ الدعاء مستجاب تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام، سنتناول بالبحث معنى (القبّة الحسينية) ومفهومها، فما هو المراد من القبّة التي يُستجاب تحتها الدعاء؟ وفي مقام الجواب توجد عدّة احتمالات:

الاحتمال الأوّل: قبّة السماء

يرى هذا الاحتمال أنّه ليس المراد من قبّة الحسين عليه السلام هو القبّة الطينية المبنية، وإنّما المراد هو قبّة السماء، والمقصود من قبّة السماء هنا هو المسافة من قبر الإمام الحسين عليه السلام حتى شعاع منتهى البصر في الأُفق، وتلاقي السماء والأرض، وبهذا المعنى قد تمتدّ مساحة القبّة إلى فراسخ[1].

وبهذا المعنى تكون مساحة القبّة المقصودة هي الحريم الحسيني بأكمله؛ لأنّه قد دلّت بعض الروايات على أنّ حريم قبر الإمام الحسين عليه السلام على امتداد فراسخ، كمرفوعة منصور بن العبّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من أربع جوانب القبر**»[2]، أو ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً: «**حريم قبر الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ في فرسخ في فرسخ**»[3].

فليست القبّة الحسينية إذاً شيئاً آخر غير الحريم الحسيني، بل هما شيء واحد؛ لأنّ الواقف عند القبر الشريف يكون امتداد القبّة عنده بمقدار امتداد نظره في

ص٣١٨، وقد رواها العلّامة المجلسي عن الشيخ المفيد، وعلّق على هذه الزيارة ـ بعد ما نقل عبارة ابن المشهدي ـ قائلاً: «فظهر أنّ هذه الزيارة منقولة مروية، ويحتمل ألّا تكون مختصّة بيوم عاشوراء، كما فعله السيّد المرتضى».

(١) أُنظر: السند، محمّد، الشعائر الحسينية: ج٣، ص١٩٤ـ ١٩٥.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٧٢. الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٣١.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٨٢.

الأُفق، حيث يتماسّ خطّ السماء بالأرض، وهذا المقدار يساوي الفرسخ تقريباً، وهو حوالي خمسة كيلو مترات[1].

ويلاحظ عليه:

أوّلاً: أنّ هذا المعنى لا شاهد عليه في الروايات، وهو خلاف الظاهر منها.

ثانياً: أنّ مجرّد كون الحريم الحسيني يشمل هذا المقدار من المساحة، لا يعني أنّ القبّة كذلك أيضاً؛ إذ لا ملازمة بين الأمرين كما هو واضح، ولا شاهد على أنّ القبّة هي نفس الحريم الحسيني.

ثالثاً: كما أنّ الروايات المذكورة ليست معتبرة من ناحية السند[2].

الاحتمال الثاني: القُرب الحسيني

يرى هذا الاحتمال أنّ القبّة الحسينية التي يستجاب تحتها الدعاء ليست هي القبّة الطينية المعروفة، وإنّما هي كناية عن الاقتراب من الإمام الحسين عليه السلام؛ فعندما يقترب الإنسان من سيّد الشهداء عليه السلام تُستجاب دعوته، سواء كان تحت القبّة الطينية المبنية، أم في الحرم الحسيني، أم في كربلاء بأكملها، فكلّ ذلك يقع تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام.

والوجه في ذلك أنّه عند الاقتراب من الإمام الحسين عليه السلام لا يكون هناك حاجب من الجبت والطاغوت، أو من جبابرة الخلق، بل هناك شفافية خاصّة عنده بالاتّصال بالساحة الربوبية؛ فإنّ الجبت ـ لغة ـ هو نوع من الجدران الكثيفة، وهذه الجدران ـ التي تكون حاجباً عن الوفود على الله تعالى ـ تُحصد كلّها في طريق الإمام الحسين عليه السلام من خلال استجابة الدعاء تحت قبّته، فمعنى استجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام إذاً هو عبارة عن قبول مطلق العبادات عند الاقتراب منه بشرط ولايته عليه السلام[3].

---

(١) أُنظر: السند، محمّد، بحوث في القواعد الفقهية: ج٣، ص٣١٣.

(٢) أُنظر: الريشهري، محمّد، موسوعة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج٨، ص٣٢٢.

(٣) أُنظر: السند، محمّد، الشعائر الحسينية: ج٣، ص١٦٢.

ويلاحظ عليه: أنّنا لا ننكر تلك الفيوضات المترتّبة على الاقتراب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّ ملاحظتنا هنا ترتبط بكيفية استخلاص هذا المعنى من روايات استجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ لا شاهد فيها على هذا المعنى، وهو خلاف الظاهر.

الاحتمال الثالث: الحائر الحسيني

يرى هذا الاحتمال أنّ المراد من القبّة الحسينية هو الحائر الحسيني، ومن المعلوم أنّ من جملة المواطن التي يستجاب فيها الدعاء هو الحائر الحسيني، والروايات في ذلك كثيرة، منها ما رواه المفيد في (مزاره) عن الإمام أبي الحسن العسكري عليه السلام: «**إنّ لله تعالى مواطن يُحبّ أن يُدعى فيها فيُجيب، وإنّ حائر الحسين عليه السلام من تلك المواطن**»[1].

فقد حملوا معنى القبّة الحسينية التي يُستجاب تحتها الدعاء على الحائر الحسيني؛ بصفته موطناً من المواطن التي يُستجاب فيها الدعاء؛ إذ ورد التعبير باستجابة الدعاء في كلّ منهما، فلا فرق بينهما حينئذٍ من هذه الناحية.

وقد اختلف الفقهاء في تحديد مقدار مساحة الحائر الحسيني، كما ذكر العلّامة المجلسي، حيث قال: «**اعلم أنّه اختلف كلام الأصحاب (رحمهم الله) في حدّ الحائر؛ فقيل: إنّه ما أحاطت به جدران الصحن، فيدخل فيه الصحن من جميع الجوانب، والعمارات المتّصلة بالقبّة المنوّرة، والمسجد الذي خلفها. وقيل: إنّه القبّة الشريفة حسب. وقيل: هي مع ما اتّصل بها من العمارات، كالمسجد، والمقتل، والخزانة، وغيرها. والأوّل أظهر؛ لاشتهاره بهذا الوصف بين أهل المشهد، آخذين عن أسلافهم، ولظاهر كلمات أكثر الأصحاب**»[2]، ثم ذكر رحمه الله كلمات الأعلام المؤيّدة للقول الأوّل[3].

---

(١) المفيد، محمّد بن محمّد، المزار: ص٢٠٩.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص١١٧.

(٣) المصدر السابق.

وعلى كلّ حال؛ لسنا هنا في مقام تحقيق مساحة الحائر الحسيني، فما يهمّنا أنّ مساحة الحائر الحسيني ـ على أيّ قولٍ من هذه الأقوال المنقولة في كلام العلّامة المجلسي ـ إمّا هي بحجم مساحة القبّة الشريفة المعروفة، أو هي أوسع دائرة منها، وبعضهم وسّع دائرة الحائر الحسيني إلى عدّة فراسخ، بل نلاحظ أنّ أحد الأقوال التي نقلها العلّامة المجلسي قد أرجع حدّ الحائر الحسيني إلى حدّ القبّة الشريفة، وليس العكس، فالقبّة الحسينية التي يستجاب تحتها الدعاء تشمل إذاً مساحة الحائر الحسيني.

ويلاحظ عليه:

أوّلاً: أنّ هذا الاحتمال لا شاهد عليه.

ثانياً: أنّ بعض الروايات التي نقلناها سابقاً أشارت إلى وجود كلٍّ من الحائر والقبّة معاً، فلا معنى لحملهما على معنى واحد، كرواية صفوان الجمّال عن الإمام الصادق، حيث جاء فيها: «**فتوجّه نحو الحائر، وعليك السكينة والوقار...ثمّ تأتي باب القبّة، وقف من حيث يلي الرأس...**»[1]، فهي تُشير إلى وجود باب للحائر وباب للقبّة، فكيف يكون الحائر والقبّة بمعنى واحد؟!

الاحتمال الرابع: القبّة المعروفة

يرى هذا الاحتمال أنّ المراد من القبّة هو القبّة الشريفة المعروفة، المنصوبة أو المبنية على قبر الإمام الحسين، سواء كانت من طين أم غيره؛ وذلك للأُمور الآتية:

الأمر الأوّل: أنّ هذا الاحتمال هو الظاهر من الروايات المتقدّمة التي تفيد أنّ استجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين؛ فلفظ القبّة ظاهر في معناه، وهو قبّة البناء، أمّا المعاني الأُخرى التي ذُكرت في الاحتمالات المتقدّمة، فهي خلاف الظاهر.

الأمر الثاني: لقد اتّضح لدينا أنّه عندما صدرت هذه الروايات ـ التي تفيد

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١٩ ـ ٧٢٠.

استجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام ـ كانت القبّة موجودة ومعروفة، فعندما يذكر الإمام عليه السلام لفظ القبّة يشير إلى أمر موجود متعارف، لا إلى شيء آخر.

الأمر الثالث: لو كان المراد من القبّة هو غير القبّة المعروفة، لذكر الإمام عليه السلام قرينة على ذلك؛ إذ هو غير المعنى الظاهر منها، وغير ما هو معروف من القبّة آنذاك.

الأمر الرابع: لو كان من المحتمل أنّ المراد من القبّة غير القبّة المعروفة، لصار ذلك موضعاً للسؤال من قبل الأصحاب، والحال أنّه لم يصلنا سؤال من أحدهم عن معنى القبّة في كلام الإمام عليه السلام، وليس ذلك إلّا لوضوح المراد عندهم آنذاك، وهو القبّة من البناء المعروفة.

النتيجة: أنّ الاحتمال الرابع ـ وهو أنّ المراد من القبّة الحسينية هو القبّة المبنية المعروفة ـ هو الظاهر والمتعيّن من بين تلك الاحتمالات الأُخرى.

تنبيهان:

بعد أن اتّضح لدينا أنّ المراد من القبّة الحسينية التي يُستجاب تحتها الدعاء هو القبّة المعروفة المبنية أو المنصوبة على قبر الإمام الحسين عليه السلام، ينبغي لنا التنبيه على أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ تغيّر مساحة وحجم القبّة من زمن إلى زمن ـ بحسب بنائها وتوسعتها ـ لا يضرّ في صدق عنوان القبّة التي يُستجاب تحتها الدعاء؛ فهي بمثابة الموضوع بالنسبة لاستجابة الدعاء، فكلّما تحقّق الموضوع تحقّق الحكم، سواء توسّع أم ضاق.

الأمر الثاني: أنّ استجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام لا يعني عدم استجابة الدعاء خارجها؛ فإثبات شيء لا ينفي ما عداه، بل المراد أنّ لاستجابة الدعاء عند زيارة المولى الحسين عليه السلام مراتب، فكلّما اقتربت الزائر من قبر الإمام الحسين عليه السلام أكثر كانت استجابة الدعاء أشدّ وآكد، وهذا هو السرّ في اختلاف الروايات التي تفيد

استجابة الدعاء في مواطن مختلفة، كاستجابة الدعاء عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، أو تحت قبّته عليه السلام، أو في الحائر الحسيني، أو حين زيارته عليه السلام مطلقاً، فكلّها تشير إلى مراتب متعدّدة من حيث استجابة الدعاء، والله العالم.

الخاتمة

في هذه الخاتمة نذكر أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها من خلال هذا البحث:

إنّ القبّة في اللّغة تُطلق على أمرين: الأوّل: القبّة من البناء، وهي كلّ ما يُرفع للدخول فيه، ولتغطية ما تحته، وهي مستديرة الشكل كالكرة، مشطورة الوسط. والثاني: القبّة من الخيام، وهي بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب، وقد يكون الاستعمال الثاني مجازياً؛ لمشابهة القبّة بالمعنى الأوّل من حيث الاستدارة.

إنّ أوّل قبّة بُنيت في الإسلام هي قبّة الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ قبّة الصخرة، ثمّ قبّة الجامع الأُموي، ثمّ قبّة مرقد النبي صلى الله عليه وآله، وقبب البقيع.

إنّ أهمّ غاية وهدف من بناء القبب على المساجد والمراقد ودور العبادة هو تعظيم الشعائر.

في الزمن الذي صدرت فيه عن الأئمّة عليهم السلام روايات استجابة الدعاء تحت قبّة الإمام الحسين عليه السلام كانت قبّة الإمام الحسين عليه السلام موجودة ومعروفة، باستثناء ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله.

المراد من القبّة الوارد ذكرها في تلك الروايات هو تلك القبّة المعروفة المبنية أو المنصوبة على قبر الإمام الحسين عليه السلام، سواء كانت من طين، أم آجر، أم جريد نخل، أم أيّ شيء آخر، وليس المراد منها ـ كما قيل ـ هو قبّة السماء، أو القُرب الحسيني، أو الحائر الحسيني.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ . إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، علي بن الحسين المسعودي، الناشر: أنصاريّان، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.

٢ . أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣ . الأمالي، الطوسي، محمّد بن الحسن الطوسي، دار الثقافة، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٤ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥ . بحوث في القواعد الفقهية، الشيخ محمّد السند، تقرير: مشتاق الساعدي، دار المتّقين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.

٦ . تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمّد مرتضى الزبيدي الحسيني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٧ . تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، المحقّق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

٨ . تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، المحقّق: طيّب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.

٩ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ.

١٠ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبي، المحقّق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٨٥م.

١١ . دائـرة المعارف الحسـينية (تاريخ المراقد، الحسـين وأهل بيتـه وأنصاره، ج١)، محمّـد صـادق الكربـاسي، المركز الحسـيني للدراسـات، لندن، الطبعـة الأُولى، ١٤٢٤ هـ.

١٢ . ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٣ . رحلة ابن جبير، محمّد بن أحمد بن جبير الأندلسي، دار الهلال.

١٤ . الشـعائر الحسينية، الشيخ محمّد السند، المقرّر: السيّد رياض الموسوي، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢م.

١٥ . الصحـاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسـماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٠ هـ.

١٦ . عدّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن محمّد المعروف بابن فهد الحلّي، المحقّق: أحمد موحّدي القمّي، دار الكتب الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧ هـ.

١٧ . عمـدة الحفّاظ في تفسـير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسـف السـمين، المحقّق: محمّد التونجي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ هـ.

١٨ . في ظل أُصول الإسلام، الشيخ جعفر السبحاني، بقلم: جعفر الهادي، الناشر: لجنة إدارة الحوزة العلمية بقم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١١ هـ.

١٩ . كامـل الزيـارات، جعفـر بن محمّـد ابن قولويـه القمّي، المحقّق: عبد الحسـين الأميني، دار المرتضوية، النجف، الطبعة الأُولى، ١٣٩٧هـ.

٢٠ . كتـاب العـين، الخليل بن أحمـد الفراهيدي، المحقّق: د. مهـدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: نشر هجرت، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.

٢١ . كتـاب المزار (مناسـك المزار)، محمّـد بن محمّد بن النعـمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، المحقّق: محمّد باقر الأبطحي، الناشر: مؤتمر ألفية الشيخ المفيد، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٣ هـ.

٢٢ . لسان العرب، محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، المحقّق: أحمد فارس صاحب الجوائب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ودار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٢٣ . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، المحقّق: السيّد أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة مرتضوي، طهران، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ.

٢٤ . المحيط في اللغة، إسماعيل بن عبّاد المعروف بالصاحب بن عبّاد، المحقّق: محمّد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتاب، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ هـ.

٢٥ . المزار الكبير، محمّد بن جعفر المشهدي، المحقّق: جواد القيّومي الإصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٩ هـ.

٢٦ . المساجد في الإسلام، الشيخ طه الولي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٩هـ.

٢٧ . مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١ هـ.

٢٨ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمّد المقري الفيّومي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٩ . معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

٣٠ . معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقّق: عبد السلام محمّد هارون، نشر: دفتر تبليغات إسلامي حوزه علميه، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤ هـ.

٣١ . مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، الناشر: علامة، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢١ هـ.

٣٢ . المنجد في اللغة، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة التاسعة عشرة.
٣٣ . منهاج الملّة في بيان الوقت والقبلة، المولى علي علي ياري الغروي، المحقّق: السيّد هداية الله المسترحمي، الناشر: بنياد فرهنگ إسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢١ هـ.
٣٤ . موسوعة الإمام الحسين بن علي عليه السلام في الكتاب والسُنّة والتاريخ، محمّد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٣٨٩ هـ ش.
٣٥ . موسوعة العتبات المقدّسة، جعفر الخليلي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ.
٣٦ . النفي والتغريب في مصادر التشريع الإسلامي، نجم الدين الطبسي، مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٦ هـ.
٣٧ . النهاية في غريب الحديث والأثر، مبارك بن محمّد ابن الأثير الجزري، مؤسّسة إسماعيليان للمطبوعات، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى.
٣٨ . وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، نصر بن مزاحم السمهودي المنقري، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

قراءة في كتاب أنصار الحسين عليه السلام للشيخ محمّد مهدي شمس الدين

الشيخ جعفر السعدي

باحث إسلامي، من العراق

A Reading into the Book, "*Ansar al-Husayn*"

Shaykh Jaafar al-Saadi

Islamic researcher, from Iraq

ملخّص البحث

تضمّن البحث قراءة وصفية لكتاب (أنصار الحسين عليه السلام) للشيخ محمّد مهدي شمس الدين العاملي، مع بيان منهج المؤلّف، ودقّته العلمية في تناول الموضوعات المتنوّعة وتحليلها، واحتياطه الشديد في إبداء رأيه في كثير من الموضوعات المتشابكة.

وبعد ترجمة المؤلّف والوقوف عند محطّات من حياته، ذكرنا الهدف من تأليف الكتاب، وهو أن تعيش الأُمّة حالة التضحية والشهادة؛ لتتمكّن من تغيير ما يحيط بها، وما يحلّ بها من بلاء، كما بيّنا أهمّ المصادر التي اعتمدها الكتاب في تحصيل المعلومات بشأن النهضة الحسينية، ثمّ شرعنا في دراسة موضوعات الكتاب، وأهمّ النتائج التي توصّل إليها.

الكلمات المفتاحية: أنصار الحسين عليه السلام، محمّد مهدي شمس الدين، زيارة الناحية، الزيارة الرجبية، نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

Abstract

This article includes a descriptive reading of the book "*Ansar al-Husayn*" by Shaykh Muhammad Mahdi Shams al-Deen al-Ameli, along with an explanation of the methodology and scientific accuracy of the author in addressing and analyzing various topics. The author's strong caution in expressing his opinion on many intertwined issues is also mentioned. The article begins with a presentation of the author's biography and stages of his life, then follows the objective of writing the book: for the Umma to live in a state of sacrifice and martyrdom enabling it to change the afflictions surrounding it. The article also mentions that the most important sources relied upon in the book are "*Tarikh al-Tabari*" and the Maqatil books, confirming that these are the most worthy of attention in obtaining information about the Husayni uprising. Then, follows a study of the book's subjects, an explanation of the author's style and methodology in addressing them, as well as the significant results he reached. The topics were presented in the following order: the number of companions and their names, the factors that played a role in their small number, a study of the al-Nahiya al-Muqaddasa and al-Rajabiyya Ziyara-texts, the analytical research of the book such as the elite among the companions of Imam al-Husayn (PBUH), the Abbasids joining the revolutionary wave, the role of the youth and elders in the uprising of Imam al-Husayn (PBUH), the companions in Kufa, the hollow revolutionary state, and the political significance of the beheadings.

Keywords: Ansar al-Husayn (PBUH), Muhammad Mahdi Shams al-Deen, al-Nahiya al-Muqaddasa Ziyara, al-Rajabiyya Ziyara, uprising of Imam al-Husayn (PBUH).

مقدّمة

لقد انتهج مؤلّف هذا الكتاب في بحوثه الدقّة والموضوعية والنظرة التحليلية عند استعراضه لموضوعات متنوّعة، واحتمالات متشابكة في وقائع تاريخية شتّى، دون أن يتسرّع في إصدار حكم، أو إقصاء فكرة؛ لاعتقاده بضرورة التزام الباحث الدقّة في نقل الحوادث، والرصانة في نقد الأفكار وسردها[1].

لم يكن المؤلّف متزمّتاً في آرائه، ولا متطرّفاً في تصوّراته، بل كان يقرّ أحياناً بالعجز عن الوصول إلى نتيجة واضحة رغم إحاطته بالقرائن والشواهد الكافية، فعندما يحاول التعرّف ـ مثلاً ـ على الطبقة الاجتماعية الأكثر تأثيراً في إيجاد النهضة الحسينية، هل هم الشباب، أم الشيوخ؟ نجده يقرّ بعدم تمكّنه من التوصّل إلى نتيجة قطعية، بالرغم من ميله إلى أنّ الشباب هم الأكثر تأثيراً في هذا المجال، مع تأكيده على حاجة البحث إلى المزيد من التأمّل والمطالعة في النصوص التاريخية إن وجدت.

وعند محاولته التعرّف على السبب الذي دعا طوعة لإيواء مسلم بن عقيل، وأنّه هل كان بدافع ثوري عقائدي، أم بدافع انفعالي عاطفي؟ أقرّ بعجزه أيضاً عن التوصّل إلى نتيجة مقبولة في هذا المجال، رغم ميله إلى أنّ الدافع من إيوائها كان ثورياً عقائدياً، وليس عاطفياً انفعالياً.

ولا بُدّ من الإشارة إلى أنّ المؤلّف إنّما كتب محتويات هذا الكتاب لتكون ملحقاً للطبعة الثالثة من كتابه (ثورة الحسين عليه السلام.. ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية)، لكنّ المسائل التي بحثها استدرجته للتوسّع فيها حتى تكوّنت فصول هذا الكتاب، التي هي أكبر من أن تكون ملحقاً لكتاب، فقرّر نشرها في كتاب مستقلّ، كما صرّح هو بذلك[2].

---

(١) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٣٧.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٠.

فتكوّنت بذلك عناوين كثيرة، ومسائل متعدّدة، ركّز المؤلّف عليها بعناية فائقة، وتحليل دقيق قلّ نظيره في كتب تاريخية أُخرى مشابهة، ككتاب (إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام)، الذي اقتصر كاتبه فيه على ترجمة حياة الأنصار، بعيداً عن الجوانب التحليلية التي يمكن إثارتها حول شخصيّاتهم وتاريخهم، بل لم يكن دقيقاً حتى في بعض ما قاله في ترجمة حياتهم، خلافاً للطريقة التي اتّبعها شمس الدين في كتاب (أنصار الحسين عليه السلام) في تحليله للنصوص التاريخية، وتدقيقه في مضامينها، خصوصاً ما يرتبط منها بالثورات وجماهيرها في التاريخ الإسلامي؛ فإنّ تاريخ الثورات ـ كما نعلم ـ قد تعرّض للتهميش والتمزيق من قبل الرواة والمؤرّخين، الذين كانوا يتملّقون للسلطة، أو يخافون منها؛ ولذا فإنّ مهمّة المؤرّخ بالغة الصعوبة في هذا الحقل، وربّما كانت هذه الطريقة أفضل الطرق التي تُمكّن الباحث من الوصول إلى قدر كبير من الحقيقة، خصوصاً إذا كانت طريقة البحث تثير المزيد من الرغبة في التنقيب عن الحقيقة[1].

اسم المؤلّف ونشاطاته العلمية

هو أبو إبراهيم، محمّد مهدي بن عبد الكريم بن عبّاس آل شمس الدين العاملي، ينتهي نسبه إلى الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي العاملي.

ولد في (النجف الأشرف) في الخامس عشر من شعبان سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م)، والده العلّامة الشيخ عبد الكريم شمس الدين ابن الشيخ عبّاس شمس الدين، وكانت ولادته بعد هجرة والده من لبنان إلى العراق لطلب العلم بوقت يسير، وقد بقي مع والده حتى بلغ الثانية عشرة من عمره، ثمّ عاده أبوه إلى لبنان وتركه في النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينية.

تلقّى علومه الأوّلية في النحو والصرف ومبادئ الفقه على يد والده، ودرس

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٠ـ٢١.

مقدّمات الأُصول والبلاغة والمنطق عند بعض الفضلاء من مدرّسي الحوزة العلمية في ذلك الحين، وأتمّ دراسته على مستوى الخارج في الفقه عند المرجع الديني السيّد محسن الحكيم، وفي الفقه والأُصول عند السيّد أبو القاسم الخوئي والسيّد محمّد الحسيني الروحاني.

قام الشيخ شمس الدين بتأليف ما يزيد على ثلاثين كتاباً[1]، وتوفيّ في (بيروت) في شهر كانون الثاني من عام (٢٠٠١م) إثر مرض عضال.

استطاع الشيخ شمس الدين أن يتفاعل مع المجتمع العراقي، وأن يعطي صورة ناصعة عن الدين والشريعة من خلال سلوكه السليم، وتعامله التربوي، فقد ساهم في إنشاء المكتبة العامّة التي كانت تؤدّي وظيفة مركز إسلامي عامّ، بالإضافة إلى إنشاء أو المشاركة في إنشاء ما يزيد على (٢٠) مسجداً في مدينة الديوانية وما يحيط بها.

وقد كان مؤيّداً لتيّار تحديث المناهج الدراسية في الحوزة، وتطويرها، وإخراجها من حالة الغموض والتعقيد، بما يتوافق مع المستوى العصري الذي كان يعيشه المجتمع آنذاك.

---

(١) للشيخ شمس الدين مؤلّفات كثيرة في موضوعات شتّى، نذكرها كما يلي: ١ـ نظام الحكم والإدارة في الإسلام. ٢ـ الاحتكار في الشريعة الإسلامية. ٣ـ المسائل الحرجة في فقه المرأة. ٤ـ الحوار سبيل التعايش. ٥ـ مطارحات في الفكر المادّي والفكر الديني. ٦ـ ثورة الحسين في الوجدان الشعبي. ٧ـ ثورة الحسين.. ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية. ٨ـ أنصار الحسين.. الرجال والدلالات. ٩ـ الحسين قصّة حياته وثورته. ١٠ـ العلمانية. ١١ـ دراسات في نهج البلاغة. ١٢ـ محاضرات في التاريخ الإسلامي. ١٣ـ دراسة عن موسوعة الفقه الإسلامي. ١٤ـ بين الجاهلية والإسلام. ١٥ـ الإسلام وتنظيم الأُسرة. ١٦ـ الغدير.. دراسة تحليلية اجتماعية سياسية. ١٧ـ شرح عهد الأشتر. ١٨ـ عقائد الشيعة الإمامية. ١٩ـ الوصايا. ٢٠ـ التطبيع بين ضرورات الأنظمة وخيارات الأُمّة. ٢١ـ الجهاد. ٢٢ـ حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام. ٢٣ـ التجريد في الفكر الإسلامي. ٢٤ـ رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام. ٢٥ـ تفسير آيات الصوم. ٢٦ـ مع الإمام الرضا عليه السلام. ٢٧ـ لبنان الكيان والدور. ٢٨ـ الأُمّة والدولة والحركة الإسلامية. ٢٩ـ المقاومة في الخطاب الفقهي السياسي. ٣٠ـ الاجتهاد والتقليد. ٣١ـ فقه العنف المسلّح في الإسلام.

وبعد ذهابه إلى وطنه (لبنان) عمل إلى جانب السيّد موسى الصدر في خدمة قضايا الوطن اللبناني، وتحصينه من أخطار الداخل والخارج، وخدمة قضايا الأُمّتين العربية والإسلامية، فتعاونا على نقل فكرة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى إلى عالم الوجود، وإنشاء مؤسّساته، فكان: مستشفى الزهراء، ومؤسّسة البرج الشمالي، ومدينة (الصدر) في البقاع، وغيرها.

وبعد تغييب الإمام الصدر استقلّ الشيخ شمس الدين بعد جهود مضنية بذلها لتأسيس الجامعة الإسلامية في لبنان، ثمّ كافح بكلّ ما أُوتي من عزم وطول على إنجاحها، واستمرار عطائها، ولم يغفل عن رعايتها حتى بعد مماته؛ إذ أوصى لها بمبلغ ضخم، صرف بكامله على المبنى الجديد، الذي افتتح في أواسط العام (٢٠٠٤م)، وغير ذلك من مؤسّسات ثقافية وعلمية[١].

الهدف من تأليف الكتاب

لقد أوضح المؤلّف هدفه من تأليف هذا الكتاب، حيث يقول: «**إنّي لم أكتب هذه الدراسة عن شهداء كربلاء الأبرار إحياءً لذكراهم؛ فهم أحياء عند ربّهم يرزقون، وإنّما كتبتها لأصل حياتي بحياتهم، فأتعلّم منها وأستشعر بها روح الشهادة.**

ونشرت هذا الكتاب في الناس؛ ليستذكر قرّاؤه روح الشهادة، في زمن طغت فيه على الأُمّة الإسلامية روح الترف، وضمرت فيه روح الشهادة، وطغت فيه مثل الحياة المادّية التي تجرّد الإنسان من أيّة قضية تجعل من حياته مشروعاً يتجاوز ذاته نحو الآخرين، ومن أجل الآخرين، وانحسرت فيه روح الإسلام التي هي قضية الأُمّة الإسلامية التي تستطيع أن تحرّر بها نفسها، وتحرّر بها الآخرين من أغلال الاستعمار الجديد...

فلم تستطع الأُمّة الإسلامية أن تتجاوز أغلال عبوديتها وتخلّفها، ولن تستطيع أن

(١) اُنظر: موقع ويكيبيديا الإلكتروني، مقال بعنوان: محمّد مهدي شمس الدين.
https://ar.wikipedia.org/wiki

تستعيد دورها الحضاري والسياسي في العالم بدون أن تنمو في فكرها وعقلها، وجميع وجوه حياتها، روح الشهادة التي تولّد الشهداء الأحياء، الذين يستطيعون أن يقودوا خُطى الأُمّة نحو النصر، في طريقهم نحو ختم حياتهم بالشهادة.

إنّ هذا هو الطريق الوحيد للخروج بالأُمّة ممّا هي فيه، وهذا هو الشرط التغييري الوحيد الذي يجب أن يتوفّر في معظم أفراد الأُمّة؛ لتستطيع أن تُغيّر ما يحيط بها ويحلّ فيها من بلاء، وذلك بعدما تغيّر ما بنفسها من عوامل التخلّف والضعف والهزيمة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] »[2].

مصادر الكتاب

إنّ أهمّ مصدر تاريخي اعتمده المؤلّف بشكل أساسي في تأليفه لهذا الكتاب هو (تاريخ الطبري)؛ «**لأنّه يتيح للباحث فرصة معرفة سند الرواية، والتأكّد من أنّها رواية شاهد عيان، كما يتيح للباحث فرصة المقارنة والترجيح؛ لما يغلب فيه من نقل عدّة روايات للحادث الواحد**»[3]، مع عدم غفلته عن المصادر التاريخية الأُخرى عند الحاجة إلى مقارنة بعض المعلومات، وزيادة التوثيق.

كما اعتمد المؤلّف أيضاً على كتب المقاتل بصورة أساسية؛ لاختصاصها بنقل حوادث النهضة، وتفاصيلها، وملابساتها، ومن تلك المصادر: كتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد، و(مقاتل الطالبيّين)، و(مناقب آل أبي طالب)، و(مثير الأحزان)، وغيرها[4].

---

(١) الرعد: الآية ١١.

(٢) شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص١٧ـ١٨.

(٣) المصدر السابق: ص٣٠.

(٤) المصدر السابق: ص٢٩ـ٣٤.

وقد أكّد المؤلّف أنّ كتب المقاتل هي الأجدر بالاهتمام في تحصيل المعلومات بشأن الثورة الحسينية، وذلك:

أوّلاً: لاختصاصها بحكاية وقائع هذه الثورة؛ فهي أكثر إحاطة من كتب التاريخ العامّ بالأحداث وتفاصيلها؛ فإنّ كتب التاريخ العامّ تعطي ـ غالباً ـ أهمّية متساوية لكلّ ما ترويه من حوادث تاريخية.

ثانياً: أنّ مؤلّفي هذه الكتب ينظرون إلى الثورة الحسينية بعاطفة الحبّ والتقديس؛ لكونها جزءاً نابضاً بالحياة من تاريخهم، وهم يعتمدون في حكايتهم لأحداثها على مصادر ذات صلة حميمة بالثورة، كأئمّة أهل البيت عليهم السلام، الرجال والنساء الذين رافقوا الثورة منذ بدايتها حتى نهايتها في كربلاء؛ فإنّ هؤلاء لم يتّصل بهم رواة التاريخ العامّ.

وثالثاً: أنّ مؤلّفي كتب التاريخ العامّ كانوا غالباً على اتّصال بالسلطان، أو أنّهم يؤيّدون وضعاً سياسياً يتعارض مع مضمون الثورة، وربّما ينسجم بشكل أو بآخر مع وضع جلّاديها، فلم يكونوا ـ بطبيعة الحال ـ قادرين، أو لم يكونوا يريدون تسجيل الأحداث من وجهة نظر مصادر الثائرين أنفسهم.

ومن هنا؛ فقد رأى المؤلّف أنّ كتب المقاتل أجدر بالاعتماد من كتب التاريخ العامّ، ومع ذلك فقد اعترف بأنّ هناك مآخذ على كثير من هذه الكتب فيما يتّصل بالأحداث؛ فإنّ الحماس والحبّ قد يدفعان إلى تدوين أخبار معيّنة دون أن تنال حظّها من التحقيق، وربّما تكون بعض هذه الأخبار مجرّد استنتاجات وآراء شخصية لبعض الرواة والمؤلّفين، فيجيء كاتب متأخّر عنهم فيعدّها واقعاً تاريخياً.

كما أنّ بعض كتّاب المقتل في بعض الحالات يعمّم رؤيته للموقف، فيعبّر عنه بإطلاق أوصاف معيّنة على رجال الثورة أو أعدائها، ويعبّر عن مجموع الموقف بعبارات عاطفية، وأكثر ما توجد هذه الظاهرة في كتب المتأخّرين من مؤلّفي المقتل. ومهما يكن؛ فإنّ على الباحث التزام الأُسلوب العلمي الصارم في النقد والاختيار[1].

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٥ـ٣٧.

عدد الأنصار وأسماؤهم

لقد حاول المؤلّف معرفة عدد الأنصار والشهداء من خلال تحليله لوقائع التاريخ التي تذكرها الروايات، علماً بأنّ عدد الشهداء قد يزيد في بعضها، وقد ينقص في بعضها الآخر، وذلك لعدّة أسباب:

السبب الأوّل: طريقة التخمين التي اعتمدها الرواة في نقلهم لعدد الذين حضروا مع الإمام الحسين عليه السلام؛ نتيجة للظروف والملابسات التي اكتنفت الحدث المنقول؛ فلا يمكن ـ والحال هذه ـ اعتبار أيٍّ من هذه الروايات معبّرة عن عدد قطعي للشهداء (رضوان الله عليهم)، وإنّما يمكن أن تشير إلى عدد تقريبي في هذا المجال.

ومن تلك الروايات: ما رواه ابن الصبّاغ من أنّ عدد مَن كان مع الحسين عليه السلام حين خروجه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وشيعته ومواليه[1].

كما روى المسعودي: أنّ عدد مَن جاء مع الحسين عليه السلام خمسمئة فارس عندما عدل عن طريق الكوفة إلى كربلاء[2].

ومنها: رواية عمّار الدهني الذي صرّح بأنّ عددهم حين عدل الإمام إلى كربلاء خمسة وأربعين فارساً، ومئة راجل[3].

ومنها: ما رواه سعد بن عبيدة من أنّ عددهم حينما كانوا في كربلاء يقارب المئة رجل[4].

ومنها: ما رواه أبو مخنف، عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي، أنّ عددهم يوم عاشوراء كان اثنين وثلاثين فارساً، وأربعين راجلاً[5].

---

(١) أُنظر: ابن الصبّاغ، علي بن محمّد، الفصول المهمّة: ج٢، ص٨٠٣.
(٢) أُنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص٦١.
(٣) أُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٩٢.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٩٥.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٢٠.

يتّضح من مجموع هذه الروايات أنّه لم يكن هناك عدد ثابت في جميع المراحل، منذ الخروج من مكّة إلى ما بعد ظهر اليوم العاشر من المحرّم في كربلاء؛ فقد كان العدد متقلّباً، خصوصاً مع قدوم بعض الأنصار، وتحوّل بعض جنود الجيش الأُموي إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام.

السبب الثاني: غياب بعض الأنصار، خصوصاً الموالي منهم؛ بسبب انشغالهم ببعض المهامّ التي بعثهم بها الإمام عليه السلام.

السبب الثالث: وجود نظرة سلبية تجاه الموالي؛ إذ كان المجتمع لا يعدّ مَن قُتِل منهم من الشهداء، بل ولا من القتلى، بسبب النظرة العنصرية الموروثة من عهد الجاهلية.

ومع ذلك؛ فقد أشار المؤلّف إلى العدد التقريبي لأنصار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء من العرب والموالي، وهو ما يقرب من مئة رجل، أو يبلغون المئة، وربّما زادوا عليها قليلاً، ولا نستطيع أن نعيّن عدداً بعينه؛ لأنّه لا بُدّ من افتراض نسبة من الخطأ، تنشأ عن تصحيف الأسماء، وعن عدم دقّة الرواة الذين نقلوا الأحداث وأسماء رجالها، ولكن نسبة الخطأ المفترضة ليست كبيرة قطعاً[1].

هذا بالنسبة لعدد الشهداء والأنصار، وأمّا أسماؤهم، فقد ذكر المؤلّف أنّ تحديدها هو أيضاً ليس بالأمر الهيّن؛ فقد تكون ثمّة أسماء لم تصل إلينا؛ نتيجة لإهمال المؤرّخين والرواة، وقد يكون ثمّة رجال تكرّر ذكرهم مرّتين؛ نتيجة لذكرهم مرّة بالاسم، وأُخرى بالكنية، أو باللقب، دون أن تكون هناك وسيلة لمعرفة اسم صاحب اللقب أو الكنية، أو كنية صاحب الاسم ولقبه؛ بسبب عروض التصحيف والخطأ في كتابة التاريخ، خصوصاً عند المؤلّفين والنسّاخ القدماء، وهو من أكبر الآفات في استعراض أسماء الشهداء، والتحقّق من وجودهم.

(١) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٥١ـ٥٨.

ولأجل تحرّي الدقّة في هذا المجال، قد وضع المؤلّف جدولين: أحدهما بأسماء الشهداء، والآخر بأسماء الذين يُفترض أنّهم من شهداء كربلاء، وذكر في الجدول الأوّل أسماء الشهداء الذين ورد ذكرهم في الزيارة المنسوبة إلى الناحية المقدّسة، بصفتها أقدم وثيقة مشتملة على ما يُفترض أنّهم جميع الشهداء، لا لكون هذه الزيارة ذات طابع ديني؛ لعدم التأكّد من صدورها عن الناحية المقدّسة، كما سوف يأتي التحقّق من ذلك في البحوث المقبلة.

كما تضمّن هذا الجدول أسماء الشهداء الذين لم يرد ذكرهم في زيارة الناحية، ولكنّهم ذُكروا في أحد المصادر الأساسية الأُخرى، كرجال الشيخ، أو تاريخ الطبري، وكذلك الذين ذكروا في مصدرين اثنين من المصادر الثانوية، بعد التأكّد من عدم أخذ أحدهما عن الآخر، أو في مصدرين اثنين نصّ أحدهما ـ على الأقلّ ـ على استشهاد المسمّى، مع مراعاة أن يكون أحد المصدرين من المصادر الأساسية في الموضوع.

وأمّا الجدول الثاني، فهو يشتمل على ما تفرّد به مصدر واحد من المصادر المتأخّرة، كالزيارة الرجبية، أو كتاب ابن شهرآشوب، أو كتاب (مثير الأحزان)، أو (اللهوف)، وأمثالها.

وقد لاحظ المؤلّف من خلال تتبّعه لحوادث التاريخ، أنّ المعلومات المتاحة قليلة جدّاً، حتى إنّ هذا القليل لا يتيسّر الحصول عليه بسهولة؛ نتيجة لإهمال المؤرّخين من جهة، وتصحيف النسّاخ من جهة أُخرى، ممّا تسبّب في وضع اسم مكان اسم، أو نسب مكان نسب.

ولكنّ هذه المعلومات القليلة ستكون عظيمة القيمة إذا أحسنّا تبويبها، وقراءة دلالاتها؛ لكونها تكشف عن أبعاد جديدة لهذه الثورة، ما كان بالإمكان الوصول إليها لولا دراسة ما يمكن الوصول إليه من حياة هؤلاء الرجال الأبطال.

وقد اتّبع المؤلّف في عرضه لأسماء الشهداء الطريقة الألفبائية، معبّراً عنها ـ خطأً ـ

بالطريقة الأبجدية، ومقتصراً في هذين الجدولين على ذكر الشهداء غير الهاشميين، وغير المستشهدين في الكوفة، وكان عدد الذين ذكرهم في الجدول الأوّل اثنين وثمانين شهيداً، وفي الجدول الثاني تسعة وعشرين شهيداً.

ثم تعرّض لأنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين نالوا شرف الشهادة في الكوفة، وقد بلغ عددهم ستّة شهداء، ولم يذكر المعيار في ذكرهم كما ذكره في الجدولين الآنفين؛ ولعلّ السبب في ذلك أنّ شهادة الستّة المذكورين في الكوفة من مسلّمات التاريخ، وهم: مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقيس بن مسهر، وغيرهم.

أمّا الشهداء من بني هاشم، فقد ذكر أنّ عددهم سبعة عشر شهيداً؛ وذلك طبقاً لرواية زيارة الناحية[1]، والشيخ المفيد[2]، بينما هناك روايات أُخرى ذكرت أنّ عددهم يتراوح بين ثلاثة عشر إلى ثلاثين شهيداً.

العوامل المؤثّرة في قلّة الأنصار

لقد كان من الممكن أن يزيد عدد الأنصار زيادة كبيرة، تجعل الحرب أطول مدّة، وأشدّ وطأة على الجيش الأُموي، بالتحاق قوّات أُخرى بصفوف النهضة، تكون مؤثّرة في نتيجة المعركة، وكان من الممكن أن يحدث هذا لولا حدوث بعض المعوّقات، على رأسها الخطوات الاستباقية التي اتّخذتها السلطة الحاكمة لمنع وصول الأنصار إلى جيش الإمام عليه السلام.

ويبدو أنّ السلطة كانت تخشى أن يتسامع الناس بما يحدث في كربلاء، فيؤدّي ذلك إلى تدفّق الأنصار على الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذا تعجّلت في إنهاء المعركة، والقضاء على الإمام الحسين عليه السلام وآله وصحبه، فرفضت المضي في المفاوضات، ووجّهت تأنيباً إلى عمر بن سعد بسبب المفاوضات التي كان يجريها مع الإمام الحسين عليه السلام.

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٩ـ٨١.

(٢) أُنظر: المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.

وممّا يعزّز هذا التحليل ما رواه الطبري: «**عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: حدّثني مَن شهد الحسين في عسكره أنّ حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات، قال: فقال رجل من بنى أبان بن دارم: ويلكم، حولوا بينه وبين الماء، لا تتامّ إليه شيعته**»[1]، أي: لا يجيء إليه شيعته بأجمعهم.

ففي هذا النصّ دلالة على أنّ من أسباب المنع من وصول جيش الإمام الحسين عليه السلام إلى الماء هو الخوف من أن يجتمع الناس إليه عليه السلام؛ إذ كانت قيادة الجيش الأُموي تتوقّع قدوم نجدات موالية للحسين عليه السلام، فكانت تفرض على الشاطئ حصاراً حقيقياً، يتجاوز الحيلولة دون الماء إلى الحيلولة دون عبور قوّات موالية للحسين عليه السلام، كانت هذه القوّات ـ فيما يبدو ـ جاهزة للعبور، ولعلّها كانت من الأسديّين الذين لم يوفّقوا للوصول إلى معسكر الحسين عليه السلام حين قادهم حبيب بن مظاهر للالتحاق به[2].

ولا بُدّ من الإشارة إلى عامل آخر حال دون تدفّق الثوّار لنصرة الإمام عليه السلام لم يتعرّض له المصنّف، وهو سياسة القمع والإرهاب التي مارستها السلطة الحاكمة، إلى جانب سياسة الترغيب في ترك الجهاد، وعدم الالتحاق بركب الإمام الحسين عليه السلام، وهو ما يعبّر عنه اليوم بسياسة العصا والجزرة.

دراسة المؤلّف في زيارتي الناحية المقدّسة والرجبية

لمّا كان كثير من الدارسين في النهضة الحسينية يستندون في تحديد عدد الشهداء في واقعة الطفّ إلى زيارة الناحية المنسوبة إلى الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإلى الزيارة الرجبية، وجد المؤلّف أنّ من الضروري التحقّق من صحّة صدور هاتين الزيارتين؛ لما لهما من دور كبير في الخروج بإحصائية معقولة لعدد الشهداء، وقد توصّل من خلال تدقيقه في الزيارتين أنّ كلتيهما ضعيفة.

---

(١) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٣.

(٢) اُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين: ص٧٦ـ٧٨.

أمّا زيارة الناحية، فهي ضعيفة من جهتين: سندية، وتاريخية. أمّا الجهة السندية؛ فلمجهولية أبي منصور البغدادي، ومحمّد بن طالب الإصفهاني، مضافاً إلى ضعف ابن عيّاش، الذين وقعوا في سند هذه الرواية. وأمّا الجهة التاريخية؛ فلأنّ صدور زيارة الناحية كان سنة (٢٥٢هـ)، كما صرّح بذلك عبد المنعم بن النعمان البغدادي، أحد رواة هذه الزيارة؛ إذ قال: «**خرج** [الخبر] **من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومئتين**»[١]، مع أنّ ولادة الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت سنة (٢٥٥هـ)، أو (٢٥٦هـ)، ممّا يعني صدور الزيارة قبل ولادة الحجّة بثلاث سنين أو أربع، فكيف يمكن نسبتها إليه عجل الله تعالى فرجه الشريف وهي متقدّمة عليه زماناً؟!

وقد أقرّ بهذه الحقيقة بعض العلماء، كالشيخ المجلسي الذي قال: «**واعلم أنّ في تاريخ الخبر إشكالاً؛ لتقدّمه على ولادة القائم** عجل الله تعالى فرجه الشريف»، وقد حاول رفع هذا الإشكال بقوله: «**ويحتمل أن يكون خروجه** [أي الخبر] **عن أبي محمّد العسكري** عليه السلام»[٢]، بل جزم بهذا الافتراض العلّامة التستري في قاموسه[٣]، إلاّ أنّ الذي يضعّف هذا الاحتمال برأي المؤلّف هو أنّ لقب (الناحية) من الألقاب المختصّة بالإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهو الذي يُعرف به دون غيره من الأئمّة عليهم السلام[٤].

وأمّا الزيارة الرجبية؛ فسبب ضعفها أنّ السيّد ابن طاووس نقلها مرسلة دون سند، مضافاً إلى ما يظهر من كتابه (مصباح الزائر) أنّه هو الذي ألّف هذه الزيارة؛ إذ قال: «**قد تقدّم عدد الشهداء في زيارة عاشوراء**[٥] **برواية تخالف ما سطّرناه في هذا**

(١) ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، إقبال الأعمال: ج٣، ص٧٣.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٧٤.
(٣) اُنظر: التستري، محمّد تقي، قاموس الرجال: ج ٩، ص٥٠٤.
(٤) اُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢١٢.
(٥) المقصود هنا هو زيارة الشهداء يوم عاشوراء التي خرجت عن الناحية المقدّسة. اُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٧٣.

المكان، ويختلف في أسمائهم أيضاً، وفي الزيادة والنقصان، وينبغي أن تعرف ـ أيّدك الله بتقواه ـ أنّنا تبعنا في ذلك ما رأيناه أو رويناه، ونقلنا في كلّ موضع كما وجدناه»[1]، ممّا يعني ـ بحسب ما فهمه الشيخ شمس الدين ـ أنّ ابن طاووس هو الذي سطّر هذه الزيارة وألّفها، وإن لم يصرّح بذلك؛ لأنّه يعترف في كلمته هذه بفروق أساسية بين هذه الزيارة، والزيارة المنسوبة إلى الناحية.

وممّا يؤيّد عدم صدورها عن إمام معصوم هو أنّ تاريخها لا يرقى إلى أكثر من نهاية الثلث الثاني من القرن السابع الهجري؛ فقد كانت وفاة السيّد ابن طاووس رحمه الله سنة (٦٦٤هـ)، ومن هنا؛ فقد أكّد المؤلّف أنّنا لا نستطيع عدّ الزيارة الرجبية مصدراً أساسياً في بحثنا كما عددنا الزيارة المنسوبة إلى الناحية المقدّسة؛ لا لشكّنا في وثاقة السيّد ابن طاووس رحمه الله، فهو فوق الشبهات، وإنّما لشكّنا في دقّة مصادره، ولعلمنا بتزايد التحريف والتصحيف في هذه الفترة المتأخّرة، مع عدم العناية بالتحقيق والتدقيق.

إلّا أنّه يمكن الردّ على ما فهمه المؤلّف بأنّ مقصود ابن طاووس من كلامه المتقدّم أنّه إذا كان هناك فرق في عدد شهداء الزيارتين فليس من عنده، بل استند فيه إلى ما رواه الرواة في المصادر الخبرية؛ فلا يكون كلامه حينئذٍ ظاهراً في أنّه هو الذي ألّف الزيارة الرجبية، وإنّما هو ينسب الاختلاف إلى تفاوت الروايات في النقل.

ولا بُدّ من الإشارة هنا إلى إشكالين أوردهما المؤلّف على الزيارة الرجبية في خصوص عدد الشهداء المذكورين فيها:

الإشكال الأوّل: أنّ عدد الشهداء في هذه الزيارة بلغ أربعة وسبعين شهيداً، أمّا عدد الشهداء في زيارة الناحية فثلاثة وستّون شهيداً، ممّا يعني أنّ الزيارة الرجبية يزيد عدد الشهداء فيها على زيارة الناحية بمقدار السدس، وهي زيادة لا تصبّ في

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص٢٩٩.

مصلحتهـا؛ لأنّها تقوّي احتمال التصحيف والتحريف فيها في زمان كثر فيه الدسّ في النصوص والروايات[1].

إلّا أنّ الملاحظ على الإشـكال أنّه يسـتند إلى أرقام غير واقعية لأعداد الشـهداء المذكوريـن في الزيـارة الرجبية؛ لأنّنا عندما راجعنا عدد الأسـماء في الزيارتين وجدنا أنّ عددهـم في الزيـارة الرجبية هو اثنان وسـبعون شـهيداً، وفي زيارة الناحية تسـعة وسبعون شهيداً، ممّا يعني أنّ زيارة الناحية هي التي تزيد على الزيارة الرجبية في أسماء الشهداء، وليس العكس؛ وعليه فلا يبقى مجال للإشكال المذكور.

الإشكال الثاني: اشتمال هذه الزيارة على اسمي (عقبة بن سمعان) و(عبد الله بن يقطـر) بصفتهما من شـهداء كربلاء، مـع أنّ الأوّل نجا من القتـل في كربلاء، والثاني قُتل في الكوفة.

البحوث التحليلية في الكتاب

١. النخبة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام

ذكر المؤلّف أنّ أكثر الشهداء لم يكونوا نكرات اجتماعية، بل كانوا من الرجال ذوي الشأن في أوساطهم الاجتماعية، وكانوا يمثّلون نوعية خاصّة، ويحظون باحترام الناس وتقديرهم، وبعواطف تتفاوت بين الحبّ والكراهية، ولعلّ في كلام عمرو بن الحجّاج الزبيدي دلالة على ذلك؛ فقد نهى الجنود الأُمويين عن مبارزة الثوّار على انفراد قائلاً: «**يا حمقى، أتدرون مَن تقاتلون؟ فرسان المصر، قوماً مستميتين...**»[2].

فالجيـش الأُمـوي كان يواجه ـ في الحقيقة ـ شـخصيات تمثّل النخبـة الواعية في

(١) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢١٥ـ٢١٧.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١٨٥ـ١٨٦. والطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣١. والمفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج٢، ص١٠٣.

المجتمع الإسلامي في ذلك الحين، وكانت تلك النخبة تستمدّ تفوّقها من فضائلها الشخصية، ومن وعيها الإسلامي، والتزامها بمواقفها المبدئية.

«ولا شكّ في أنّ السلطة وأعوانها من الزعماء التقليديين كانوا يعرفون خطورة هذه النخبة، فهي نخبة لا يمكن التعامل معها بالوسائل التقليدية، ولا يمكن شراء ولائها خلافاً لقناعاتها المبدئية؛ لأنّها من أهل البصائر، وهي بما تملك من رصيد قبلي ـ على قلّته ـ قادرة على التأثير في جمهور القبائل، ولا يقلّل من خطورة هذا التأثير أنّه محدود، فجميع بدايات التغيّرات الكبرى تكون محدودة؛ ولذا فالنخبة الواعية ـ من هذه الجهة ـ تمثّل خطراً كبيراً...

وقد كان الزعماء التقليديون يدركون ـ بلا شكّ ـ أنّ هذه النخبة من أهل البصائر تكون في حال نجاحها خطراً على مراكزهم؛ ولذا فقد ساعدوا السلطة ـ بإخلاص ـ على تنفيذ خطّتها في تصفية الثائرين جسدياً، وجعلهم عبرة لغيرهم»[1].

٢. العرب المَوالي

تناول المؤلّف موضوع المَوالي وعلاقتهم بالنهضة الحسينية، ومعرفة درجة ارتباطهم بها، مشيراً إلى ضرورة عدم التركيز ـ في هذا المجال ـ على موالي الإمام الحسين وعلي عليهما السلام، وغيرهما من الهاشميّين؛ فمن الطبيعي أن يكون ولاء هؤلاء لمصلحة قادتهم، فلا يمكن عدّ ولائهم للنهضة مؤشّراً على ولاء غيرهم لها، بل ينبغي التركيز على موالي غير الهاشميّين؛ فإنّ ولاء هؤلاء يكشف عن ولاء عامّ لأمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام، ولنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وإن كان عددهم محدوداً بستّة أفراد، هم: جون مولى أبي ذر، وزاهر مولى عمرو بن الحمق، وسالم الكلبي، وسالم مولى عامر العبدي، وسعد بن عبد الله مولى عمرو بن خالد الأزدي، وشوذب مولى شاكر الهمداني؛ وذلك بسبب سياسة المساواة والعدالة التي لم يفرّق فيها الإمام علي عليه السلام

(١) شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين: ص٢٢٥ـ٢٣١.

بين الموالي والعرب، ممّا استتبع تذمّر بعض زعماء القبائل، كالأشعث بن قيس، الذي قال: «**يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على وجهك**»[1]، ويقصد بالحمراء: الموالي الذين هاجروا من بلاد فارس إلى الكوفة، وغيرها من مدن البلاد الإسلامية.

وقد حاول المؤلّف دعم فكرة الولاء العامّ للموالي بشاهدين تاريخيين:

أحدهما: ما روي من أنّ عبيد الله بن زياد، حين أراد أن يتجسّس على مسلم بن عقيل لم يستخدم في هذه المهمّة عربياً، وإنّما دعا مولىً له يقال له (معقل)، فأعطاه ثلاثة آلاف درهم، وقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع له أهل الكوفة، فأعلمه أنّك رجل من أهل حمص...[2]؛ وذلك للتمويه على الموالين للنهضة؛ لكونه غير عربي، ممّا يعني أنّ الموالي كانوا معروفين آنذاك بولائهم لأمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام، وهو الذي دعا مسلم بن عوسجة إلى الاعتقاد بأنّ هذا الشخص من الموالين للإمام الحسين عليه السلام.

والآخر: ما نقل من أنّ السيّدة الأرملة التي لجأ مسلم بن عقيل إلى منزلها بعد أن فشلت حركته وتفرّق عنه الناس هي السيّدة طوعة، وكانت مولاة للأشعث بن قيس، فأعتقها وتزوّجها أُسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً[3]، وقد أدخلت مسلم بن عقيل إلى منزلها بمجرّد أن عرفت اسمه، دون أن تبدي أيّ قلق ممّا قد تستلزمه استضافته عندها من متاعب، خصوصاً أنّها كانت تعلم بأنّه مطلوب للسلطة.

فإنّ استجابة السيّدة طوعة لطلب مسلم بن عقيل، وإخفائه في منزلها، بعد أن أعلمها بأنّ أهل الكوفة قد خذلوه، تدلّ على أنّها قد تصرّفت استجابةً لموقف نفسي إيجابي من الثورة، حال بينها وبين أن تفكّر في عواقب تصرّفها، فإنّ ذلك محتمل، بل راجح؛ لما أشرنا إليه آنفاً من وجود علاقة وثيقة بين الموالي وأمير المؤمنين عليه السلام،

(١) الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمّد، الغارات: ج٢، ص٤٩٨.
(٢) أُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٥٨.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٧٧.

بسبب سياسة العدل والمساواة التي انتهجها مع جميع المسلمين، ومنهم الموالي، وإذا كان ولاء الموالي للنهضة هذا حاله، فمن الطبيعي أن يغتنموا أيّ فرصة للخروج من وضعهم السيّئ الذي صاروا إليه بعد الإمام علي عليه السلام.

ولو لم يبادر عبيد الله بن زياد إلى القضاء على حركة مسلم بن عقيل القصيرة الأجل، أُتيح للثورة أن تستمرّ أيّاماً ـ على الأقلّ ـ قبل أن يقضي عليها، لتكشف لنا دور الموالي بدرجة أوضح، ولرأينا ـ في غالب الظنّ ـ أنّ وجودهم في الثورة كان أكثف ممّا يعكسه لنا ما بقي من تاريخ الثورة، وأنّ مساهمتهم فيها كانت واسعة؛ وذلك رغبة منهم في تغيير واقعهم السيّئ بواقع عاشوه في أيّام الإمام علي عليه السلام، مع وجود قلّة فيهم، يمثّلها الشهداء منهم، تحرّكوا نحو الثورة، بدافع من وعي صادق ومصيب لحقيقة الإسلام، وإدراك لما يمثّله النظام الأُموي من انحرافات.

على أنّ ما حدث بعد نهضة الحسين عليه السلام بسنوات قليلة يكشف عن عمق صلة الموالي بها واتّساع هذه الصلة؛ فعندما نهض المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة، رافعاً شعارات حماية المستضعفين، والأخذ بثارات الحسين عليه السلام، وأهل البيت الآخرين، التفّ حوله العرب والموالي معاً[1].

٣. عرب الشمال وعرب الجنوب

كان عرب الجنوب من أنصار الإمام الحسين عليه السلام ـ المتمثّلون في عرب بلاد اليمن ـ أكثر عدداً من عرب الشمال المتمثّلين في عرب الحجاز والكوفة، إلّا أنّهم أصبحوا ـ برأي المؤلّف ـ رمزاً يُقتدى به من قبل شرائح كبيرة من المجتمع الإسلامي، وقد كان ثوّار كربلاء جمهوراً صغيراً، بجناحيه من عرب الجنوب وعرب الشمال، ولكنّه كان يمثّل النخبة، ولأنّ الثوّار يمثّلون النخبة، فقد كانوا قادرين على السيطرة على الموقف لو قدّر للثورة أن تنتصر، وتمكّنوا من الاستيلاء على الحكم، وكانوا

(١) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٣٣ـ٢٣٩.

قادريـن ـ إذا لم يتح لهـم النصر، كما حدث في الواقع ـ أن يفجّروا طوفاناً من الغضب ضـدّ الحكـم المنحرف في قلوب جماهـير غفيرة من النـاس، وأن يضعوهم على طريق الوعي الحقيقي، وأن يجعلوا منهم جمهوراً يغذّي الثورات باسـتمرار، وهذا ما حدث في الواقع.

ويبـدو أنّ النظـام الأُمـوي قـد أدرك هـذه الحقيقة، فقـرّر مواجهتها بأُسـلوب وحشي، لا تدعو إليه ضرورة عسـكرية، ولا تقضي به ضرورة أمنية، ليكون التنكيل بهم وسـحقهم مؤثّراً في القضـاء على كلّ مَن يتحرّك باتّجاه النهضـة والقيام، وبالتالي القضاء على الخلايا النائمة في القبائل من عرب الجنوب والشمال على حدّ سواء، فقد أرادت السلطة بذلك أن تجعل هؤلاء الثائرين عبرة لغيرهم، وأن تحدث بالتنكيل بهم تأثيراً نفسياً محطّماً، يزيل كلّ البؤر الثورية في كلّ عربي من الجنوب أو من الشمال[1].

٤. ركوب العبّاسيّين موجة الثوّار[2]

لقد استغل العبّاسيّون ـ كما أشار المؤلّف ـ موجة الثوّار وحالة الحماس والتحدّي للانتقام من بني أُمية، وصادروا الجهود التي بذلها الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فتربّعوا على سدّة الحكم، وتسلّطوا على رقاب الناس تحت شعار الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

ولم تكـن علاقة العبّاسـيّين بالهاشـميّين منذ البدايـة إلّا علاقة شـكلية انتهازية؛ فقـد رفضوا المشـاركة في نهضة الإمام الحسـين عليه السلام، بل وفي أيّ جهد يخـدم العلويّين في الوصول إلى السلطة، مستفيدين في الوقت نفسه من شعبية الهاشميّين المضطهدين من قبل النظام لحسـابهم الخاصّ، مع احتفاظهم بطاقاتهم للاسـتيلاء على السلطة في الوقت المناسب، مستغلّين في ذلك عاملين أساسيين:

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٤١ـ٢٤٩.

(٢) انتزعنا هذا العنوان بدلاً من عنوان: (هاشميّون طالبيّون وعبّاسيّون).

الأوّل: شعار الدعوة إلى الرضا من آل محمّدﷺ، فاغترّ الناس بذلك، وحسبوهم من الهاشميّين الذين لهم مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي.

الآخر: تعاونهم مع العناصر التي لم يجوّز العلويّون لأنفسهم التعامل معها، وهي عناصر الفرق المنحرفة عن الإسلام، والمشكوك في سلامة إسلامها، بخلاف العلويّين الذين كانوا يتعاونون غالباً مع العناصر ذات الإسلام الأصيل، وكانت مواقفهم ضدّ الجماعات المشكوك في سلامة إسلامها شديدة وواضحة ومبدئية، الأمر الذي حمل هذه الجماعات على أن تلتمس حلفاء آخرين، وجدتهم في العبّاسيّين[1].

٥. دور الشباب والشيوخ في نهضة الإمام الحسين عليه السلام[2]

ذكر المؤلّف أنّ المستفاد من بعض النصوص أنّ شهداء النهضة الحسينية كان فيهم الشباب، كعبد الله وعبيد الله ابني يزيد، وغيرهما، والشيوخ كذلك، كمسلم بن عوسجة، وأنس بن الحارث الكاهلي، وما شاكلهما، ومن الواضح أنّ إرادة التغيير غالباً ما توجد في نفوس الشبّان دون الشيوخ الذين يميل غالبهم إلى التحفّظ وإيثار الهدوء والاستقرار، ولكنّ الحال يختلف في النهضة الحسينية؛ إذ نجد أنّ نسبة مشاركة الشيوخ أكثر من الشبّان؛ لأنّهم جرّبوا عدالة أمير المؤمنين عليه السلام، وظلم معاوية معاً، بخلاف الشبّان الذين لم يعرفوا إلّا عهد معاوية، ولم يجرّبوا إلّا وجهاً واحداً، وهو سياسة معاوية فيهم وفي بلدهم، ولا يعرفون من الوجه الآخر إلّا أقاصيص، فهم أقلّ وعياً لمبادئ الإسلام، وأقلّ صلة بها من آبائهم.

ولكن نجد ـ من جهة أُخرى ـ أنّ الميل إلى الدعة والهدوء أقوى في الشيوخ من وعيهم لضرورة التغيير؛ نتيجة لتجاربهم في الحروب الطاحنة التي دارت في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، في حرب الجمل وصفّين والنهروان.

---

(١) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٥١ـ٢٥٥.

(٢) انتزعنا هذا العنوان بدلاً من العنوان الذي ذكره المؤلّف، وهو: (الشبّان والشيوخ).

على أنّه قد يشكّك بعضهم في أنّ هؤلاء الشيوخ أكثر وعياً من الجيل الجديد لمبادئ الإسلام؛ خصوصاً أنّ أغلبهم نشؤوا في البادية، وجاءت بهم الفتوح إلى الأمصار الجديدة، وتولّى تعليمهم الصحابة الذين كانوا يرافقون الجيوش غازين ومعلّمين، فجيل الشيوخ في سنة ستّين من الهجرة كان يغلب عليهم ضيق المعرفة بالإسلام ومُثله وأخلاقيّاته العالية، هذا إذا استثنينا العبادات وما إليها. أمّا جيل الشبّان، فقد نشأ في هذه الأمصار في بيوت مسلمة، وكان يتلقّى في الجمعات وفي حلق المساجد تعاليم الإسلام بأذهان ونفوس بريئة من رواسب الجاهلية إلى حدّ بعيد، فهم أفضل إسلاماً من آبائهم، وأكثر قدرة على وعي المبرّرات الإسلامية لثورة الحسين عليه السلام، وأكثر قدرة على الرفض، وعلى الحسم؛ ومن هنا فهم أكثر تأهّلاً لتكوين جمهور النهضة.

وعلى أيّ حال؛ فمع أنّه من الراجح عند المؤلّف أن يكون عنصر الشبّان في الثوّار هو العنصر الغالب، فإنّه أقرّ بأنّ المسألة ما زالت قيد الدراسة في ضوء النصوص الأساسية إن وجدت؛ لكونها تساعد على التوصّل إلى نتيجة صحيحة[1].

٦ ـ الأنصار في الكوفة[2]

لقد تميّزت الكوفة دائماً بأنّها أكثر الأمصار ثورية واندفاعاً، بينما غلب على البصرة التحفّظ والحذر، واتّسم الحجاز بالرغبة في الدعة والسلام، وكان أكثر مَن شارك في ثورة كربلاء من الحجازيّين غير الهاشميّين هم من موالي بني هاشم، وقد خرج الحسين عليه السلام من الحجاز ثائراً على حكم يعرف الجميع ضرورة الثورة عليه، ومع ذلك لم يخرج معه أحد، ولم يُثِر خروجُه أيّ حماس أو اندفاع فيهم.

وقد وجّه الحسين عليه السلام نداء الثورة إلى أعيان البصرة ورؤسائها (رؤوس الأخماس)

(١) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٥٩ـ٢٦١.

(٢) ذكر المؤلّف هذا البحث ضمن عنوان: (الكوفة والبصرة والحجاز).

والأشراف، فكلّ مَن قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمه، غير المنذر بن الجارود؛ فإنّه خشي ـ بزعمه ـ أن يكون دسيساً من قبل عبيد الله، فجاءه بالرسول في العشية التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة، وأقرأه كتابه، فقدّم الرسول، فضرب ابن زياد عنقه[1].

وهناك عدّة عوامل جعلت البصريّين متحفّظين في الدخول في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، لخّصها المؤلّف بالنقاط الآتية:

١ـ عدم تواجدهم في مركز الخلافة، فلم يكونوا مهتمّين بما يجري فيها من أحداث وتقلّبات وقعت فيها.

٢ـ اختلافهم مع الكوفيّين فيمَن هو أحقّ بالخراج، هم أم أهل الكوفة؟ إذ كانوا يعتقدون أنّهم أحقّ من الكوفيّين في أخذه.

٣ـ الضغائن التي حملها لهم الماضي القريب من جرّاء حرب الجمل، التي خلّفت أعداداً كبيرة من القتلى.

وأمّا الكوفيّون، فقد كانوا أكثر رغبة في التغيير من البصريّين والحجازيّين، بالرغم من الظروف الصعبة التي مرّوا بها؛ وذلك بسبب ما يتمتّعون به من وعي وثقافة، تجعلهم أكثر رغبة في ذلك[2].

٧ـ الحالة الثورية الجوفاء[3]

لقد استعرض المؤلّف حالة الغليان والسخط التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي، نتيجة للظلم والفساد الذي شاهدوه من حكّام بني أُمية، وكانت أظهر ما تكون في العراق والحجاز؛ ففي مكّة والمدينة والكوفة كانت الإدارة الرسمية عاجزة

(١) أُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦٦.

(٢) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٦٣ـ٢٦٤.

(٣) انتزعنا هذا العنوان من البحث بدلاً من العنوان المذكور في الكتاب، وهو: (درجة الحالة الثورية).

عن السيطرة على الشخصيّات البارزة في المجتمع، وحديث الناس غير المتحفّظ عن ضرورة الخروج وتصحيح الأوضاع، والاستجابة السريعة الكثيفة التي حصل عليها مسلم بن عقيل حين جاء إلى الكوفة، واضطرار السلطة الرسمية إلى اتّخاذ أشدّ إجراءات الحيطة والحذر والاحتراز، كلّ هذا يدلّ على وجود حالة ثورية.

لكنّ تلك الحالة كانت جوفاء، مقرونة بالانهزام النفسي، والإحباط، واليأس من الظفر والانتصار؛ ممّا مكّن عبيد الله بن زياد من السيطرة على الأوضاع في الكوفة بسهولة مثيرة للدهشة، مع أنّ الكوفة كانت إلى حين وصوله إليها بؤرة التحرّك الثوري، وإذا بها تتسارع في الانكفاء والانهيار، والابتعاد عن مسلم بن عقيل بعد ساعات من تحرّكه ضد عبيد الله، حين قُبض على هاني بن عروة، فلحق قسم منهم بالسلطة، وأعلن ولاءه للنظام، وحيّد آخرون أنفسهم عن كلا الطرفين.

وذلك يعني أنّ المجتمع لم يكن يعيش حالة ثورية سليمة؛ وذلك لميله إلى الدّعة ولين الحياة، والمحافظة على وتيرة العيش الهنيّة، كلّ ذلك كان يعطّل الروح الثورية، ويحول بينها وبين أن تعمل عملها، ولقد وجد الخوف والتواكل أرضية نفسية صالحة لهما، فأثّرا أثرهما في الخنوع والاستسلام بسرعة قياسية مذهلة.

ولذلك كانت الحالة الثورية بحاجة إلى محرّض كبير وعنيف، ينقلها من الحالة العقلية التأمّلية إلى درجة عالية من التوتّر، تجعلها حالة نفسية شعورية قادرة على تحريك الإنسان نحو العمل من أجل تغيير واقعه بالنضال، لا بالتمنّيات وانتظار أفعال الآخرين.

وقد تحقّقت هذه النقلة بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وتضحيته بنفسه الطاهرة، فتحوّلت الجماهير المتردّدة والمشلولة بعد ذلك إلى جماهير ثائرة بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى، فدفعت بالكثير إلى أعمال انتحارية، كالذي حدث بالنسبة إلى التوّابين في معركة عين الوردة مثلاً[1].

(١) أُنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٦٩ـ٢٧٤.

٨. الدلالة السياسية لقطع الرؤوس

بعد القضاء على الثائرين في كربلاء، قام جيش عمر بن سعد بقطع رؤوس عدد كبير من الشهداء، وحُملت إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، فقام بدوره بإرسالها إلى يزيد بن معاوية في الشام، وكان نقلها يتمّ بصورة استعراضية؛ لتتاح مشاهدتها لأكبر عدد من الناس في الطرق والمدن التي يمرّ بها حملة الرؤوس، وقد قام بنو أُمية بهذا العمل الشنيع رغم علمهم بحرمته في الشريعة؛ لكونه من المثلة المحرّمة ولو بالكلب العقور.

وقد أشار المؤلّف هنا إلى أنّ رجال النظام أرادوا بقطع رؤوس الشهداء أن يقضوا على كلّ أمل عند الجماهير بنجاح أيّ محاولة ثورية، وذلك بجعل أبطال هذه المحاولة عبرة للآخرين، مضافاً إلى تبديد هالة القداسة التي تحيط بالحسين وأهل البيت عليهم السلام، وإفهام الثائرين الذين لم يتح لهم أن يشاركوا في ثورة كربلاء أنّ إجراءات السلطة في حماية كيانها لا تتوقّف عند حدّ، ولا تحترم أيّ قداسة، وأيّ مقدّس، ولا تعتني بأيّ عرف ديني أو اجتماعي، مع محاولة تحطيم المناعة النفسية لدى المعارضة، وإفهامها أنّ الثورة قد انتهت بالقضاء عليها، وسدّ الطريق على الشائعات بالأدلّة المادّية الملموسة، وهي رؤوس الثائرين، وفي مقدّمتها رأس الإمام الحسين عليه السلام.

فكان هناك هدف سياسي لقطع الرؤوس، بالإضافة إلى كونه عملاً انتقامياً، وهذا ما يفسّر السبب في عدم قطع جميع الرؤوس في الكوفة وكربلاء؛ ففي الكوفة قطع ابن زياد رأس مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة فقط من بين مَن قتلهم في الكوفة من الثوّار، وفي كربلاء لم تقطع رؤوس الكثيرين من الشهداء من الموالي والأفراد العاديين، وقد خضع قطع الرؤوس لعملية انتقاء؛ فقطعت رؤوس الشخصيات البارزة التي تحظى بولاء شعبي في نطاق قبائلها أو مدنها، والتي يحطّم قتلها قاعدتها الشعبية، ويشتّت جمهورها، ويفقده فاعليّته.

إنّ مسلم بن عقيل وهاني بن عروة هما أقوى شخصيتين في التحرّك الذي حدث في الكوفة، فلذا قطع ابن زياد رأسيهما، وأرسلهما إلى يزيد بن معاوية؛ ليكون ذلك برهاناً مادّياً على قمع الثورة، أمّا الباقون ـ وهم رجال عاديون ـ فإنّ رؤوسهم لا تعني شيئاً، فلم يكن ابن زياد بحاجة إلى قطع أكثر من رأسين.

وكذلك الحال بالنسبة إلى عدم قطع رؤوس الموالي والرجال العاديين في كربلاء؛ لأنّ رؤوسهم لم تكن تعني شيئاً بالنسبة إلى الناقمين على الحكم الأُموي؛ فإنّ الذي يشلّ القدرة الثورية، ويسبّب الهزيمة النفسية لدى الجماهير، هو أن ترى زعماءها وقادتها قد قتلوا، ومن الراجح ـ برأي المؤلّف ـ ألّا يكون توزيع الرؤوس على القبائل بصورة عشوائية، وإنّما كانت كلّ قبيلة تُعطى رؤوس الرجال البارزين من أبنائها؛ وذلك لتعزيز مركزها السياسي عند السلطة، وليزداد مركز زعيمها الموالي للسلطة قوّة ومناعة.

الخاتمة

تبيّن من خلال هذه القراءة عدّة نقاط مهمّة يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١. دقّة المؤلّف وتوخّيه الحذر في نقل المعلومة وتحليلها؛ فلم يكن ليبدي نظره في كثير من الموضوعات رغم إحاطته بالقرائن والشواهد الكافية، إلّا بعد الاطمئنان إلى صحّتها.

٢. إنّ هدف تأليف الكتاب هو استذكار الشهداء، واستلهام قيم التضحية والشهادة؛ لأنّ ذلك هو السبيل الوحيد الذي تستطيع الأُمّة من خلاله تحقيق النصر، والحفاظ على حرّيتها.

٣. اعتمد المؤلّف في كتابه على مصادر تاريخية، أهمّها: (تاريخ الطبري)؛ لما يوفّره من فرصة للتعرّف على سند الرواية التاريخية، ونقلها عن شاهد عيان، وكذلك كتب المقاتل، مرتئياً أنّها الأجدر بالاعتماد؛ نظراً إلى اختصاصها بنقل حوادث النهضة وتفاصيلها وملابساتها.

٤. تتبّع مؤلّف الكتاب روايات متعدّدة ومختلفة فيما يرتبط بعدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، مستنتجاً منها عدداً تقريبياً لمجموع الأنصار من العرب والموالي، وهو ما يقرب من المئة أو يزيد. أمّا أسماؤهم، فقد صنّفها في جدولين، ذكر في الأوّل أسماء الشهداء ممّن وردت أسماؤهم في زيارة الناحية؛ إذ هي أقدم وثيقة تاريخية، وفي الثاني: أسماء مَن يُفترض أن يكونوا من الشهداء، مقتصراً في هذين الجدولين على ذكر الشهداء غير الهاشميّين، فذكر في الجدول الأوّل اثنين وثمانين شهيداً، وفي الجدول الثاني تسعة وعشرين شهيداً.

٥. لاحظ المؤلّف ـ من خلال تتبّعه لحوادث التاريخ ـ أنّ المعلومات المتاحة بخصوص ضبط أسماء الشهداء قليلة جدّاً، حتّى إنّ هذا القليل لا يتيسّر الحصول عليه؛ نتيجة لإهمال المؤرّخين من جهة، وتصحيف النسّاخ من جهة أُخرى؛ ممّا يسبّب وضع اسم بدلاً من اسم، ونسب بدلاً من نسب.

٦. ذكر الكتاب مجموعة من العوامل المؤثّرة في قلّة الأنصار، منها: الخطوات الاستباقية التي اتّخذتها السلطة للحيلولة دون وصول قوّات موالية للحسين عليه السلام، والسرعة في إنهاء المعركة، ورفض الدخول في مفاوضات مع الإمام الحسين عليه السلام.

٧. يعتقد المؤلّف أنّ رواية زيارة الناحية ضعيفة من جهتين: الجهة السندية؛ لمجهولية أبي منصور البغدادي، ومحمّد بن طالب الإصفهاني، وضعف ابن عيّاش. ومن الجهة التاريخية؛ لأنّ صدور زيارة الناحية كان سنة (٢٥٢هـ)، مع أنّ ولادة الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت سنة (٢٥٥هـ)، أو (٢٥٦هـ)، ممّا يعني صدور الزيارة قبل ولادة الحجّة بثلاث سنين أو أربع.

٨. ضعّف ـ كذلك ـ رواية الزيارة الرجبية؛ لأنّ السيّد ابن طاووس نقلها مرسلة، كما أنّ تاريخها لا يرقى إلى أكثر من نهاية الثلث الثاني من القرن السابع الهجري؛ وهو ما يؤيّد عدم صدورها عن إمام معصوم، مضافاً إلى ما استظهره المؤلّف من كلام ابن طاووس في (مصباح الزائر)، وأنّه دالّ على أنّ ألفاظ الزيارة صادرة عن ابن طاووس،

وقد أجبنا عن ذلك بعدم ظهور كلام ابن طاووس في صدور الزيارة عن نفسه.

٩. ذكر المؤلّف أنّ عدد الشهداء المذكورين في الزيارة الرجبية يزيد على المذكورين في زيارة الناحية بمقدار السدس، ولكن تبيّن أنّ العكس هو الصحيح بعد مراجعة الزيارة الرجبية.

١٠. ذكر المؤلّف أنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام لم يكونوا نكرات اجتماعية، بل كانوا من الرجال ذوي الشأن في وسطهم الاجتماعي، وكانوا يمثّلون نوعية خاصّة، ويحظون باحترام الناس وتقديرهم.

١١. يرى المؤلّف أنّ تفاعل الموالي مع حادثة الطفّ، ونصرتهم للإمام الحسين عليه السلام، كان نتيجة لسياسة العدل والإنصاف التي اتّبعها أمير المؤمنين عليه السلام تجاههم، فكان أغلبهم من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، كما يرى أنّ هذا الأمر هو السبب في اختيار عبيد الله بن زياد لشخص من الموالي للتجسّس على مسلم بن عقيل؛ وذلك حتّى لا يُشكّ فيه، وكذا الحال بالنسبة لإيواء طوعة ـ التي كانت من الموالي ـ مسلم بن عقيل، بدافع ولائها لأهل البيت عليهم السلام.

١٢. ذكر المؤلّف أنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام من عرب الجنوب المتمثّلين في عرب بلاد اليمن، كانوا أكثر عدداً من عرب الشمال، المتمثّلين في عرب الحجاز والكوفة، إلّا أنّهم بمجموعهم أصبحوا رمزاً يُقتدى به من قبل شرائح كبيرة من المجتمع الإسلامي.

١٣. استغلّ العبّاسيون ـ كما صرّح المؤلّف ـ موجة الثوّار، وحالة الحماس والتحدّي، للانتقام من بني أُمية، وصادروا الجهود التي بذلها الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فتربّعوا على سدّة الحكم، وتسلّطوا على رقاب الناس برفعهم شعار: الرضا من آل محمّد عليهم السلام.

١٤. يرى مؤلّف الكتاب أنّ الكوفة أكثر الأمصار ثورية واندفاعاً، بينما غلب

على البصرة التحفّظ والحذر، واتّسم الحجاز بالرغبة في الدعة والسلام. كما يعتقد أنّ هناك عدّة عوامل جعلت البصريّين متحفّظين في الدخول في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، منها: عدم تواجدهم في مركز الخلافة، واختلافهم مع الكوفيّين فيمَن هو أحقّ بالخراج؟ إضافة إلى الضغائن التي حملها إليهم الماضي القريب من جرّاء حرب الجمل التي خلّفت أعداداً كبيرة من القتلى.

١٥. يعتقد المؤلّف أنّ المجتمع ـ آنذاك ـ كان بحاجة إلى أن يعيش حالة ثورية سليمة، بعدما مني بالخنوع والاستسلام، نتيجة ميله الى الدعة ولين الحياة؛ ومن هنا جاءت نهضة الحسين عليه السلام من أجل تغيير واقعه بالنضال، لا بالتمنّيات وانتظار أفعال الآخرين، وقد تحقّق هذا التغيير بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتضحيته.

١٦. إنّ الهدف من قطع رؤوس الشهداء ـ بحسب رؤية المؤلّف ـ كان هدفاً سياسياً، إضافة إلى كونه عملاً انتقامياً، وهذا ما يفسّر السبب في عدم قطع جميع الرؤوس في الكوفة وكربلاء، والاقتصار على قطع رؤوس الشخصيّات البارزة، التي تحظى بولاء شعبي في نطاق قبائلها أو مدنها، والتي يحطّم قتلها قاعدتها الشعبية، ويشتّت جمهورها، ويفقده فاعليّته.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، الناشر: دار المفيد، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢. إقبال الأعمال، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيّومي الإصفهاني، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

٣. أنصار الحسين عليه السلام.. دراسة عن شهداء ثورة الحسين عليه السلام (الرجال والدلالات)،

محمّد مهدي شمس الدين، تحقيق: سامي الغريري، الناشر: مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ.

٤ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، محمّد باقر المجلسي، تحقيق: محمّد مهدي الخرسان، وإبراهيم الميانجي، ومحمّد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥ . تاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمّد بن جرير الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء، الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٦ . الغارات، إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي، تحقيق: السيّد جلال الدين الحسيني، الناشر: جمعية الآثار الوطنية، طهران ـ إيران، الطبعة الثانية.

٧ . الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة، علي بن محمّد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصبّاغ، تحقيق: سامي الغريري، الناشر: دار الحديث، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٨ . قاموس الرجال، محمّد تقي التستري، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

٩ . مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، الناشر: منشورات دار الهجرة، قم المقدّسة، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٠ . مصباح الزائر، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

المواقع الإلكترونية

ـ موقع ويكيبيديا الإلكتروني، مقال بعنوان: محمّد مهدي شمس الدين، الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki.*

إنّما خرجتُ لطلبِ الإصلاحِ في أمّةِ جدّي

الإصلاح الحسيني

مجلّة فصليّة علميّة تُعنى بالنهضة الحسينيّة وآفاقها الفكريّة